عندما تغرد الحمير

رواية

ديوان العرب للنشر والتوزيع

ديــوان العـرب للنشــر والتـوزيع

عنـــوان الكتاب: عندما تغرد الحمير

اســـم المـؤلف: محمد نزيه حمدتو

التصنيف الأدبي: رواية

رقـم الإيـــداع: 17463 / 2023

الترقيـم الدولي: 0 - 720 - 998 - 977 – 978

التدقيـق اللغوي: يوســف صقـر

تـصميـم الغلاف: بـلال محمــد

التنسيق الداخلي: محمد وجـيــه

رقـــم الطـبـعـة: الطبعة الأولـى

المديـــر العام: د. فادية محمد هندومة

دار ديوان العرب للنشر والتوزيع - مصر – بورسعيد

تليفون: 00201030502390

بريد الدار: mohamedhamdy217217@gmail.com

عندما تغرد الحمير

روايةَ

ديوان العرب للنشر والتوزيع

الإهداء

إلى الشاب الذي قدم نحوي بمعرض الكتاب السابق بوجه مشرق مبتسم، ثم قال: أخبرني لماذا عليّ أن أشتري كتابك، وما هي الفكرة، وأعطني ملخصاً سريعاً دون حرق، وبعد أن أنهيت الأمر بصدر رحب، قال بوجه بارد: لدي من الأصدقاء **7** أشخاص هل يمكنك إهدائي كتاباً مجانياً لكل منهم.

دعني أخبرك بما هو قادم، رواياتي تحمل من القتال والوحشية الكثير ولا مانع لدي بأن أكون أول كاتب يقتل قارئاً بمعرض الكتاب القادم إن رأيتك في محيطي مرة أخرى.

أمزح لا تقلق لن أقتلك قبل أن تقرأ الرواية، وتخبرني كم هي جيدة حقاً...

محمد نزيه حمدتو

****

شكر خاص

من لا يشكر الناس بأخلاقهم وأفعالهم الجيدة لا يستحق أن يغدو إنساناً جيداً.

أشكر أخي بشكل خاص على الرغم من انشغاله بالحياة، لم يكل أو يمل يوماً عن تشجيعي حتى تصل رسالتي وأهدافي إلى النور.

شكر خاص للكاتبة والناقدة الأدبية الرائعة: مي أبو صير على الدعم الدائم.

****

تمهيد

حينها تسقط الشمس من كبد السماء وتختفي مُحتضنة أعماق البحار للأبد، وتعلن عن بدء الظلام،
يسود صمت مُطبق في أرجاءِ المدينة. خوفًا من مرور الآلهة، بموَاكبهم الضخمة،
فبمجرد سماع ألحانهم الخلابة قادمة؛ يتوارى الجميع خوفًا من شحوب غمام سمائها الملبدة بالغيوم المتوهجة، التي تصيب كل من ينظر إليها.

يكفي أن تشاهدك أعينهم البراقة من بين ظلال الغيوم.. يصبح الهروب مستحيلًا؛ والموت قادمًا بلا محالة. آلهة صنعوها بأيديهم ومجدوها، فلم يعد أمامهم حلٌّ سوى الخضوع وهم يعلمون جيدًا، أن تلك الأناشيد والبطولات أوهام زائفة. يُغريهم الأمل في البقاء. مع العلم أن الموت حقيقة لا مفر منها، وراحة للرؤوس التي لا تجلب غير السوء.

أنت،
لا تحدق بي ببلاهة هكذا فأنا أتحدث إليك، حين تغدو وحيدًا، تنزوي مكدودًا داخل غرفتك، تضع يدك أعلى صدرك تحاول كبح جماح رغبتك المتعطشة، كحيوان مستثار لمعت أنيابه في البرية. تفصلك الحواجز عن

شرورهم، فلا تعلم أن أحدهم متعطش لدمائك، والآخر يقضم أظافره ويقفز هنا وهناك كقرد محتجز يتمتع المارة برؤيته مسجونًا قيد رغباته. وأخيرًا أنت وما تفعله من أشياء يَندى لها الجبين، تتلوى بالأرض ألمًا؛ كأنك تعاني من لهاث الموت.

لا تبتئس، على الرغم من تلك الأمور، حالك أفضل من سكان أكزاديا.

هناك،
يهتف التوابع لـ تمجيدهم، وهم يذبحون رجالًا ونساء، تتلون الأرض بما يرضي أعينهم، تصير كلها حمراء بلون الدماء. فلا يحل سوى البؤس والمرض أينما ذهبوا وأينما كانوا، كأنها صفة متلازمة مع مرورهم، فتظل المدينة لليالٍ، وأحيانًا شهورًا تعاني في كل مرة، من الحزن على من قُتلوا والخوف على من تَبقى، حتى أصبحوا موتى أحياءً داخل منازلهم، وكأنها قبورهم.

تغيرت السماء فأصبحت تتزين بنجوم مضيئة في المساء، اختفت الشمس؛ وعن قريب سوف يتبعها القمر ولم يتبق سوى النجوم على أرض سكنها المرض والجوع، وانساق البعض لأكل بعضهم وموتاهم للبقاء. فلم يعد البقاء للأصلح. بل الأقوى والأشرس، وأصبحت الرغبة، هي أساس الحياة، و الانسياق خلفها طريق مليء بالملذات. النهاية غير واضحة والموت له عبيد يحصدون له وبأمره ما يشاء باسم القدر.

الفصل الأول

الوَهَن

24 تشرين الثاني/ نوفمبر 2025

استيـاء وشعور بالملل تفضحه ملامــح أوجه العاملين داخـل البرامج التلفزيوني الشهيــر (عظماء ولكن)، منذ سنـــــوات عديـــدة، يقوم على استضافة أصحاب (الترندات) في المجتمع، للرد على الشبهات التي تدور حولهم؛ ويمكنها أن تدمر حياتهم أو تؤثر بالسلب على أفراد عائلتهم، وبالفعل حقق البرنامج جماهيرية كبيرة في وقت قليل وتشاهده الملايين من البشر.

حتى ذلك اليوم الذي تناولت الصحف والمواقع الإلكترونية الخاصة بالدولة الإعلان عن الحلقة القادمة من البرنامج، وذلك لضمان مشاهدته من فئات عمرية مختلفة، وإثارة حفيظتهم لتتبع التفاصيل، لكونه غير مجدٍ بالتسلية، فأغلب المشاهدين عبّروا عن استيائهم عبر مواقع التواصل، يرغبون بفنانة جميلة ذات قوام ممشوق وملابس فاضحة تسر الناظرين، أو مُغنٍ لتكون الأجواء أكثر متعة ولطيفة، على الرغم من ذلك وخلف تلك

الفعاليات نجح المروجون، فكانت الحلقة هي الأشهر والأكثر تداولًا بين الجميع عن إقامتها.

كهل بلغ من العمر **73** عامًا، كاتب عجوز ألف رواية بعنوان (سِفاح الأغنياء)، فأصبحت هي الترند الأعلى من حيث السب والشتائم التي انهالت عليه فور نشرها، لهذا رأى البرنامج استضافته لحرية الرد، أو في الحقيقة لكسب المزيد من المال،
ولم يتخيل أحدهم أن هذا اليوم؛ سوف يُخلّف أنهارًا من الدماء، قادرة علي إبادة ما تبقى من البشرية.

في تمام الساعة الثامنة والنصف صباحًا، داخل قطاع التليفزيون، جلس د. فاروق النوباري، ينتظر إلى أن يحين وقته للدخول في الفقرة التالية، لم تكن غرفة الانتظار تحتوي على الكثير، ليقوم بتسلية نفسه حتى يمر الوقت، لم يعد يهوى مشاهدة البرامج التلفزيونية، أو حتى مشاهدة كرة القدم التي عشقها منذ الصغر.

خَلّف رحيلُها ندوبًا بروحه يرتسم صداها على وجهه العبوس، تحطم قلبه لقطع كثيرة بعد فقدان زوجته منها ما يُسلم ويرضى بقضاء الله، ومنها ما يلوم ذاته لعدم قول الكثير من الأشياء وإخبارها كم كانت تعنى له بتلك الحياه، فبعد رحيل شمسها لم يتبق له سوى قلمه حتى يلقاها مرة أخرى.

وعلى الرغم من تحذير الكثير من أصدقائه، وتوسل أحفاده، لعدم نشر الرواية. أصر على موقفه ضد منظمة (**absolute freedom**)
التي كانت ركيزة روايته الأساسية منذ ظهورهم في المجتمع إلى الهلاك القادم ببقائهم.

قبل وقت ليس ببعيد، ظهرت للمرة الأولى منظمة **A.f** بصفتها مشروعًا موقّعًا من حلف الناتو. وأن تطبيق هذا المشروع سوف يقوم بتغيير العالم نحو الأفضل.

ينحصر المشروع الذي تحول لمنظمة لها فروع تطالب بحقوقها في المجتمع فيما بعد، بمفهوم الحرية المطلقة. لكل فرد الحرية فيما يفعله ولا ينبغي لأي أحد التدخل في حياة المواطنين، حتى وإن قرر الانتحار في منتصف الشارع أمام المارة؛ يبقى هذا قراره ولا بد من احترامه. ثم أضاف القائمون على المشروع بندًا يحمي المساجين من إدارة السجن وتطبيق نظام الحبس الانفرادي، كونه غير آدمي، ويقود الإنسان للجنون في بعض الأحيان. وبعد انقضاء سنة على تطبيق هذا القانون في معظم الدول الأجنبية، وأظهر فاعلية في الحفاظ على حرية المرء في الحياة ضد أي انتهاك يسبب له أضرارًا نفسية وجسدية.

عرضته على أغلب الدول العربية، أظهرت مزايا هذا القانون، وأنه سوف يرفع من شأن الدول العربية لمحاذات الدول الغربية في التقدم، لكنه لم يَلق الترحيب الكامل ذلك الوقت؛ ووضعوا الأمر في طور الدراسة.

بعد مرور أربع سنوات أخرى وبسبب تغير مقاليد الحكم والفكر الحديث لدى بعض الأشخاص دفعهم لقبول هذا القانون، بغرض الود والاحترام المتبادل بين الدول. وأن الحرية والعدالة ينبغي أن يطبقا بين جميع أفراد الشعب دون تفرقة، وكانت من أوائل الدول (نيربا) العربية. صعد رئيسها وألقى خطابًا كامل عن الحرية وأنها الأساس لتقدم الدول؛ وأن الحكومة لم تقبل هذا القانون إلا بعد أبحاث دقيقة أكدت أنه لا ضير في استخدامه وتطبيقيه.

ولم تمر سوى **5** أيام بعد المؤتمر، وأرسلت الدول الأجنبية مندوبين عنها، لإقامة مقرات إدارية داخل الدولة، لمراعات التطبيق الصحيح؛ تحت أنظار المشرفين، فلم تتراءى لهم النية الحقيقة حينها لقانون الحرية المطلقة. أو بالأحرى بعض الملايين التي أرسلتها المنظمات إلى كبار المسؤولين. جعلتهم مُغمضِي العين عن كل ما يجري.

يُقال إن في البداية تصبح الصفة السيئة منبوذة في المجتمع حتى تؤلف، ثم تصبح رؤيتها سيئة ولكن مقبولة، وتتحول من هذا إلى الرضا بوجودها

داخل المجتمع ولكن لا نفعلها، إلى أن تصبح عادة؛ وبعدها واجبة التنفيذ. وهذا ما وجهته الدول مع هذا القانون. تدرجت الحرية بمفهوم التفرقة داخل البطاقة الشخصية للمواطنين وأن ذِكر الدين من العنصرية، ثم الهوية الشخصية ذكر أو أنثى، ثم حرية نوع الفرد بحد ذاته، يقررها بنفسه حسب ما يتراءى له ذكرًا أم أنثى، أم شيء آخر ربما عندما ينضج.

كَشَر العدو عن أنيابه، وأصبح الأمر ظاهرًا للعيان، تحول المجتمع إلى حفنة من غريبِي الأطوار، لا يُعلم الذكر من الأنثى، داخل الأزقة تُوزع منشورات تدعو إلى (السدومية) باعتبارها نوعًا من الفكر الجديد.

لهذا أصبح بإمكان الأعمى توقع نهاية (نيربا) مثل تفشي الأمراض والأوبئة، انقراض النسل في غضون ٥٠ سنة. أوشكت نيربا أن تصبح خاوية مظلمة، في طريقها إلى الاصطدام بجبل جليدي، كما حدث مع راكبي السفينة (تيتانيك)، لا يغرق متخذ القرار وحده بل يسحب الجميع معه إلى القاع.

أفاقت الدولة من سكرتها، لتكتشف أسطولًا من السفن في طريقه إليهم. وأسراب من الطائرات الحربية تقطع قلبها ذهاباً وإيابًا معلنة سطوتها وقدرتها.

قبل **8000** سنة اكتشف الخمر للمرة الأولى بوصفه كسلعة عالية الجودة، لقدرتـــها على تغير مـــزاج الشخص وإضافة بهجة وســـرور للأماكن،

فأصبحت ذات أهمية دينية وشعبية كبير، دون الالتفات إلى كونها تجعل شاربها في حالة عقلية غير طبيعية، وأغلب الجرائم لا تحدث إلا بعد الإفراط فيها، ما زالت تقدم في كل بقاع الأرض، فالأمر لا يتعلق بالمنتج أو أضراره بل بطريقة تأثيره على مزاج الأفراد. كذلك السدومية نبيذ العصر الأكثر فخرًا.

وباعتباره نوعًا تحصيليًّا من الحرية، تم طرح القانون للتوثيق من الشعب حتي يُوافَق عليه بنسبة تتخطى النصف، كانت تلك الفكرة من اقتراحات قائد المنظمة لزيادة شعبية رئيس نيربا في الانتخابات المقبلة. لذا عندما أراد طرد المنظمة خارج البلاد. أرسلت مستغيثة بحلفائها، وأعدم زعيم نيربا بعد أن استسلم الجيش دون حرب. واستقبلوهم استقبال الفاتحين. انقسم الشعب حينها عدة أقسام، فئة الآباء والأجداد يدافعون عن هويتنا وبقايا عادتنا، والقسم الآخر من الشباب الذين اندفعوا وراء الحرية المطلقة دون عواقب.

صارع العديد من الأجيال القديمة، للقضاء على الفكر الناشئ، لكنهم لم يستطيعوا، وبعد عدة سنوات، مات فكر الجيل القديم بالكامل ولم يبق منهم سوى

د. فاروق النوباري، يدافع عن هوية المجتمع.

بعد انقضاء نصف ساعة، وما زال د/ فاروق يجلس منتظرًا. يحاول أن يجد شيئًا يتفحصه بين المجلات الموضوعة فوق المنضدة، والتي لا يتصدر صفحاتها سوى رجلٍ بملابس غريبة وأقرب أن تكون نسائية، وبعضها نساء بملابس رجال.

إقحام تلك الأمور الشاذة، أصبح من عادت المجتمع بعد عام الوهن (يوم سقوط الدولة)، أشاح بنظره بعيدًا، واعتدل في جلسته يتنهد، يحاول أن يعادل تعابير وجهه ويبقى هادئًا؛ حتى أتت إليه فتاة حسناء، تمشي بخطوات غير ثابتة وعلامات القلق والتوتر على وجهها، وقفت أمامه تغمغم:

أنا، أنا حقا أعتذر، كان ينبغي لي أن أكون في استقبالك، لكن حصل أمر طارئ. أنا أعتذر مرة أخرى

- لا عليك، لم يعد بشكل الوقت أهمية كما في السابق، لذا، لا بأس
- حسنًا. لقد حان دورك، هناك إعلانات الآن سوف تستمر لمدة ١٠ دقائق، ويتم بث مباشر للقائك بـ جاسمين، الملكة
- ماذا، الملكة!
- نعم!، هذا لقب جاسمين، كيف لك أن لا تعرفها، إنها إحدى أشهر مذيعات العالم.
- عذرًا. أنا لا أشاهد التلفاز، ولا أخرج كثيرًا.

- حسنًا، فهمت، هيا بنا، اتبعني رجاءً.

ابتسم د. فاروق وغمره الأمل من بعض أفراد الجيل الجديد، وهو يذهب خلفها متكئًا على عصاه، حتى استقر أمام منضدة العرض، وقدم إليه أحد أفراد طاقم العمل، رجل يبلغ من العمر ٤٠ عامًا، ليضع له ميكروفون صغير على أطراف البزة، حتى يتحدث بحرية، لكنه فوجئ باقترابه منه بشكل مبالغ وهمس في أذنه قائلًا:

أسرع بالخروج من هنا!، لم يكن ينبغي لك الحضور!

قال هذه الكلمات ثم هم بالرحيل مهرولًا، ينظر في كلا الجانبين بطرف عينيه خشية أن يكون انتبه إليه أحدهم.

تركت تلك الكلمات شعورًا بالغرابة والرهبة على وجه د/فاروق والتي لم يستطع إخفاءها، اعتدل في جلسته وقطب حاجبيه وراح ينظر لكل من يدخل ليجلس خلفه من المشاهدين داخل الاستديو على هذا النحو، لـ يجعلهم يشعرون أنه لن يكون لقمة سهلة المنال. أو بالأحرى ليشعر نفسة ببعض القوى.

لكن عبوسه لم يدم طويلًا، بل تحولت لنظرات بلهاء، فغر فمه واتسعت حدقة عينيه ذهولًا عندما دلفت إلى الغرفة جاسمين، وجلست أمامه،

كانت شابًّا يبلغ من العمر **28** سنة، يرتدي بلوزة بيضاء اللون، وجيبة ضيقة، ولديه شعر طويل مصبوغ بثلاثة ألوان ويضع الكثير من مساحيق التجميل. سمع الكثير عن مثل هؤلاء الناس ودائما كان يميل لتجنبهم، لكنه الآن وأمام الملايين في بث مباشر لن يستطيع حتى الانسحاب، لأن القانون يمنع هذا. ما أثار حفيظته! تصديق ذلك الشاب لدوره بإتقان فكان يجلس ويتحدث بحياء وأنوثة، بل وكان من وقت لآخر يداعب خصلات شعره كفتاة حسناء.

قطع تأمله في جاسمين التي ما زالت تجلس على استحياءٍ منه، صوت مخرج العرض "أيها السادة، سوف نخرج على الهواء الآن **1**، **2**، **3** أبدأ"

التفتت جاسمين ناحية الكاميرا الخاصة بها، وابتسمت وبيدها بعض الأوراق التي تنوي مناقشتها في الحلقة، وغمغمت بصوت رقيق قائلة: مرحبًا بكم جميعًا، في ذلك اليوم الجميل وأتمنى أن يكون الجميع داخل منازلهم بسعادة دائمًا، كما عهدنا في برنامجكم المسائي (عظماء ولكن). أن نعرض عليكم المشاكل والقضايا التي تؤثر على صفو مجتمعنا الراقي، ويمكن في بعض الأحيان، أن تؤدي إلي هلاك صاحبها، فها نحن هنا نمنح كل شخص فرصة ثانية لتصحيح مفهومه، لذا دعونا نرحب بضيف اليوم د/ فاروق النوباري .

أهلا د/ فاروق، مرحبًا بك. في الحقيقة هناك الكثير من اللغط والجدل حول روايتك (سِفاح الأغنياء)، والفكر العنيف الذي اتهمك البعض بترويجه بها؛ ضد حرية الفرد.

- مظهرك رائع!
- أوه، شكرًا جزيلًا لك!

تبادل الجمهور نظرات الدهشة من ثباته بخلاف ما ذاعَ عنه من عصبية وعدم تقبله لمن هم مثل جاسمين، بل وثنائه على مظهرها. لهذا صفقوا له جميعًا بحرارة . الأمر الذي جعله يلتفت إليهم، ويقف خافضًا قُبعته ليضمها إلى صدره، مبتسمًا ويحدق بهم متأملا الوشوم التي تغطي أجسادهم وأنهم أقرب إلى جاسمين في الشكل، باستثناء ٨ رجال أعمارهم ما بين(٣٥- ٤٠) عام ، كان الاستياء باديًا على وجوههم. تكاد أعينهم تخرج من محاجرها من شدة التركيز مع كل شخص داخل الغرفة.

- أرى أنك حظيت بود كبير د/ فاروق، بين الجمهور الذي يشاركنا اليوم، لكن أليس هذا غريبًا؟! فأنت دائمًا تهاجم الحرية ومن هم يرغبون في العيش بسعادة!

- جميعنا متشابهون بشكل أو بآخر، صحيح أن هناك اختلافات جذرية بيننا عن طريق الهرمونات وتكوين كل منا لكننا ننتمى للجنس ذاته لذا لا أجد اختلافًا يدعوني لمهاجمة عرقي!

- امم، لم أفهم ما علاقة هذا بسؤالي، د/ فاروق!

- ملابسك النسائية، مساحيق التجميل، حتى تصنعك في الحديث لـ تجعله أكثر رقة، لم تستطع إخفاء مظهرك الرجولي، كل ما تفعله ليس حقيقتك، ابحث بداخل قلبك لتعرف من تكون ولا تفعل أشياء كريهة للعادات والتقاليد ومحرمة بالأديان، لمجرد أن القانون يسمح لك بهذا.

- هذا هراء، أنت لا تعرفني!

- أنت محق، قد لا أعرفك بالشكل الكافي، لكني أعرف أنك مجرد رقم في سلسلة كبيرة من الأرباح التي تدر سنويًا ملايين الدولارات، وهذا ما جعلك الآن مذيعًا أمامي ليس لأنك متميز عن الباقين، بل لأنك سوف تجذب الملايين، بمفهوم آخر أنت النبيذ الأكثر فخرًا، تمثال مزخرف لبعض الأشخاص لتشعرهم بالراحة حول أنفسهم، كونهم تركوا هويتهم وتجردوا منها لهوية أخرى، هم مجرد سلع بها لا أكثر.

قبل أن تجيب جاسمين، جاء الرد من الجمهور باللعن والشتم بل وازداد الأمر لرشقه بزجاجات المياه، الأمر الذي دفع جاسمين لترك الاستديو و الهروب بعيدًا، وعندما اختفت عن أنظار د/ فاروق، ترك الجمهور مقاعدهم وهجموا عليه لينالوا منه.

لم يسعفه جسده النحيل للهرولة بعيدًا، ومن الخوف سقط على الأرض ووضع يده فوق رأسه وضم قدميه إلى صدره، واستعد لهجومهم عليه.

انقضت اللحظات كسنوات عجاف لا تنتهي، ظل مترقبًا هجومهم لكن المفاجأة أن لا أحد يقترب.

كان يسمع ضوضاء ناجمة عن معركة ضخمة وأصوات تكسير وصراخ بعض الأشخاص، لكن خوفه من الموت جعله ساكنًا مكانه ولم يرفع أهدابه حتى ليرى ماذا يحدث، ظل هكذا لبضع دقائق حتى عم الهدوء المكان، وشعر بخطوات قادمة نحوه، فعلم أن دوره قد حان، وعندما دنت منه تلك الخطوات صرخ بأعلى صوته، وهو يلوح بيده اليمنى في الهواء ليبعد من قدم نحوه.

- د/ فاروق، لا تقلق هذا أنا مهندس الصوت

أخرجه ذلك الصوت من الرعب الذي كان به، بدى مألوفًا لديه، نظر إليه بطرف عينه ليجد العامل الذي وضع له الميكروفون وأخبره أنه لم يكن ينبغي له الحضور. شعر بالاطمئنان وأراد أن يشكره، ويسأله عن ما يجري حوله. لكن شفتيه لم تنبس بكلمة واحدة. وارتعش جسده في ذهول مما يراه، كل الجماهير ملقون على الأرض، بعضهم لفظ أنفاسه الأخيرة، والأخرون يصرخون وأجسادهم مليئة بالثقوب، والدماء لا تغرق الأرض فقط بل لونت بعض الجدران. تصلبت أطرافه ولم يقدر على الكلام أو الحركة، حتى جذبه العامل وتمتم قائلًا:

هاااي أنت، أفق، هيااا، ليس لدينا وقت!

- ماذا، أنا لا أفهم؟

- هذا لا يهم ، إن أردت النجاة اتبعني، لأنك إن لم تفعل، سوف يكون هلاك تسعة أشخاص، دون جدوى!

- حسنًا

لم يكن أمامه أي خيار آخر، سوى اتباعه للهروب من الباب الخلفي للاستديو. لكن حركته البطيئة عرقلت هروبهم. لذا اقترح العامل أن يصعد على ظهره ويتعلق برقبته من الخلف كالطفل الصغير، سوف يسهل هذا الأمر حركتهم.

لكنه رفض في بادئ الأمر لشعوره بالإهانة، نحافة جسده في الآونة الأخيرة وطوله الذي لم يتجاوز **160** سم جعلاه يبدو في بعض الأحيان كطفل صغير؛ لديه عقدة تجاه هذا الأمر منذ الصغر، لكن بالمواظبة على التمارين اليومية والتغذية الجيدة استطاع معالجة الأمر في الماضي، والآن بسبب مرض ألم بجسده جعله كما كان.

في النهاية أُجبر على الموافقة عندما فُتح الباب الخلفي، وتفاجأ أنه لا يوجد مصعد للنزول، وبجانب رأسه لوحة صغيرة تحمل رقم الدور الـ ١٧. حينها

نظر إلى العامل وعلى وجهه ابتسامة مريبة انكشفت خلالها نواجذه وغمغم قائلًا: هل ما زال العرض متاحًا!

هبط العامل بعض الخطوات ونظر إلى الأسفل ثم نظر إليه ثلاثة مرات متوالية وأومأ برأسه وهو يتمتم قائلا: سحقًا، أجل ما زال قائمًا.

هبط العامل من أعلى السلم وعلى ظهره د/ فاروق. طابقين ثم توقف فجأة؛ لشعوره بأن البرج على وشك الانهيار نتيجة لهزات متتالية وضوضاء شديدة تأتي من الأسفل.
على وجه السرعة أنزل د/ فاروق من على ظهره ونزل ببطء يتبين ماذا يحدث، غاب لعدة دقائق وعاد مهرولًا يلهث؛ يلتقط أنفاسه بصعوبة ويقول: هناك ما يقارب **100** شخص قادمون من الأسفل، مدججون بالأسلحة!

- مـ، ماذا، ماذا نفعل؟
- نصعد إلي السطح، ننتظر هناك حتى يأتي أحد لنجدتنا

صعد الاثنان حتى وصلا إلى باب حديدي قديم يملؤه الصدأ، حاولا جاهدين لفتحه لكنه لم يتزحزح سوى جزء صغير منه فقط. فاقترح

العامل أن يدخل د/ فاروق أولا ليتأكد من سلامته، أما هو سوف ينزل ليمنحه مزيدًا من الوقت حتى تصل المساعدة.

- ماذا؟ لا، لا، أنت أنقذت حياتي لن أدخل وأتركك هنا.
- ليس لدينا وقت، فقط ادخل حتى يأتي أحد وينقذك.
- لن أتحرك قبل أن أعرف من أنت، ولماذا تفعل هذا!
- نحن المعاهدون.

لم يفهم ماذا يقصد ولم يتح له الوقت، قطع حديثهما صوت الشباب من خلفهم كانوا يتنازعون على من سوف يقتل العامل ومن يقتل د/ فاروق. لا يتجاوز سن أكبرهم ٢٤ عامًا. ويحمل كلٌّ منهم بيده أداة للقتل ما بين سكين أو مضرب حديدي
وعلى وجوههم ابتسامة مصطنعة مرعبة. ولا يقولون سوى كلمة واحدة "الموت للعاصين".

لم ينتظر العامل تقدمهم، بل انطلق نحوهم فاردًا ذراعيه وألقى بجسده الضخم عليهم وهو يصرخ موتوا أيها الأوغاد، لا تقف هكذا، تجاوز الباب أسرع ، بسبب وزنة الذي تخطى **100** كيلو، استطاع أن يجعلهم يتراجعون للخلف، لكن ليس لوقت طويل، نالت منه السكاكين، اخترقت جسده

أكثر من **30** طعنة قبل أن ينهار، ويراه د/ فاروق للمرة الأخيرة وهو ينظر نحوه يلفظ رمقه الأخير مبتسمًا، عند عبوره من الباب.

وضع يده على أذنيه وتراجع للخلف، ليتجنب صوت صراخهم ومحاولتهم لتحطيم الباب، حتى وصلت قدماه إلى حافة البرج، فكان على وشك السقوط. تخبطت أسنانه من الارتعاش خوفًا؛ عندما نظر إلى الأسفل وتخيل جسده المحطم من هول السقوط. ظل يلتفت يمنة ويسرة، ويقلب ناظريه بالمكان؛ حتى جحظت عيناه، وأصبح يشير بأطراف بنانه في الهواء يتحدث بترهات غريبة مع أحدهم معتذرًا، ثم انفجرت دموعة يرجوه بالغفران، وأخيرًا يخبره بعمق حبه له، وأنه كان ينبغي أن يكون شخصًا أفضل. بدَا كل ما يحدث للمشاهدين من خلف الباب أنه فقد عقله عندما أدرك نهايته.

وهنا يكمن سؤال مهم: هل أصاب د/ فاروق الجنون أم أنه رأى شيئًا آخر بالهواء؟

الفصل الثاني

فقدان السيطرة

لم يعهد تلك الهمسات من قبل، ولا ذلك الصوت الذي لا يردد سوى كلمة واحده [موت، موت] أيقظت تلك الكلمات حازم من نومه مرعوبًا، لما رآه وسمعه في أحلامه التي بدت حقيقية للغاية. وثب من فراشة، وفتح باب الغرفة متجهًا للصالة مسرعًا وهو يلهث، لم يجد سوى أطفاله يلعبون. وما إن انتبهوا له، بكى الصغير الذي لم يتجاوز عمره **5** أعوام، من هيئة والده المريبة، مقلتا عينيه مشبعة بالسواد، ينبثق منها الغضب، شعره كث ونافر.

بجامته القصيرة، التي لم يقم بتغييرها منذ سنوات رغم أنها لم تعد تلائمه بسبب اكتسابه كتلة عضلية كبيرة في الآونة الأخيرة، كانت سببًا في ضحك الصغار، أضافت مع ملامحه الجامدة ونظراته، مشهدًا مرعبًا. مما دفع طفله الكبير صاحب **8** أعوام على الهروب وهو يبكي نحو والدته ليخبرها أن والده مخيف للغاية.

خرجت وهي تضحك، متسائلة في عقلها أي الخدع هذه المرة التي فعلها لهم، هو محب للمزاح مع الصغار، ودائمًا يتصنع أشياء غريبة وأحيانًا غبية، لكن لم يصل به الأمر يومًا لإخافتهم هكذا.

رغم خروجها على الفور، لم تجد حازم، فقط الصغير، جالس بمفرده و يبكي بشكل هستيري. يشير بأطراف بنانه إلى باب الشقة المفتوح على مصراعيه.

صراخ وصوت اصطدام، سمعته زوجة حازم بوضوح، بسبب اقتراب الشقة من الشارع (الشقة دور أول علوي). هرولت إلى الشرفة لتستطلع الأمور، انصدمت وتغيرت ملامح وجهها، عندما شاهدت حازم يخرج بسيارته، وفي أثناء هذا دمر 3 سيارات بجوارها ومع ذلك لم يتوقف، أو يبطئ سرعته بل انطلق بأقصى سرعة كما لو أن الشرطة تطارده، بل كوصف أدق كما لو أن الموت يطلبه وهو يهرب بعيدًا.

ومضات لثواني تجبره على غلق عينه اليمنى، يرى نفسه واقفًا بين السحاب، ثم يهوي إلى الأسفل بسرعة شديدة، وقبل أن يرتطم بالأرض تتحول إلي بركة ماءً أبيض، يغرق بداخلها ببطء حتى الموت. لم يعرف حازم إلي أين يذهب، ما زال يقود بسرعة جنونية، إلى مكان يجهله يتبع حدسًا بداخله، أقرب أن تكون إلى همسات برأسه تخبره بالمكان.

وما إن اقترب من المكان المنشود، لم يستطع التقدم بالسيارة، بسبب التزاحم المروري في المكان، وسيارة الشرطة الكثير ورجال الأمن. ترجل من سيارته، وجسده يرتعد خوفًا من القادم الذي شاهده بكامل تفاصيله. عند مروره بين الصفوف المتكدسة بالأشخاص بشكل غير مسبوق، كانوا يتهامسون

عن رجل عجوز ألقى بنفسه من فوق (برج القطاع). انقطع حديثهم عن الحادثة، دهشةً من هيئة حازم المريبة، تنحى كل من رآه عن طريقة، إما رهبة أو خوفًا أو فضولًا بسبب اختراقه الصفوف والتوجه إلى مكان الحادث.

أشهر الضابط سلاحه وهو يصرخ بعزم صوت "توقف، لا تتحرك خطوة أخرى"، قالها وساقاه تتخبط خوفًا، من حازم الواقف أمامه بجسد مثل لاعبي كمال الأجسام المحترفين، فارع الطول يكاد أن يتجاوز المترين، فكل من ينظر إليه، يرفع رأسه للأعلى قليلًا ليراه، لكنه تقدم دون خوف وهو لا يبالي سوى بالنظر للجثة الموضوعة على الأرض وحولها حواجز وشريط أحمر لاصق، يفصل بينها وبين الناس لحين وصول الإسعاف لنقل الجثة.

تقدم في وسط سيل من الدماء، أغرقت المكان بالكامل، بخطوات مثقلة، وهو يشعر أنه حلم سيء سوف يستيقظ منه إن بلل وجهه ببعض الماء؛ ثم يأمر نفسه أن يستيقظ؛ وأنه ما زال نائمًا الآن على فراشه الوثير، ثني ركبتيه وجلس على الأرض، ولملم بعض الدماء في راحة يده، و أغرق بها وجهه وهو يصيح: أفق، هيا، أنت نائم في الفراش . أثار هذا الأمر غضب المشاهدين، فمنهم من صاح أنه مجنون ويريد التنكيل من المنتحر، وآخر قام بسبه لفعل هذا الأمر، كان على وشك الالتفات إليهم وتلقينهم درسًا لن ينساه أحد منهم.

لكن جسده ارتخى وسقط على الأرض، وتباطأت دقات قلبه واقتربت من التوقف. حينما لمحت عيناه يد الجثة ممتدة خارج الغطاء. خواتمه الثلاثة التي أقسم على عدم نزعها أبدًا فخرًا واعتزازًا بأولاده عند مولد كل منهم؛ جعلته يدرك أنها لم تكن أحلام بل كان يعيش واقع والده، لم يتذكر مشاكلهم المستمرة، أو خصامهم لأيام وشهور؛ ويمكن أن يطول النزاع لسنوات، لم يفكر سوى بالذكريات الجيدة متجاوزًا أي شيء آخر. رغم هذا لم يبك ولم تعرف وجنتاه طعم الدموع منذ أن كان في السابعة من عمره. ظل ينظر إلى أبيه وهو يصدر أزيزًا بأسنانه غضبًا، حتى سالت الدماء بغزارة من فمه، وأغرقت نصف بجامته العلوية.

وقف ببطء شديد وقد لطخت الدماء وجهه وملابسه، وانطلق يهرول نحو البرج في ذهول من الجميع، فلم يستطع أحد من رجال الشرطة الوقوف أمامه، أطاح بكل من حاول إيقافه، لم ينتظر نزول المصعد المعلق في الطابق السابع . انطلق يقفز بين أدراج السلالم، فلم يأخذ كل دور سوى عدة ثوان وبمرور أربع دقائق كان أمام الاستديو الذي شاهد به كل ما حدث.

كان ينهج ويلتقط أنفاسه بشكل متقطع، وتخرج وكأنها لهيب يحرق يصدره، ازدادت دقات قلبه، و تدفق الأدرينالين بجسده، وعزم أن يقتلهم جميعًا، بل سوف يجعلهم يتمنون الموت ألف مرة من هول ما سوف يفعله بهم. لكنه

دلف إلى الداخل ولم يحرك ساكنًا؛ أصابه هول المفاجأة، لم يكن هناك قتلى كما رأى في الحلم ولا آثار الدماء. كما أن هناك عامل قدم نحوه بمجرد دخوله وعرف نفسة أنه عامل الصوت في المكان، ولم يكن يشبه الرجل الذي رآه مع والده في أحلامه.

لم يستوعب كل ما حدث، ولم تترك له الشرطة فرصة للحديث مع باقي أفراد طاقم الاستديو المتراكمين في زاوية من الغرفة بعد أن أصابهم الهلع والرعب من منظر حازم الملطخ بالدماء على عكس عامل الصوت الآخر. أحاط به ٢٠ فردًا من رجال الشرطة، وأخذوه إلى المخفر لكي يتم التحقيق معه، دون أدنى مقاومة منه.

ثلاثة أيام من التحقيق المستمر، لمعرفة كيف علم حازم بموت والده، والأسباب التي جعلته يهاجم استوديو التصوير، والأضرار التي ألحقها بالممتلكات العامة والخاصة، لكن كل المحاولات باءت بالفشل، بسبب التزامه الصمت طوال مدة التحقيق؛ حتى ظن البعض منهم أنه ما زال يعانى من آثار الصدمة لموت والده. لكن رئيس القطاع الأمني، كان له رأي آخر وتبنى التحقيق مع حازم لمكانة والده في المجتمع وتأثير موته على الأمن القومي.

لغرابة ما يحدث، حرصوا على بقائه مكبلًا بالأصفاد داخل زنزانة أسفل قسم الشرطة، لا يستطيع أن يرى بها أصابع قدميه. ومنعوا عنه الطعام حتى يصيبه التعب والإرهاق. لكن كل تلك المجهودات كانت بلا فائدة. فلم يتغير أو يتشتت تركيزه ولو للحظة واحدة و كأنه ليس ببشر.

في اليوم الخامس قدم الجندي كالعادة، جذبه من ذراعه ليتقدم أمامه، وبقي بالخلف مدججًا بالسلاح، حتى قاده إلى غرفة التحقيق كالأيام السابقة، لكنها كانت راقية إلى حد ما؛ عن سابقتها، منضدة في المنتصف ومزينة بمفرش مليء بالورود، وفي منتصفها سلة بها بعض أنواع الفاكهة، وزجاجة مياه و كأس. حتى الكراسي لم تكن من الخشب العفن التي تميل للسقوط في أي لحظة، بل كراسي سوداء، متماثلة تمامًا لـ كرسي مكتبه بالجامعة. وكان يجلس أمامه رجل ذو ملابس سوداء، في الأربعين من عمره ويبدو عليه الرقي، صاحب أسلوب مختلف عن الضباط الذين حققوا معه.

- أيها الحارس، فك قيده، ألا تعرف من هو!. هذا بروفيسور جامعي لا ينبغي أن يعامل كالمجرمين. أليس كذلك د/ حازم

قال تلك الكلمات هو يضحك بسخرية، منتظرًا رد حازم على الاستهزاء والسخرية منه؛ لكنه لم يجبه، وراح ينظر إليه بوجه غير مبالٍ، أو مكترث

بما يقول، حتى غمغم القائد بكلمات أزالت البرود عن ملامحه، وقطب حاجبيه يفكر بما يقول..

- هل مات والدك، أم قتل، ما رأيك؟ أيهما الصحيح!

- ماذا تعني!

- امم، لا أعرف بعد، من المفترض أن تخبرني أنت!

- أخبرك بماذا!

- حسنًا، تنازل جيرانك عن المحاضر المحررة ضدك لتدمير ممتلكاتهم، أما الأضرار التي سببتها لبعض رجال الشرطة، من المفترض أن تسجن عليها، لكن أخاك الأصغر يتملك نفوذًا ضخمًا قام بتسوية الأمور؛ لهذا أنت حر، هذا مجرد نقاش لا أكثر؛ لذا تحدث ولا تخف.

- هل يمكنني الرحيل إذًا!

- قانونيًا أجل

- لكن لن أجعلك ترحل قبل أن أريك شيئًا مهمًا، هذا الملف يحتوي على تاريخ عائلتك بالكامل. بداخله العديد من الصفحات عن موت والدتك بداخل مصحة أركيا العقلية، وأظن أن هذا سبب طردك من الجامعة. لذا سواء كنت مجنونًا أو لا. أنا لا أهتم، فقط إن اقتربت من برج القطاع أو فعلت أي شيء أحمق سوف أرسلك لوالديك.

وقف حازم وهم بالرحيل، وهو يتصنع عدم انزعاجه، لم يطلب منه المحقق الإجابة، اكتفى كلٌّ منهما بتبادل النظرات، ثم أخبر الحارس أن يرافقه للخروج.

بعد مرورهم بمجموعة من الغرف للتوقيع على بعض الأوراق، وجد أخاه الأوسط سالم ينتظره داخل المركز بملابس جديدة حتى لا تراه زوجته وأقاربه هكذا. قام بإدخاله إحدى غرف الأرشيف، بعدما دفع بعض المال لحراس الممر ليسمح بذلك. ثم خرجوا سويا؛ ليجد زوجته وبعض أقاربهم بجانب السيارة، على وجهها علامات القلق، الذي تحول لخوف، وعيونها مغرغرة بالدموع وانهارت بالبكاء فور رؤيته. اعتقد بعض الواقفين أنها دموع الفرح. لكنها كانت شيئًا آخر، حتى أنها لم تقترب من حازم ولم تتحدث معه طوال الرحلة التي استغرقت نصف ساعة حتى وصلوا إلى البيت.

وجدوا الكثيرين من سكان العمارة والمجاورين لها، في استقباله، بعضهم معتذرًا عن استعجالهم في تقديم بلاغات لإتلاف السيارات، وآخرون لتعزيته على فقدان والده.

لكنه لم يكن بحال تسمح له بقول شيء سوى الاعتذار منهم جميعًا وأسرع في الصعود لشقته بعد توديع أقاربه له فلم يتبق سوى زوجته وأخوه سالم.

دلف إلى الداخل وتوجه مباشرة إلى النافذة في وسط الظلام وأزاح الستار عنها ليسمح بمرور شعاع من الضوء يقطع تلك العتمة، ثم ظل واقفًا أمامها بلا حركة، في وسط تعجب من أخيه وزوجته، شعرا بالارتياب لعدم اهتمامه حتى بتشغيل الإنارة.

تبعاه إلي الداخل بخطوات بطيئة وأشعلا إنارة الصالة وجلسا بالقرب منه، فلم تحتو الشقة على أساس غالي الثمن، لم يكن بها سوى صالون قديم، وسفرة صغيرة في أحد الجوانب لضيق الصالة، ومساحة فارغة في المنتصف. لم يبدأ أحدهم الكلام، ساد الصمت وظلا يتبادلان النظرات منتظرَين التفاف حازم، أو أن يبدي بعض الاهتمام لتواجدهم. ظلا هكذا لعدة دقائق بعد حتى نبس بصوت صارم:

حازم: أنت، فعلت هذا؟

سالم: فعلت الصواب، لإخراجك من هذا المأزق!

استدار حازم بوجه حزين ودموع أغرقت وجنتيه، وراح ينظر لزوجته تارة وأخيه مرة أخرى، وغمغم قائلًا: هل دفنتموه؟!

سالم: أجل، في اليوم الأول استطاع مراد أن يتجاوز الإجراءات

حازم: حسنًا، غادر ولا تعد مرة أخرى

سارة: ماذا!

سالم: لا!، ليست هذه المرة، سنوات طويلة من العمل في مهنة المحاماة جعلتني أدرك جيدًا من المتهم ومن الجاني ومن جنى على نفسه، تتصنع دائما دور المضحي، وأن الجميع ظلمك، أبي، وأمي التي حاولت جاهدة أن ترضيك بعد فقدان والدتك، وأنت تعاملنا جميعًا بسوء دون مبرر. حتى زميلك بالجامعة سببت له إصابات بليغة وكاد أن يفقد حياته بسبب مزحة ثقيلة عن والدتك.

حازم: أصمت

سالم: لا، لن أفعل، لم يدفع أي منا والدتك للمصحة العقلية، فعلها والدنا لأنها مريضة، ورغم كل ما فعله لك هو وأمي لم تستمع، وتلوم الجميع على أخطاء أنت ترتكبها.

حازم: أخبرتك، أن تصمت، أصمت!

أنهى حازم كلماته الأخيرة وهو في وجه سالم، ولا يفصل بينهما سوى ثلاث خطوات، قبض على عنقه بيده اليمنى ورفعه، فلم يعد يلمس من جسده الأرض سوى أطراف حذائه، وفي محاولات منه للتملص، تحرك حازم للأمام وارتطم جسده بالحائط، مما سبب شقوقًا في الجدار من قوة الضربة، فسالم لم يكن ضعيفًا، كان يمتلك هو الآخر كتلة عضلية قوية وقارب طوله من **179**سم، اقتفاءً لوالدهم الذي كان مهتمًا بشكل كبير برياضة كمال الأجسام، وعلى الرغم من هذا لم يستطع فعل أي شيء أمام أخيه.

صرخت سارة متوسلة لحازم أن يتركه، لكن دون جدوى، أحمر وجهه في الثواني الأولى ثم تحول إلى الأزرق الغامق، وجحظت عيناه، وكاد أن يفقد وعيه وأنفاسه تتقطع تدريجيًا.

لم تجد سارة حلًا سوى التقاط زهرية موضوعة في أول الممر المؤدي للغرف، وضربت بها حازم على رأسه من الجنب. تناثرت أجزاؤها هنا وهناك وعم صمت قاتل بالمكان قبل أن يدير برأسه وينظر إليها في هدوء، بعيون يملؤها الارتياب لنظرات خوفها منه التي يراها للمرة الأولى، امتلأ وجهه بالدماء المتساقط من رأسه في خطوط طولية. ترك أخاه وهو ينظر إليهما مستنكرًا ما يحدث مع أخيه أو حتى سبب الدماء المنهمرة منه.
غادر البيت دون أن يتكلم، لكن نظراته كانت تفضح جهله بما يحدث!

أما سالم كان بجانب الباب يحاول جاهدا التقاط انفاسه بصعوبة ويسعل بشدة، طلب كوبًا من الماء من سارة التي أسرعت بدورها لجلبه، ومساندته للجلوس والاطمئنان أنه بخير

سالم: لقد كان عازمًا على قتلي، لم تجفل عينه، ولم يشعر بأي شيء تجاهي، هذا غريب، أعرف أنه عصبي، لكن لم أتصور أن تؤول الأمور إلى هذا!
ارتبكت سارة من حديثه، وحاولت تغير مجرى الحديث، حول موت والده، وأنه مضغوط في الآونة الأخيرة بأمور كثيرة لهذا يتصرف بعنف غير

مسبق. لكن سالم انحنى قليلًا للأمام ونظر في عينها، بينما هي تحاول النظر بعيدًا في أرجاءِ المكان. غمغم قائلًا:

أنت تعرفين شيئًا. لقد رأيتك عندما خرجنا من مركز الشرطة، بدَا عليك القلق والذهول من أمر لم يدركه غيرك حينها، جُل ما أريد هو أن أساعد أخي، قد تكون أمنا ليست واحدة، لكننا من أب واحد. لن أتمكن من مساعدته ما دمت لا أعرف ماذا يجري معه

سارة: حسنًا، لست متأكدة لكن الأمر بدأ منذ خمس سنوات، عندما طُرد حازم من العمل. أردت أن أجعله يتخطى الأمر، تحدثت مع أبي حول إمكان أخذ سفينته الخاصة للقيام برحلة، أنا وحازم والأطفال. وبالفعل وافق واقنعت حازم بالذهاب وسافرنا إلى مدينة (مراس). حيث استقبلنا كابتن السفينة، وانطلقنا بعدما قمنا بتجهيز طعام وشراب لقضاء أسبوعين للاستجمام في البحر. انقضت أول خمسة أيام في هدوء وسعادة، واستمتعنا كثيرًا، وفي اليوم السادس أراد القبطان أن يتحرك ليعبر مراس ويتحرك نحو مدينة (سيفار)، بسبب طابعها السياحي، وتوارد الزوار عليها طول العام.

ولكن أثناء هذا تحرك عمر نحو أطراف السفينة، بسبب سقوط أحد الألعاب بالبحر، ودون أن يشعر وقع خلفها. لم أدرك الأمر سريعًا، انقضت عدة دقائق، وبعدت المسافة بيننا، وكان أول من أدرك الأمر حازم، صرخ بأعلى صوته لينبه قائد السفينة وهو يقفز في البحر للحاق به.

سالم: تبا، هل حدث هذا ولم تخبرونا بالأمر؟

سارة: أخبرك بماذا، نحن لم نتحدث منذ سنوات طويلة!

سالم: وهل هذا خطؤنا؟!

سارة: لم أقصد، لكن جميعنا في فراق منذ سنوات

سالم: ليس خطؤك، أعلم، إذا ماذا حدث بعد ذلك؟

سارة: أخذ الأمر عشر دقائق للاستدارة والعودة بسبب ضخامة السفينة. عندما وصلنا كانت هنا بركة من الدماء في منتصف البحر، وسمكة قرش ممزقة لنصفين.

سالم: ما، ماذا!

سارة: كما أخبرك، تجاوز طول السمكة أربعة أمتار، ويقترب وزنها من ألفي رطل، هذا ما أخبرني به قبطان السفينة، أنها سمكة قرش أبيض بالغة. عندما صعدوا، واطمأن قلبي أن عمر بخير. لاحظت بعض لحم السمكة عالق بين أظافر يد حازم. بالإضافة أن عمر كان يقول بعض الكلام عن أن والده سوبر مان واستطاع أن يشطر تلك السمكة لنصفين بيده العارية، ومرة أخرى قال أنها حاولت الهروب ولكن حازم لم يسمح لها بذلك.

سالم: هناك بعض التفسيرات العلمية للأمر، في حالات الخوف يمكن للإنسان فعل أشياء يعجز عنها الإنسان الطبيعي، وهناك حالات كثيرة مثل هذه الأمور. وأيضًا لا تنسي كتلته العضلية الكبيرة، كان لها دور كبير.

سارة: سالم، أخوك لم يذهب لصالة رياضية منذ خمس سنوات، ويتناول وجبة واحدة في اليوم!
لم يعد يهتم بالأطفال، يبقى شارد الذهن لوقت طويل، ويتحدث أثناء نومه عن حرب ما وأنه لا بد من الثأر والانتقام، هو يتغير لشيء ماء أنا لا أفهمه، كل يوم يزداد ضخامة وقوة غير مسبوقة.

سالم: لا أعرف ماذا أقول، لكن،
سارة: لا تقل شيئًا، لقد قمت بتجهيز أغراضي بالفعل وانتظرت فقط حتى يعود ويمكننا الحديث معًا، لكن من الواضح أن الأمر أصبح خارج السيطرة، سوف أذهب لمنزل والدي.

لم يستطع سالم أن يجعلها تتخلى عن قرارها. ظلت تنتظر قدومه أو حتى الاتصال معتذرًا عما بدر منه، كما تجري العادة بعد أي مشكلة تحدث بينهما، يترك كل منهما للآخر وقتًا للهدوء والتفكير، لكن الأمر هذه المرة كان مختلفًا لم تسمع أخباره، ولم يراسلها للاطمئنان على الأطفال.
تسلل الشك إلى قلبها أن يكون أصابه مكروه، أقنعت والدها بمرافقتها رغم غضبه الشديد على الأمر، بسبب المشاكل المستمرة خلال السنوات الماضية، وتحدث معها كثيرًا حول الانفصال عنه، لكنها رفضت حتى التفكير بالأمر، فعلى الرغم من كل شيء ما زالت ترى داخله الفتى الطيب الذى أحبته بالجامعة.

وبعد محاولات عديدة وبصعوبة بالغة أقنعت والدها، بالذهاب للاطمئنان أنه بخير، استقرت السيارة أمام منزلها وسط صخب وضوضاء، لتتفاجأ بأن الجيران أبلغوا الشرطة، كم هائل من الجنود وعدد من عربات الإسعاف، نتيجة تحطيمه شقتهم بسبب معركة حدثت داخلها، أقلق الأمر بعض السكان لذا ذهبوا للحديث معه حول إمكانية خفض الموسيقى ظنًا منهم أنها بسبب أحد الصغار، تفاجؤوا أن كل أساس الشقة تحطم والعشرات من القتلى بالداخل. وهناك أثار لدماء خارج الشقة وصولا إلى سيارة حازم، أخبرهم الضابط بشتى التفاصيل، وأقنعهم بالعودة للبيت وإبلاغ أقاربه بما حدث، فمن الممكن أن يعلم أحدهم مكانه الحالي.

استمر الجميع بالبحث بشكل مستمر دون جدوى، فمنذ ذلك اليوم لم يرَ أحدهم حازم مرة أخرى.

.....

عزيزي/تي

هناك أسئلة كثيرة تجول بخاطرك أعلم وأغلبها عن خوف البعض من حازم، يوجد ملايين البشر بأجساد قوية وضخمه لكنهم وجبة دسمه لقرش أبيض بالغ هل حازم يحوذ على قوة ما، هل هو بشري من الأساس أم شيء آخر، وكيف شاهد أشياء حدث معظمها فقط والباقي مختلف؟! دعونا نعلم سويًا،

الفصل الثالث

مَطلب السائلين

داخل غابة مليئة بالأشجار الملونة، ما بين الأحمر والأسود. أفعى ضخمة تمر بين غصونها المتشابكة، للوهلة الأولى تبدو وكأنها تعتصر الغابة الملونة وتمتص الحياة من داخل جذورها، لكنها كانت السبب الوحيد في بقائها إلى الآن.

أفاق حازم، وكأن أحدهم ضربه بمطرقة على رأسه، لكن الأمر لم يكن حلمًا، بل وجد جثة سقطت عليه، كانت لرجل؛ أو هذا ما اعتقد في البداية، ما إن رأى وجهه، صرخ مذعورًا، من أن لديه أنياب بارزة، يسيل من فمه لعاب أسود مختلط بدمائه، جسده يميل إلى ما بين الأزرق والأسود، حليق الرأس.

على الفور تراجع زاحفًا إلى الخلف في محاولة منه للابتعاد عن الجثة، لكنه أكتشف أنه في وسط حرب ما. الآلاف من الكائنات الزرقاء يهاجمون غيلان خضراء ضخمة يتجاوز طول الفرد منهم **8** أمتار. وكانت النتيجة واضحة إليه من اللحظة الأولى، الغلبة في صف الكائنات الزرقاء التي تجاوز أعدادهم الآلاف؛ في مواجهة ٥٠ غولًا فقط.

ارتعدت أوصاله، وظلت أسنانه تتخبط، وأنفاسه كانت أوشكت على الانتهاء، المخلوقات الزرقاء كانت تغرز أنيابها ثم مخالبها المشحوذة؛ تخرج قطعًا من لحم الغيلان[1]، تتناوله في خضم تلك المعركة. فيصبحون أشد قوةً وبأسًا، والهرب هو الحل الوحيد، كانت الفكرة المسيطرة على روح حازم حينها، لذا حاول أن يبتعد عن الأنظار خلف إحدى الأشجار العملاقة، بملابسه الرثة المليئة بدماء المخلوق، وطينة الغابة الحمراء، لكنه خلال هذا الأمر أصابته حالة من الوهن غير المفهومة، كأنه فقد شيئًا ما، شعر بالهزل للمرة الأولى منذ وقت طويل، حاول جاهدًا أن يكتم أنينه لشعوره بخدر في قدمه اليسرى، جحظت عيناه من المفاجأة آثار أنياب ذلك المخلوق الميت على عمقٍ داخل فخذه، أربعة أنياب تخرج من داخلها دماء سوداء. ويبدو أنها تحتوي على نوع من السم، بدأ مفعوله يظهر من خلال أنفاسه وضعف الرؤيا.

لم يكن أمامه حل سوى العزم على الهروب والابتعاد عن تلك الحرب الضارية، لكن جسده توقف عاجزًا عن الحركة، والتفت للخلف في دهشة وبسرعة شديدة، عندما سمع صراخ طفل صغير في وسط القتال، مجموعة من الغيلان كانوا يساندون ظهورهم لبعضهم البعض، في محاولة بائسة لإنقاذه.

[1] الغيلان هم الأكبر حجمًا وأكثر قوة لكنهم أقل في الذكاء والحكمة.
الغويران هم فصيلة من الغيلان المتطورة والأقرب إلى الهيئة البشرية.

بدا ذلك الصغير كأطفال البشر، كان يبكي ويصرخ مناديا على والديه، وبسبب الرؤيا لدى حازم التي أصبحت شبه ضبابية لم يستطيع التيقن لكن الصوت كانت بشريًا، تجمد عقله عن التفكير، فكان الهروب هو الحل الواقعي، وقبل أن يلتفت تحرك جسده من تلقاء نفسه وكان هناك غضب يحترق بداخله، أثاره ذلك المشهد، كأنه شاهد ذلك الموقف، أو حدث له أمر مشابه، انطلق جسده نحو التجمع، رغم رفض عقله لتلك الفكرة، بضع خطوات بسيطة ولم تتحمله قدمه المصابة فسقط أرضًا يلتقط أنفاسه وهو يشاهد خيالات الغيلان تنهار وتسقط واحدًا تلو الآخر. ولا يحول بين الطفل والمخلوق سوى غول أو اثنين.

ازدادت نبضات قلب حازم، وكأنها طبول تقرع للحرب، تمده بقوة، تسري في عروقه، فأصبح كالبركان الثائر يسابقه المخلوق، أيهما يصل للطفل أولًا، مخالب قائد المخلوقات موجهة للطفل وقبضة حازم موجة لوجه المخلوق، على مرأى ومسمع من الجميع، ذهولًا من سرعة كلاهما، ولكن قبل أن تصل قبضة حازم لوجه المخلوق، تعثر بعضن شجرة بارزة من الأرض، فتدحرج متخبطًا بين الأرض والهواء، عدة مرات ليصطدم بالمخلوق، قبل أن يقتل الطفل، أصابت جبهة حازم وجه المخلوق من الجانب وظل يتخبط كلامها لعدة أميال.

تضرر كلاهما، نتيجة الاصطدام المباشر ببعضهما والأرض مرارًا، حتى استقر كل منهما على مسافه قريبه المخلوق انتهى به المطاف بغصن شجرة بارز من الأرض اخترق جمجمته فمات فورًا، أما حازم لم يبارح مكانه بعد أن تمكن منه السم، وامتلأ جسده بالجروح وأصبح يفقد وعيه تدريجيًّا وهو يطالع أشجار الغابة الملونة، ونور القمر البازغ بين الأوراق المتساقطة، نتيجة لمرور الأفعى بينها، .يشاهد ومضات من حياته السابقة، وهمسات قادمة من مكان بعيد قائلة من جيل إلى آخر تبقى الإرادة، وحرية الاختيار قائمة. لم يحن موعد موتك بعد، أيها العابر !

ما بين الخيال والواقع، لم يقدر على التفرقة إن كان ما يسمعه حاليًا حقيقيًا أم لا، لكنه كان واضحًا جدًا، أصواتهم وهم يتحدثون عن إنقاذهم له من قبيلة (دوران[2]) وأن رغم إصابته بالعدوى جسده يتعافى؛ بصورة سريعة.

....

بعد عدة أيام

أفاق وأصبح قادرًا على تحريك رأسه لكن جسده ما زال طريح الفراش يأبى الحركة، أشاح بنظره في أرجاء الغرفة، متعجبًا أنها مصنوعة من جلود الحيوانات، وأمام مضجعه مباشرة جمجمة حيوان عجيب يشبه الذئب لكن هناك أشواك بين فروة عنقه ورأسه، ويضم فكه ثمانية أنياب.

[2] دوران: هو قائد قبيلة أزوران (المخلوقات الزرقاء)

اطمأن قلبه قليلًا للاعتناء بجسده، معتقدًا أن أسرة الصغير كانت ممتنة لما فعل، لكن كإجراء احترازي تصنّع النوم عندما شعر بخطوات شخص قادم نحوه، كانت فتاة تختلف عن الغيلان في الهيئة، بالرغم من أن لونها أخضر مثلهم، كانت أقرب لهيئة البشر، باستثناء شعرها البرتقالي المتموج، .وعيناها السوداوان، فلا يوجد في حدقتي عينيها سواه. تحسست جبهته لثواني ثم استمرت بالنزول، حتي استقرت يدها أعلى صدره، في موضع قلبه؛ وضحكت ضحكة فاترة قبل الانصراف.

استمر الأمر هكذا، قمر يذهب وتأتي نجوم مرصعة في السماء، يوم خلْفَ يوم حتى تعافى جسده، لكن روحه كانت مبددة، ومشتت التفكير. أعظم مخاوفه كانت تتلخص في معرفة من يكون، لم يخرج من الخيمة طوال تلك الأيام. حتى التوت أمعاؤه من شدة الجوع، وعقله كاد أن يزول من شدة الانتظار قائلا في ذاته "لمَ لم يأتوا كما هو مخطط".

حتى مساء ذلك اليوم حين اقترب من الخيمة ظلٌّ غيَّم على جزء من المكان، وقف ساكنًا للحظات، ثم أردف قائلًا: مهما كنت قويًا، سوف تعتصر معدتك من ألم الجوع، لا يمكن البقاء بالداخل للأبد، نعلم أنك مستيقظ، وإن أردنا قتلك لما تكبدنا عناء نقلك إلى هنا ومُداوتك.

عَلم حازم حينها، سر الابتسامة، لكنه ما زال مترددًا من الإجابة وظل ساكنًا يفكر، حتى ابتعد ظل من بالخارج، بعد أن يئس من تلقي الرد، وبعد عدة دقائق من التفكير لم يكن هناك حلٌّ آخر سوى الخروج والمواجهة لذا أزاح ستار الخيمة، وخطا للخارج بخطوات مثقلة، ليجد أمامه على بعد **10** خطوات مجموعة من (الغيلان)، وهم قبيلة تماثل البشر من حيث الحجم والطول، لكنها تتميز بعينين سوداوين، وشعر مموج لامع، يختلف ما بين الأحمر للإناث والأزرق للرجال، وثنايا بارزة بشكل طفيف في الفكين.

نظروا إليه بأطراف أهدابهم، وهم يلتفون حول موقد من النيران وأعلاه قدر يغلي مليء باللحم. وأكملوا حديثهم، دون أدنى اهتمام بتواجده، أما هو لم يشح بنظره ثانية واحدة، وراح يفكر في اللحم الموضوع في القدر، .هل هو شخص آخر جلبوه، وهل يحسنون التصرف معه، كالبقرة التي تسمع الأغاني وتدلل قبل ذبحها، حتى يكون لحمه طيبًا.

رمى بأنظاره داخل المكان ليبحث عن ضالته حتى ينتهي من العبث والتشتت داخل عقله، لكنه لم يجد ما يريد، وانتبه أنه بداخل كهف عملاق، وهناك الآلاف من المخيمات المتجاورة. وأمام كل واحدة عائلة حول قدر الطعام؛ (وقت العشاء).

وبرغم حلكة الظلام في بعض مناطق الكهف، كانت المواقد كالطريق نحو الخروج، تحرك حازم بين المخيمات، والغريب أنه لم يهتم أحدهم لتواجده بعكس الأطفال، كانت أعينهم مثبتة على خطوات الغريب، الذي يقطع المخيمات وقت العشاء نحو مدخل الكهف، وعندما يشير أحد منهم إلى حازم ، تنظر إليه والدته مبتسمة وتخفض يده بلطف، وتقترب منه تقبله وهي تفعل إيماءات برأسها، أن يتركه وشأنه ويهتم بالعشاء.

بعد وقت طويل تسلل الأمل إليه عندما شاهد مخرج الكهف، فلم يبق أمامه سوى ثلاث عائلات، لكن قبل أن يتخطاهم سمع قرع الطبول من نهاية الكهف وخلفها بدأت التجمعات للقتال، يدفع الأكبر سنًا الأصغر خارج التجمع بيده اليمنى؛ ويتناول الطعام باليسرى وعلى الفرد الأصغر، القتال وأن يتجاوزها ليتناول العشاء، أو البقاء هكذا حتى يهلك. أذهل هذا الأمر حازم الذي فغر فاه من الصدمة، وظل يشاهد في رهبة، الأم التي كانت منذ قليل، مصدر الحنان والأمان، تكيل اللكمات لصغيرها، وإن لم يتجاوزها، لن ينال شيئًا من الطعام.

أخرجه من هذا الذهول، صوت العجوز وهو يغمغم قائلًا: إن لم يفعلوها الآن، دفنوا أجسادهم في المستقبل. قالها وتقدم نحو مخرج الكهف، كان العجوز هو صاحب الظل الذي تحدث معه منذ وقت قصير.

تبعه حازم مهرولًا، بالرغم من أن العجوز كان أحدب الظهر يتوكأ على عصا، كان سريع الخطى كأنه يتحرك فوق الهواء ولا يسير على الأرض، لم يتمكن حازم من تبين الأمر، ملابس الجميع من جلود الحيوانات، تغطي فقط ما بين الفخذين للرجال، والمناطق الخاص للنساء، أما العجوز كان يلبس شيئًا مشابهًا للجلباب؛ فلا يظهر منه سوى ما يريد إظهاره.

جحظت عيناه، و توقف عقله حينها غير قادر على الاستيعاب، عندما وضع قدميه خارج الكهف لم يجد قمرًا في السماء، لا يوجد سوى نجوم مضيئة، متجانسة الأشكال متقاربة، إلى حد التلاصق. وأن الكهف على جبل يصل ارتفاعه **8000** قدم، عندما نظر من حافة الجبل إلى الأسفل، وجد أن الجبل يتكون من ثلاثة طوابق، في كل طابق كهف، بينه وبين الحافة **100**متر، وما بين كل طابق والآخر **2000** قدم.

لم تكن تلك الصدمة الوحيدة، عندما شاهد الأفعى للمرة الأولى، ظن أنها تعبر بين بعض الأشجار بجسدها الضخم، لكن من ذلك الارتفاع الشاهق، أدرك أنها تلتف حول جميع أشجار الغابة بلا نهاية أو بداية، فحيحها العالي كان كالهمسات التي تتجول داخله عقله، وتخبره عن قصه ما.

(جومير[3]) تمتم بها العجوز وهو ينظر للأفعى نظرات تبجيل ورهبة، ثم صمت لبرهة قبل أن يزفر قائلًا: تلك روح الغابة جومير، أفعى لا نهاية لها، يُقال أنها تجوب الغابات بجسدها، بحثًا عن حبيبها الذي قُتل، مسختها الآلهة، ولعنتها بالتيه في الغابات!

حازم: آلهة! أين أنا، ومن تكونون؟

اعتدل العجوز، وأشاح بجسده نحو حازم، وأسقط غطاء رأسه، ليظهر كامل تفاصيله، وجهه الأخضر المجعد، دقيق القسمات، وأكثر ما يميزه حاجباه الأبيضان، فارع الطول. وبدأ في الضحك بصوت عالٍ، تردد صداه في أرجاءِ المكان.

العجوز: لم أعرف أنك مضحك إلى هذا الحد! إذا من أي مملكة أنت! وما الذي دفعك للبقاء في الغابة، بجوار أبناء دوران؟

تغيرت ملامح العجوز، مستنكرًا ما يحدث عندما تراجع حازم بعض الخطوات للخلف، وتقدم نحو حافة الجبل، شدد على أسنانه من الغيظ، وصرخ بأعلى صوته، قبل أن يجثو على الأرض، وتنفجر الدموع من عينيه كالسيل يهدر ما بطريقه قهرًا وعجزًا.

[3] جومير: هي الأفعى أو روح الغابة أو الطبيعة كما يشاع عنها، تحمي قبيلة أزوران لسبب ما لكنها لا تقاتل معهم.

فلم يهدأ حتى اقترب العجوز منه، ووضع يده على كتفه، وتنهد قائلًا لا أعرف ما تمر به، لكن لكل شيء علاج، وتستمر الحياة، ولن تتوقف، .لذا يجب أن تواجه .

في ذلك الموقف كان حازم يجثو على الأرض ورأسه للأسفل ويبكي بحيث رأسه ووجهه من الصعب رؤيتهم وحين اقترب منه العجوز وبدأ في مواساته ارتسمت ابتسامة شيطانية على وجهه قائلا في نفسه: حسنا لقد مر كل شيء بطريقة سلسة وجيدة رغم انحرافها قليلًا لكن نجحت الخطة

الخطة: (عندما استيقظ حازم في تلك الحرب كان ينوي الهروب للنجاة، لكنه عندما تبين إصابته بالسم، أدرك أنه سوف يكون طعمًا لهم في النهاية، الهروب لم يكن حلا، لكن الهجوم أيضًا لم يكن حلا هو الآخر، لكنه عندما سمع صوت بشريٍّ، أدرك أن هناك تحالف بين البشر والغيلان ربما، فكانت الخطة وضع كل قوته في إنقاذ صغير البشر لينضم إلى جانبهم، لذا كان ينتظر قدوم البشر إلى غرفته وشكره على معروفه، وحين لم يحدث هذا أدرك أن الصغير كان للغيلان وأنه لم يستطع رؤيته جيدًا، لكنهم يتحدثون كالبشر، ومواساة العجوز له أدرك أنه حاز صفهم كما خطط حتى وإن لم يكونوا بشرًا)

نظر إليه حازم، بعيون مرغرغة، قائلًا: أنا لا أعرف من أكون، أو ما يحدث لي، وإن كان هناك أمر واحد أثق به أني لست من هذا الكون! عالمي لا تتزين سماؤه في النهار بالقمر، ولا في المساء بالنجوم دون القمر.

العجوز: تبًا، أنت تصدق الشمس!

عادت روح حازم إليه عند وقوع تلك الكلمة على مسامعه، وقف مسرعًا، حتى أصبح أمام العجوز مباشرة، يغمغم: أنت تعرف إذا!

العجوز: أجل، لكن قبل أن جيبك، أخبرني ماذا تتذكر عن نفسك؟

حازم: لا شيء واضح، أحيانًا ومضات، عن تواجدي في صراعات غير منتهية، لكني أذكر جيدًا، الأرض، الهواء، الشمس، لدي حياة، .لكن لا أتذكر تفاصيلها.

العجوز: لم يدمر السم أعضاءك الداخلية، لكنه له مضاعفات، لقد أعطيتك بعض الأدوية سوف تساعدك على التذكر ربما اليوم أو غدًا أو أبعد من ذلك لا أعلم، أما عن تواجدك فهناك قصة مشابهة لك في العصور القديمة، رواها لي أحدهم.

قال حازم بلهفه: من هو! وماذا قال؟

العجوز: قديمًا كان رجل يذكر هذا الأمر كنا نعتقد أنه مجنون، عن وجود عالم آخر، يشبه عالمنا، وفي بعض الأحيان يأتي إلينا بعضهم، بحثًا عن

(اكزاديا)، يدعوهم الناس بالعابرين، استمروا في المجيء لتحقيق أعظم ما يحلم به المرء. وجهة لكل السائلين.

حازم: ماذا تقصد بـ أعظم ما يحلم به المرء؟

العجوز: الأحلام، الأماني، يبدو أنك لا تعلم مجد عالم أكزاديا، هنا يا فتى يمكن أن تصبح ما تشاء، كل أمانيك كانت تجاب، قوة ليست لها مثيل، ثراء يفوق العقول، نفوذ وسلطان لا يزول، كانت تلك أماني العابرين، حتى قدم شخص غير مجرى التاريخ للأبد، سيد الأحلام (لورانس)، أعظم العابرين، تمنى أن يتحقق أماني الجميع، وهكذا تغيرت أكزاديا للأبد.

حازم: لمَ تمنى هذا؟ إن كانت هذه أرض الأحلام والأماني كما تقول!

استطرد العجوز كلامه: انظر إلى تلك الغابة، بجانبها (بحيرة سادان)، هناك أسطورة أنها مورد العابرين، ويقال أنها.

قطعت حديث العجوز زمجرة الغيلان من أسفل الجبل، الكهف الأول، وتبعتها بعض الهزات التي كادت أن تتسبب بسقوط حازم، لولا أن لحقته تابيا، (الفتاة التي اعتنت به، ذات الشعر البرتقالي)، أمسكت بتلابيب قميصه بأطراف مخالبها وهي تنظر إليه بأطراف أهدابها؛ دون رفع رأسها، شعر حازم حينها ببرودة اجتاحت جسده خوفًا، من النظر للأسفل، وهو على يقين أنها سوف تتركه، لكنها عدلت عن قرارها، حين زمجر العجوز غاضبًا، قائلًا: تابيا، يكفي.

دحرجة الصخور من أعلى منحدر الجبل، كانت سبب الزلزال القوي، الذي أفزع سكان الثكنات العليا، لكنها السبيل الوحيد، لإيقاف (قبيلة أزوران[4])، خلف أشجار (البران) الخالدة وأغصانها التي امتدت لتقارب نصف الجبل في الطول، اختبأت تلك المخلوقات الزرقاء خلفها وبين أغصانها حتى جن الليل، وبدأت المواجهة بعد هدنة دامت لسنوات، ملايين الأعين أظهر الظلام توهجها ما بين الغصون وبجانب الأشجار وأمامها.
على الجانب الآخر، في الثكنات الأولى بدأ دبيب الأقدام وأصوات الأبواق التي انتبه لها جميع الغيلان، ستة من الغيلان تقدموا بأنابيب أسطوانية الشكل، مزينة في نهايتها، بجمجمة حيوان يشبه الذئب، بدت الأصوات كأنها إشارات تعطي كل فرد موقعه.

توقف إلقاء الحجارة، وتقدم كل اثنين بحمل جذع شجرة، ثم أشعلوا بها النيران، وألقوها، لمنع تسلقهم الجبل وقتلهم، اعتمادًا على ابتعاد أشجار الغابة مسافة كافية عن الجبل، فلو أن مُطلَق الأمر بأيديهم لأحرقوا بهم الغابة دون رجعة، لكن خوفهم من جومير قيد تحركاتهم، لأنها ولسبب غير معلوم تحمي قبيلة أزوران، وتحافظ على تواجدهم، لكنها لا تدعمهم في الحروب.

[4] قبيلة أزوران: هم المخلوقات الزرقاء ولهم أنواع أخرى سوف تذكر لاحقًا.

أما الثكنات الثانية، كان تدعم القتال عن طريق الرماة، يقتلون من ينجو من جذوع الأشجار المحترقة. حتى غطت دماؤهم اللزجة أسفل الجبل، فأصبح كبحر من الدماءِ السوداء، ظل الأمر طوال الليل، انتصارات متتالية للغيلان، وقتلى من المخلوقات الزرقاء، حتى أوشك القمر على الظهور ليعلن بدء يوم جديد.

سمعوا جميعًا صرخات أشبه بالزئير قادمة من شجرة يتواجد عليها بمفرده، أسكتت كل المخلوقات، عيناه البراقة كانت مليئة بالغضب، حمراء كالدماء المشتعلة، بثت الرعب في قلوب الجميع، حتى أقرانه من المخلوقات، ابتعدوا جميعًا في خوف.

قطب العجوز حاجبيه، وتنهد بشهقة طويلة قائلًا، دوران!

بثت تلك الكلمة، الرعب داخل تابيا، .حتى أنها تراجعت للخلف وسقطت على الأرض، وأطرافها ترتعد من مجرد ذكر اسمه. أما حازم، كان في حيرة من أمره هل يساعد تابيا ردًا للجميل؟ أم يدرك مصيبته؟ بأن دوران يثبت نظره عليه دون غيره، وتبعته كل المخلوقات الزرقاء في نفس الفعل، حتى انتهى الظلام وبدأ القمر في الظهور، واختفت المخلوقات.

بدأت الحرب أسرع مما يتخيل حازم، وحمد الله أنه في صف الغيلان، لكنه أيضًا تعجب من فعل الثكنات الثالثة التي لم تشترك في الحرب، كان الجميع

بالداخل وكأن شيئًا لا يحدث، وهذا ما أثار حفيظة حازم، بالدخل يوجد رجال أقوياء يمكنهم القتال، ومع ذلك هم يختبئون بجانب عائلتهم. والسؤال الأكبر الذي عصف ذهنه للإجابة عنه دون الوصول إلى حل، إن كان دوران يريد قتله ما الرادع الذي يمنع الغيلان من التضحية والفداء به للنجاة؟

الفصل الرابع

المسعى

بعد قطع العديد من الأميال؛ وصل العجوز قائد الثكنات الثالثة إلى نهاية قعر الجبل المجوف، حيث مجموعة من الغيلان، كانت تصطف، محملة بالدروع والرماح، تحرس آلة في المنتصف؛ والتي كانت بالغة الأهمية بالنسبة لهم. اعتقد حازم أنها السلاح السري، القادر على إنهاء تلك الحرب. لكنه أصيب بخيبة أمل، وأصبح مُتجهم الوجه، عندما صعد العجوز و تابيا، وأمره بالصعود للنزول للأسفل.

حلقة الوصل بين الثكنات الثلاثة، تم حفرها على مدار سنوات، وكانت السبب الرئيس في بقاء الغيلان، والغويران، وصمودهما أمام قبيلة (أزوران). استقر الصاعد بالثكنات الأولى، مرورًا بالثكنات الثانية التي كانت أشبه بمعسكر قتالي، آلاف الغيلان في مجموعات متساوية الأضلاع، وأيديهم اليمني على صدورهم احترامًا لمرور قائدهم، كان الأمر أشبه بموكب عسكري لأحد الملوك، ظهر من وسط تلك التجمعات التي انقسمت لمجموعات صغيرة على جنبات الكهف، غول قصير القامة، دون أنياب،

محطم الوجه، ولم يظهر جزء من جسده إلا وكان يحمل به ندبة قديمة، تركت أثرًا عميقا. صعد هو الآخر بجانبهم، وهو ينظر بجانبي عينه، إلى حازم ثم غمغم قائلًا بصوت غليظ: أنت تدلل الغرباء (أردان[5]) وتجعلهم يُجالسون الملوك.

صمت رهيب ساد ذلك الموقف، وأنظار الجميع تراقب العجوز منتظرة الإجابة، ما عدا حازم، الذي كانت البلاهة ترتسم على أطراف وجهه، وظن أن (أردان) هو أحد الحراس خلفهم في الصاعد اليدوي.

أردان: وأين الشرف، إن لم نُكرم من أنقذ طفلًا منا، (دوفا[6])!

استقر الصاعد بالثكنات الأولى، وحازم يحاول جاهدًا أن لا تتلاقى عيناه بذلك الغول القصير متجهم الوجه، لشعوره بخطورته في تغيير قرارات الغيلان، وانتظر حتى نزل الجميع ثم مشى خلفهم بالثكنات الأولى، حيث كانت الغيلان التي شاهدها حازم في البداية، لكنه الآن يشاهدهم على وجه أوضح، أجسادهم العملاقة، المهيبة، ونظراتهم الوحشية خالية من الحياة؛ كأنهم مسوخ غير بقية الغويران.

[5] أردان: كان لقبه القديم أردا لكنه تغير ليصير أردان بعد أن جمع الغيلان.
أردان: زعيم الغويران الأكبر سنًا وحكمة.
[6] دوفا: القائد والملك الشرعي لجميع الغيلان والغويران معًا.

داخل أعماق الغابات الملونة، وعلى بعد ١٠٠ ميل من بحيرة سادان، توجد أشد المناطق ظلمة، فلا يزورها نور القمر، منذ وجود جومير التي تغطي بجسدها العملاق مدخل كهف عميق، متصل بملايين الحجرات تحت أرض الغابة، فلا تفتح المدخل سوى باتصال جسدي بينها وبين دوران نفسه، يضع كف يده على حراشفها الملساء، يستأذنها للخروج، وبالمثل في الدخول.

يتكاثرون بسرعة تفوق التصور، يولد الطفل منهم؛ ليكمل عامه الأول، ثم يكبر حجمًا وعقلًا بمقدار ما يتناوله من لحوم، فيبلغ الفرد منهم ويصير قادرًا على القتال خلال بضعة أعوام.

أشتاط دوران غيظًا؛ فصار يحطم جدران السراديب بمخالبه الحادة، ليقتلع أجزاء من الحجارة؛ يحطمها بيده في ثورة غضب عارمة، وهو يتوعد الغيلان والغويران بالموت.

في النهاية حَكَمَ عقله وحاول أن يكبح قلبه المُهْتاج غضبًا، كي لا يستخدم عقده، استوى على عرشه، وبجواره من تبقى من جثث أبنائه، .وأمامه الآلاف يتناولون طعامهم، وهم من قتلوا أو جرحوا في الحرب، حيث يزداد الفرد منهم قوة وتتغير هيئته الجسدية كلما تنوع اللحم، على وجه الخصوص لحوم من قتلوا بالقتال من بني جلدتهم.

جلس الزعماء الثلاثة؛ يتشاورون في مصير حازم، والحرب التي على وشك الظهور بعدما أرسلوه للخارج تلبية لرغبة دوفا والعادات، وبدأ النقاش أردان بكلمات حكيمة: أعرف، أننا لن نستطيع أن نصمد، قِبَالَة قبيلة أزوران، وعلى وجه آخر لن نستطيع أن نخالف العادات، ونقدم لهم شخصًا كان له فضل علينا، أشيروا علي أنا أستمع

الغول العظيم[7]: بوووراام

قالها متلعثما، بلسان مُثقل، وتبعه جمع من الغيلان القريبة، بنفس الكلمة لكنها لم تكن واضحة مثل قائدهم .

دوفا: إن كان رأى الغول العظيم هو تأييدك فيما تقول، فسوف أخضع لك بالمثل.. أردان أنا لا أنسى أنك معلمي و محرر الغيلان.

أردان: يُشرفني أن أقود الغيلان، على الرغم من اختلاف أشكالنا وحديثنا، بعضنا لا يجيد التحدث سوى ببعض الكلمات في بعض الأحيان، والبعض الآخر لا يجيدون، أن يعتنوا بأنفسهم ولَمَات أغلبهم من الجوع والمرض، ونحن لا نجيد القتال، لكننا أصبحنا جمعًا غفيرًا لا يُستهان به عندما وحدنا

[7] الغول العظيم: هو القائد الأقوى بين الغيلان ويستطيع قول كلمات بسيطة بدائية عكس بقية جنوده صفات التوحش والشراسة هي الغالبة عليهم.
قبل سنين طويلة كانوا جميعًا غيلان، فتطورا معظمهم ليصبحوا الحلقة الوسطى بينهم وهم الثكنات الثانية، والجيل الأخير في التطور هي تابيا تملك صفات بشرية أكثر من الجميع.

صفوفنا للقتال، ولن أخاطر بموت أبنائنا، .لذا إن كان دوران يريد هذا العابر انتقامًا لموت أحد أقوى أبنائه، فليكن، سوف نتخلى عنه.

دوفا: ماذا!، ظننت أنك لن تضحي به!

الغول العظيم: بوووراام

أردان: لن أفعل، هناك أسطورة قديمة عن العابرين، أنهم يأتون من بحيرة سادان، لكنه لن يستطيع الاقتراب منها، لذا قررت أن أرشده، لمنبع البحيرة الآخر.

دوفا: لا، لا، أنت لا تقصد مدينة الآلهة، لن يصل إلى هناك، سوف يُقتل، حتى وإن وصل هل تدرك كم المخاطر إن علم، (لوسيران) بوجود ذلك العابر!

أردان: أعلم، لهذا سوف ترافقه تابيا، وتحرص على سلامته حتى يذهب إلى عالمه، نحن مدينون له بهذا. وأيضًا لن يكون هناك سبب يدعوا للحرب، سوف ينشغل دوران بالبحث عنه، عندما تزول رائحته وتبعد عن الجبل!

الغول العظيم: أوفاارااا

دوفا: أنا أيضًا، أعتقد هذا، لن توافق تابيا.

أردان: دعوا الأمر لي .

حلّ المساء وتزينت السماء بالنجوم كعادتها؛ قدورة كبيرة نحاسية، يطبخ بها كم هائل من الطعام، في الثكنات الثالثة، ويرافقها الجنود للأسفل،

حتى يأكلوا ويشبعوا، ثم تقام الولائم في الثكنات الثالثة، وتقوم معركة بين الصغار وأمهاتِهم كالسابق.

على مسافة قريبة من تلك الولائم، كانت توجد خيمة أردان؛ بداخلها حازم وتابيا، يجتمعون حول طاولة مستديرة، يتناولان الطعام، قدر كبير بداخلة قطع كبيرة من اللحوم المسبوكة جيدًا ببعض الخضراوات الطازجة، وبجانبها قدر آخر من الفواكه.

أصبح يأكل بنهم شديد، حتى أن تابيا شعرت بالاشمئزاز، بسبب تساقط قطع اللحم حوله أثناء الطعام، وصوته المزعج أثناء مضغه اللحم، كان يسمع الجميع صدى ذلك الصوت، ويعذره البعض لأنه لم يتناول الطعام منذ مدة طويلة، وكان بالكاد يمكنه أن يقف على قدميه.

أردان: ينبغي لك العودة من حيث أتيت، بالتأكيد هناك من يهتم لأمرك في عالمك!

حازم: لا أعرف من أنا! لكني أريد العودة حتى أتحقق من ذلك، لكن كيف؟

أردان: قد تكون تلك الأسطورة قديمة لكن أنت الدليل على صحتها؛ هناك منبع آخر لبحيرة سادان بمدينة الآلهة؛ هي أملك الأخير للعودة.

حازم: كيف!

تابيا: قديمًا، كانت تدعى بحيرة أحلام العابرين.

أردان: أجل، وسوف ترافقك تابيا، في رحلتك.
تابيا: ماذا!، هذا لن يحدث.

ارتبكت الأمور عندما وثبت تابيا من فوق مقعدها، والتفتت إلى حازم برأسها دون جسدها، ونظرات الغيظ والغضب تمتلكها، تمنت في تلك اللحظة أنها تركته ليسقط من فوق الجبل ويصبح طعامًا لهم. أو أن تقتله الآن، لكنها عدلت عن تلك الفكرة، وهمت بالرحيل دون أن تنبس ببنت شفة أخرى، اكتفت بالنظر إليه، حتى غابت عن أنظارهم.

حازم: أنا آسف، لم أقصد أن أتسبب في هذا الأمر.
أردان: منذ سنوات طويلة، اتخذت مثل تلك القرارات، ولم أندم، أريدك أن تعدني أن تعتني بها، هل تفعل؟
حازم: سوف أبذل ما في وسعي، أعدك أردان!
أردان: لم تخبرني بلقبك إلى الآن؟
حازم: أخبرتك من قبل، لا أذكر شيئًا، ادعني كما الآن، بالعابر، حتى أعود لوطني.

أنهى أردان حديثه وأمر حازم بالراحة، وأن يتجهز للرحيل غدًا، حاول خلال تلك المدة التفكير حول ترك الغيلان أو الغويران، هل هو الحل الأمثل أم إنها مخاطرة صعبة.

توجه أردان نحو تابيا التي كانت تطالع النجوم بوجه شاحب، وقف بجوارها لدقائق دون أن يتكلم، ما بين الحين والآخر ينظر إليها بجانب عينيه، ثم غمغم قائلًا: كنت شابًّا يافعًا عندما توليت قيادة القبيلة، بالتأكيد هناك لحظات يتملكنا فيها الخوف، لكن إن استسلمنا سوف نفقد كل ما نملك حتى أنفسنا.

صرخات أحد الغيلان العملاقة، أفزعت كل من في الشكنات الثلاثة، استقر رمح في صدره، عندما شعر بحركة بالقرب من منحدر الجبل، ليتفاجأ بذلك الرمح ليُصرع قتيلًا من فوق حافة الجبل، ويتبعها وابل من الرماح من أعلى الأشجار وهجوم مكثف من الأسفل برماح مصنوعة من عظام بشرية.

كادت أن تصيب تلك الرماح تابيا، لولا تدخل حازم وجذبها من يدها، ليسقطا أرضًا محتضنًا إياها، ليمر الرمح من فوق رأسيهما ويستقر بحائط الجبل.

فأصبح شعرها المموج عازلًا أسكت ضجيج كل شيء، وثغرها المبتسم هو الحياة بذاتها، لم يسبق أن دقق بتلك التفاصيل الصغيرة، ملامح وجهها الطفولية، وأنيابها الصغيرة مقارنة بباقي الغيلان، وجهها كان الأقرب للملامح البشرية وأن عيناها السوداوان، أضافتا لها بريقًا خاصًا.

هرول أردان نحوها في ذعر اجتاح ملامحه، أفاقت تابيا من تلك اللحظة منزعجة، وهي تزمجر قائلة: كيف تجرؤ أن تسمح لنفسك بلمسي أيها الوغد!

حازم: مرحبًا، علي إنقاذ حياتك!

تابيا: أنت...!

أردف أردان بغضب شديد من بلاهة تفكيرهما : يكفي!، ليس لدينا وقت، اتبعاني الآن هيا.

اشتعل القتال بين الطرفين، ولم يتلوّن المنحدر كعهده السابق بدماء لزجة، بل كانت دماءً خضراء، مختلطة بدماء حمراء كالبشر. فقدت الغيلان مجموعة كبيرة ومتنوعة من كل الثكنات، لم يتوقعوا أن يستخدم هؤلاء الوحوش رماح لقتل من داخل الثكنات.

في خضم تلك المعركة، وصل أردان إلى خيمته، وأمر حازم أن يزيح كتلة حجرية كبيرة موضوعة في إحدى أركان الخيمة، تفاجأ حازم من بلاهته لعدم تفقده الخيمة أو الشك في تلك الصخرة، وأن هناك سردابًا مظلمًا أسفل الحجر وقبل أن يتكلم بادره أردان قائلًا: سوف يخرجكما ذلك السرداب لخارج الجبل، عليكما أن تسرعا.

أومأت تابيا برأسها رفضًا، متحججة أنها لن تترك قومها وترحل، لتقوم بتوصيل شخص غريب إلى ضالته، لكنها استكنت ونزلت للسرداب، عندما ضمها أردان لصدره وهمس ببعض الكلمات في أذنها، ونظر أخيرًا إلى حازم وهو يعطيه شعلة لإنارة الطريق لهما، وحقيبة بها كل ما يحتاجان في رحلتهما.

....

أسرع أردان بالعودة لمقدمة الجبل، ليجد أن دوفا صعد للبحث عنه، يتكئ على أحد جنوده ، بعد إصابته بأحد الرماح ورغم تضميد جراحه ما زالت تنزف بغزارة وهو غير مبالٍ بها أو بأي شيء آخر سوى إنقاذ القبيلة.

أردان: هل أنت بخير؟ جراحك!

دوفا: دعك مني الآن، إن لم نتصرف سوف نفقد الجميع.

أردان: لدي حل، لكنه قد يتسبب بموتنا، وقد نعيش لا أعلم!

دوفا: ماذا تنتظر، أخبرني.

هبط دوفا لجنوده، وأخذ أقواهم، وأمر الباقين بالصمود، متجهًا إلى الأسفل، وأملَى على الغول العظيم خطة أردان، أن يتقدم رجال الثكنات الثانية في تشكيلة جماعية وأمامهم الدروع، لكسب الآخرين بعض الوقت، لحرق جذوع الأشجار، ولكن هذه المرة يلقونها بأقصى قوتهم؛ لتشتعل النيران بالغابة، وقتلهم شر قتلة.

تابيا: لا، لن أستطيع أن أتركهم، سوف أعود.

حازم: أنت مُحقة، .لا ينبغي لك أن تؤازري شخصًا مجهول الهُوية مثلي، لا أعلم إن كنت صالحًا أم لا!، لكني خرجت من خيمة أردان حتى أخبره أني لا أريدك معي ويجب أن تفعلي ما يمليه عليك قلبك، لكن بالنهاية وجدت نفسي أنقذك من الموت، فكرت كثيرًا ماذا سوف يحدث إن لم أخرج، أيقنت أن لكل شيء سبب، مثل تواجدي هنا.

أبطأ قلبها وهدأت نبضاته حتى أن صدرها ما عاد يصعد ويهبط، عند الشهيق والزفير، متسائلة في مكنونات نفسها (هل سوف يتخلى عن أمله الوحيد في النجاة) شعرت بمشاعره الصادقة وأنها ربما ينبغي لها أن تعامله جيدًا.

وقبل أن تجيبه بابتسامة خافتة للمرة الأولى، شعر كلاهما برجة جعلت قلب الجبل يتزلزل وكأن صاعقة أصابته، وبدأ الغبار يعلو النفق، وتتساقط أجزاء من الخلف، نظروا إلى بعضهم وبدأوا بالهروب نحو طريق الخروج.

أثناء الهروب من النفق حمد الله كثيرًا أن خطته نجحت للمرة الثانية: خروجه بفرده لا يفرق كثيرًا عن الموت هنا والآن، لذا كان يفكر مليا في كسب ثقة تابيا لمرافقته، لذا عندما سمع صوت صرخات الغيلان أسرع

بالخروج للمساعدة، فكان القدر بصفه عندما أنقذها، تلك الخطوة كانت الأولى أما الثانية تتعلق بحرية القرار وأنها محقة في تركه، إن كانوا يشبهون البشر فالاحتياج والشعور بالامتنان هم الخطوة الأولى نحو الثقة، واستطاع كسر ذلك الحاجز بمساندتها في الرجوع لقومها. وهو يعلم جيدًا أن تلك الحرب مهما طالت محسومة جيدًا لذا جعلها أردان ترافقه، بالنهاية حصل كلٌ منهما هو وأردان على مراده ربما.

الفصل الخامس

وجه بين السحاب

نفوس محطمة، وأجساد ممزقة، وأخرى قلوبها في غير موضعها، تلونت عيناه بالدماء، أصبحت الرؤيا ضبابية، ليرى القيد في يديه بصعوبة و يُجَر إلى المجهول وخلفه الباقون من أبناء جلدته، يُساقون في صفوف، خلف بعضهم في سراديب مليئة برائحة جيف عفنة، متخمة بالشؤم، وكل موضع قدم يدهسون عظام من سبقهم إلى سراديب دوران .

دوران: مرحبًا، أردان!

وقف أردان أمام عرش دوران، بملابس ممزقة، وجسد تغطية الجروح، وتكلم بصوت متهدج والدماء تنساب من بين أنيابه: ماذا تريد؟

دوران: أين العابر والفتاة ذات الشعر البرتقالي؟

أردان: اقتلني!

دوران: أظن أنك لم تسمع جيدًا ما أقول، لم نعثر على جثة الفتاة والعابر، أين ذهبا؟

تنهد أردان قائلًا: سحقًا لك.

وثب دوران عن عرشه، وذهب بفخر إلى كومة كبيرة في إحدى الزوايا، مغطاة بقماش مهترئ، وقيود حديدة مثبتة في الحائط تظهر بوضوح في ثلاثة اتجاهات مختلفة وما أن رفعها، اغرورقت عين أردان بالدموع، وبدأ بالسب والشتم في محاولة منه للتحرك والهجوم عليه، لكن جسده المحطم والقيد في يده منعاه من التقدم خطوة واحدة إلى الأمام، اكتفى بالبكاء على عجزه، وهو يرى الغول العظيم أمامه مقطوع الأيدي والأرجل، ينظر إلى أردان و يغمغم بكلماته الأخيرة بصوت خافت: آسف لأني غير مفيد!

....

كاد أن يسقط فوق الصخور المدببة في نهاية السرداب، لولا أن أنقذته تابيا للمرة الثانية، تبدت علامات الاستفهام أعلى وجهه غير مصدق أنه أمام محيط هائج، تتلاطم أمواجه والصخور خلف الجبل، وقبل أن يتكلم ألجمته الصدمة، إنسان في هيئة حازم، لكن رقبته بين السحاب يغطي المحيط نصف جسده فقط، توقف ومال برأسه ينظر إلى حازم وتابيا، الذي كاد أن يموت من هول ما يرى. ثم بسط يده أمامهما ليصعدا.

تابيا: حراس البحار هيروس[8]، اتبعني ولا تفعل أي شيء مريب حتى لا يكون مصيرنا هذا المحيط الموحش!

[8] الهيروس: هم عمالقة البحر أو روح البحار

بعد أن بسط العملاق يده، صعدت تابيا وخلفها حازم بقدم مرتعشة، كأنهما حبتي قمح في يد عملاق بالغ من البشر الطبيعيين، والتفت وهو يضم يديه إلى صدره، شهق حازم حينها في ذهول من ذلك الارتفاع تمكن من رؤية الغابات الملونة وحجمها الحقيقي، وأن المحيط هو نصف الكوكب يفصل بين الغابات والوجهة الأخرى المجهولة له.

وما إن وصلت يد العملاق إلى صدره، شاهدا أقفاصًا حديدية، معلقة بسلاسل وجميع السلاسل متصلة في النهاية بحلقة من الحديد حول رقبته، وتلك الأقفاص بها الملايين من المخلوقات الغريبة، أراد أن يتكلم، لكنها بسرعة وضعت سبابتها على فمه، أشارت له بإصبعها أن يلتزم الصمت، ويفعل مثل ما تفعل، أخرجت يدها
من بين فتحات القفص الحديدي منتظرة شيئًا ما..

بعد عدة دقائق، قفز كائن ما يشبه القرد ذو أنياب صغيرة وأعين واسعة لطيفة، متشبث بالقفص، أفزع الأمر حازم ورجع إلى الخلف، لا إراديًا من ظهوره المفاجئ، شعر ببعض الغرابة أنه في القفص والقرد بالخارج، وقبل أن يبدي أي تصرف، قضم القرد يد تابيا الممدودة خارجًا، لكن الغريب أنها لم تتحرك أو تفعل أي شيء، وأخرج القرد جرة صغيرة مربوطة بسلسلة حول جسده، ووضعها تحت يد تابيا، ليجمع الدماء، ثم رحل في صمت.

هرول حازم في خوف، وأمسك يدها ليوقف النزيف، لكنه تفاجأ أن القرد لم يؤذها بل وخذ يدها بأحد أنيابه ليأخذ بعض الدماء.

نظرت إليه بابتسامة، لتجد القلق والتوتر في عينه، ويده المرتعشة وهو يتفقد الجرح، ربتت على يده بلطف، ونطقت للمرة الأولى بعد أن تنحنحت عدة مرات، كأن الكلام لا يريد أن يغادر حلقها: لا بأس أنا بخير، لكن الآن دورك، ولا تقلق أنا بجانبك.

حازم: دوري!

تابيا: تلك هي الرسوم، لقد أثبتنا حسن النية الآن؛ لهذا يمكننا الكلام، يجب أن نكمل أو سوف يلقون بنا لكائنات البحر المرعبة، بعد أن يأخذوا الدماء من أجسادنا.

حازم: لماذا! يمكنهم قتلنا من البداية!

تابيا: هيروس هم ثلاثة أخوة يعيشون في المحيط، الفاصل بين القارتين، غابات أزاروكس وبقية العالم.

مُحرّم عليهم أكل البشر، لذا ندعوهم بروح البحار، لأنهم الوحيدين الذين يأكلون منه ويشربون، يأخذون على عاتقهم نقل الأفراد مقابل أخذ بعض الدماء داخل قنينة، ثم يجتمعون كل مدة من الزمن، يضعون الدماء في إناء كبير في منتصف المحيط، يطهون به نوعًا معينًا من الأسماك في طقوس معينة، هذا ما قيل عنهم.

قبل أن يعقب حازم على كلامها، لمح بطرف عينه، قردًا آخر متشبث بالقفص لكنه أكبر من السابق وأسنانه أكثر حدة، ينظر إليه نظرات ضيق، وأردف قائلًا: ليس لدي اليوم بطوله، لدي الكثير من العمل اليوم أيها القبيح!

....

ذبح دوران ما تبقى منهم واحدًا تلو الآخر حتى بقي أردان، فأودعه أحد السجون، وأمرهم بفك قيده وعدم المساس به، متحججًا كونه مثخنًا بالجراح وعلى شفير الموت، ويريد أن يُبقيه أطول وقت، أملا في عودة الفتاة من أجله.

لكن سرعان ما عاد إليه بعد ثلاثة أيام، عندما علم أنه يرفض الطعام المقدم إليه أو التداوي.

دوران: لقد نجا.

نظر إليه أردان بأطراف عينيه، دون أن يرفع وجهه، وأشاح بجسده للناحية الأخرى ليستند على الأرض، ويلتقط الصخرة المدببة، التي أخفاها منذ يومين عندما وقعت من أحد جدران الزنزانة، وظل صامتًا يستدرج دوران، حتى يدنو منه.

دوران: لكان أباك فخورًا بك، قائد الغيلان، ومحرر العبيد أردا، أووه نسيت أنت الآن تدعى أردان.

قشعريرة تملكت كل جزء من جسد أردان، حتى أنه أسقط الحجر من يده دون أن يدري. واستدار ناحيته بأعين جاحظة، والذهول يتملكه يتساءل داخل عقله (لم يعرف أحد الغيلان أو الغويران هذا الاسم، فمن يكون!)

أردان: كيف لك أن تعرف هذا الاسم؟!

دوران: هاهاها، نتقاتل منذ **300** عام، نقتل منكم وتقتلون منا، لكنك لم تفكر يومًا، لمَ لم يقتلك أحد من رجالي عندما تمكنوا منك مرات عديدة، ولم تتساءل لماذا لم يقتلوا الغول القصير دوفا، ابنك!

أردان: ماذا!

دوران: أخبرتك مسبقًا لقد نجا، لم أدعهم يقتلوه، لكن إن عاد سوف يموت، لن أصفح مرتين!

أردان: كيف علمت أنه ولدي، ومن أخبرك بلقبي القديم!

دوران: سوف أخبرك وهذا معروف أخير، عندما اشتدت الحرب، وكان حلك الأخير، أن أشعلت النيران بجذوع الشجر، وأمرتهم برميها نحو الغابة؛ لتحرقنا وأنت مطمئن، كونك في مأمن من النيران...

أكمل أردان بلهفة: أجل، تذكرت، من الجزء الغربي أتت عاصفة شديدة، أخمدت النيران، وبعدها بثواني طرت بالهواء بين الحطام واصطدمت بإحدى الأشجار، فاقدًا للوعي.

ليكمل دوران بنبرة ساخرة مستهزئًا بقواه: حطمت جومير[9] الثكنات الثلاثة بطرف ذيلها؛ عندما سقطت أرضًا فاقدًا للوعي، رأيت دوفا ينطلق نحوك يحاول حمايتك، وهو يناديك بأبي، لذا تركته يرحل!

أردان: اعتنيت به منذ أن كان رضيعًا، لكنه لم ينطقها ولو لمرة واحدة، كان والده شخصًا صالحًا.

أردف دوران بسخرية: أوه، هكذا إذا! لقد ضاع صيد ثمين!
نظر أردان بغضب، وعبر عن الأجيج الذي ألهب صدره بمقتل قبيلته قائلًا: سوف أقتلك أيها الوغد، أقسم أني سوف أفعلها.

أجابه دوران بنبرة أقل وتيرة متعجبًا: حقا! هل هكذا تعبر عن ودك تجاه أخيك الصغير؟!

[9] جومير: لا تتدخل في القتال كما قيل سابقا لكنها ترعى الغابة مسكنها وتلك أولويتها الأولى، لذا تدخلت على الفور، حين قصد الغيلان والغويران إحراقها باعتباره حلًّا أخيرًا لهم.

الفصل السادس

قارورة الدماء

على الرغم من علو صوت أمواج البحر؛ بسبب اصطكاك سيقان العمالقة، التي تقطع البحر في طريقها نحو البر. كان هناك صوت نحيب مختلط بضحكات مكتومة، يمكن سماعه على بعد أميال. أمر فريد لم يحدث من قبل، حيث رفض القرد أن تمس أنيابه يد حازم، بعد أن وصفه بالجاهل والدنيء، وأخرج سكينا من جيبه، وأحدث جرحًا بيده، ثم ملأ قنينة كاملة، ورحل وهو ينظر إليه باحتقار شديد.

نظر حازم نحو تابيا هو الآخر مُحتجًا على ما يحدث معه: قرد لعين، في عالمي ذلك القرد يوضع في قفص ويلعب به الصغار.

ثم أكمل بصوت عالٍ: تبا لك أيها القذر.

هنا، انفجرت تابيا ضاحكة حتى ظهرت نواجذها، شاركها حازم الأمر حتى أنه لم يشعر بيده التي تقطر الدماء، لكنها انتبهت للأمر. ظلت تتأمل ثوبها المتسخ، وجلده الذي لا يصلح لتضميد الجروح، فطن حازم لتحركات عينيها

الحائرة بالمكان، فمزق قطعة أخرى من طرف قميصه ليتساوى الطرفان، وأعطاها لها.

حازم : شكرًا
تابيا: الغيلان يهتمون بالرفقة، ونحن رفقاء حتى تصل إلى وجهتك بأمان.
حازم: جيد.

نظر في الاتجاه الآخر مبتسما أن خطة الخوف وادعاءه الاهتمام بيدها مرت على خير، وجعلتهما الآن رفيقته، وإن استمر الأمر هكذا سوف يغادر هذا العالم الأحمق على وجه السرعة.

لكن الأمر لم يكن بسيطًا كما توقع، تركت تابيا يده قبل أن تعقد الرباط، كأنها تذكرت أمرًا مهمًا حيث توجهت إلى نهاية القفص، بعين تأبى الثبات تتحرك في كل النواحي، كأنها على وشك ذكر أمر يرتجف له فؤادها، ويأبى حلقها أن يخرج أي كلمة، لكنها بعد عدة دقائق من فرك يدها معًا، وعلو دقات قلبها نظرت إليه بوجه بائس قائلة بصوت خافت: أريد أن أخبرك بأمر مهم قبل أن نصل إلى اليابسة.

تغيرت ملامح حازم وشعر داخله بـ قلقها فيما تريد قوله، فـ بادرها بابتسامة عريضة على وجهه وغمغم بلطف قائلًا: كل شيء بخير، يمكنك قول أي شيء، فأنتِ في النهاية قائدة الرحلة.

تابيا: لم يكن العالم دومًا هكذا، كانت هناك حرب تدعى بالسيادة، التي أدت إلى فناء الكثير من البشر، وبعدها أمر (لوسيران) أتباعه ببناء جدران ضخمة خلف مدينة أسموديوس حتى يفصل العالم الحديث عن غابات أزاروكس، يحرسها آخر التنانين من السماء، بموكب ضخم يقطع الأراضي كل ٥ ليالي، فعل كل هذا بسبب قوة الاتحاد التي كادت أن تهلكه، هل فهمت ما أعنيه؟

فتح حازم فمه غير مستوعب ما يجري حوله، ثم أردف ببلاهة قائلًا: أوه، لم أفهم هل يمكنك التوضيح أكثر! ماذا تقصدين بالبشر؟

تابيا: جميعنا، الغيلان، قبيلة أزوران، في الأصل كلنا بشر مثلك، تلك الحقيقة، بل هناك اتصال وثيق بيننا.

أردف حازم بقلق: تبًا، هل سوف أتحول مثلكم إذا، وما سبب القتال بين القبيلتين، لقد ذكرت تحالفًا منذ قليل!

تابيا: الأمر معقد، أنا لم أستوعب كل شيء، كل ما أعرفه أن في الماضي كان يحكم الغابات (أزاروكس) ملك الغيلان و(بعلزويل) ملك قبيلة أزوران. بالتعاون مع ملك المدينة الزائلة (اسموديوس)، ألحقوا بجيوش الملوك الأربعة أضرارًا بالغة، (مامون، بلفيجيور، ليفياثان، وعلى رأسهم لوسيران)[10].

[10] قديما أثناء وقت حرب السيادة.
كان يحكم الغابة أزاروكس ملك على الغيلان قبل التطور وقبل تواجد دوفا أو أردان بمدة طويلة.
وبعلزويل ملك لقبيلة أزوران (المخلوقات الزرقاء)

حازم : وكيف انتهت الحرب، وهل هم أيضًا مثلكم، أقصد تحولوا؟
تابيا: قُتل بعلزويل، على يد أزاروكس بعد أن خانه وانضم إلى إخوته. مات أزاروكس متأثرا بالجراح، سجن اسموديوس، .في سجن أبدي غير معلوم!
حازم: إذا بعلزويل هذا، أخ للملوك الأربعة، لم خانهم من البداية؟!
تابيا: الملوك الستة، جميعهم أبناء سكوبي، ابنة ليليث.

قبل أن يتكلم حازم معلقًا على عدم فهم، صرخ مُرتعبًا وهو يبتعد مستندًا إلى آخر القفص المثبت على جسد العملاق. حين تفاجأ بذات القرد ينظر إلى تابيا بابتسامة وعين جميلة يتصنع بها اللطف، وينظر إلى حازم بوجه متجهم يبرز أنيابه ويشتد عليهم غيظًا.

يحمل هذه المرة، سلة مليئة بالفواكه والخضروات الطازجة، أخذ منها مجموعة مختلطة من كل نوع، وقدمهم لتابيا بكفي يده، حتى لا يسقط منها شيء في المحيط، بسبب الفتحات الموجودة في القفص، والتي سقطت منها الحقيبة التي أعطاهم أردان إياها.

والمدينة الزائلة كانت تحت ملك أسموديوس
وهناك أيضًا بلفجبور، وليفياثان ولوسيران ملوك لمدن أخرى وجميعهم أبناء سكوبي ابنة ليليث.

في الوقت الحاضر.
حاكم مدينة أسموديوس هو أسدان ملك قبيلة الكوادر (التماسيح الفضية)، وتلك هي المدينة الأولى على ضفاف المحيط الفاصل بينها وبين غابات أزاروكس

ثم لاحت أنظاره نحو حازم وعلى وجهه ضحكة خبيثة، وهو يخرج من حقيبته موزة واحدة، ثم مد ذراعه بشكل بسيط ينتظر تقدم حازم، الخطوات الفاصلة بينهم، وقبل أن يأخذها أسقط الموزة من يده، ليكون مصيرها المحيط، وأصبح يتأمل كل واحد منهما الآخر لثوانٍ ثم غمغم القرد بسرور ظاهر في صوته: أوبس خطئي، يبدو أنك لست على قائمة الطعام اليوم، يمكنك الانتظار حتى اليابسة، لم يبق سوى نصف يوم.

رحل القرد وترك حازم مرتابًا، يظن أنه ربما فعل شيئًا دون قصد، وأن لا سبب يدفعه للكره المطلق، أو ربما القرد يريد التقرب لتابيا، استدار بسرعة بأعين واسعة وابتسامة انتصار، بأنه أكتشف الحل. أوقفته عن الكلام بسبابتها حتى تبلع الطعام العالق في جوفها، ثم أردفت قائلة: ليس كما تظن، كل المتحولين يلقون اللوم على العابرين، لذا سوف يكرهك الكثير منهم، مثلي تمامًا، البعض يرى أننا لا يمكننا أن نتغير وسوف نظل دائمًا وأبدًا، أتباع أزاروكس القتلة.

رغم تلهف حازم لمعرفة بقية ما قالته تابيا، والأسئلة الكثيرة التي تجول بخاطره فضل الانتظار حتى يأتي الوقت المناسب، وحتى لا يدمر الثقة بينهما أو يشعرها بالاستغلال والانتظار لوقت مناسب آخر تقول هي كل شيء.

في النهاية اتكأ كل منهما في محاولة للنوم، بعدما تشارك الاثنان الفاكهة، وسط تخبط الأمواج، وزقح القردة أثناء انتقالهم بين الأقفاص، أرهقهم التعب والاستيقاظ لثلاثة أيام متتالية. فبمجرد أن استلقوا غاصوا في النوم، ينتظرون الوصول إلى المدينة الزائلة.

.....

قدمت فرقة الاستطلاع التي تبعت دوفا حتى استقل أحد عمالقة هيروس الثلاثة، وعجزوا عن اتباعه لعدم سماح العملاق لهم. فرجعوا يُحدثون سيدهم بما شاهدوه بأعينهم وسمعوه من دوفا عن العابر والفتاة، وأنهم الآن في الطريق إلى المدينة الزائلة، كان كل منهم يناظر الآخر وينتظر مصيرًا مؤلمًا بسبب تلك الأخبار السيئة ولكن المفاجأة أن دوران لم يعبر عن غضبه، بل اعتلت السعادة وجهه، وهم بالرحيل مسرعًا نحو الثكنات السفلية حيث يقبع أردان.

وقف أمام زنزانته، يغمغم بسخرية : أيها السافل، أرسلت العابر والفتاة للقارة الأخرى، هل تعتقد أن هذا سوف يحقق ما تحلم به!

أجابه أردان دون أن ينظر ناحيته وعيناه موجهة لسقف الغرفة كأنه يرى شيئًا خاصًا به : هل ترى هذا؟

دوران: ماذا! هل تقصد السقف؟

أردان: الأمل، .أنا أرى النجوم، القمر، الشمس، أنا أتذكر المرة الأولى التي نعرف بها، وجود كوكب آخر، أتذكر سعادتك عندما أخبرت أمي أنك تريد أن تكتشف العوالم الأخرى، لم أنس أنها حزنت عندما أخذك أبي ورحل دون رجعة، لم تلبث يومًا لا تبكي على فقدانك، لم يفت الأوان بعد يا أخي هناك فرصة تمكننا العودة، بشرًا مرة أخرى.

غمغم دوران بوجه صلب والغضب يتملكه: هل انتهيت؟

أردان: سوف أستعيدك، وإن كان الثمن حياتي.

دوران: اقترب الوقت، والنبوءة على وشك التحقق، لقد فشلت في مسعاك يا أخي العزيز، تأمل نجومك حتى يأتي موعدك.

....

هلل كل من في الميناء فور وصول العمالقة، أصدر صوت الأقفاص عند وضعها على الأرض إثر احتكاك الحديد بالصخور ضجة أفزعت كل من في الأقفاص. وقدم على الفور الكثير من الأجناس المختلفة، يهرعون نحو أقفاص محددة وضعت على الجانب الأيمن، مليئة بالطعام، والفواكه التي لا تنضج سوى في غابات أزاروكس والتي تمتلك خاصية علاجية، والمقدرة على زيادة نشاط الفرد في وقت وجيز (لم يعرف حازم هذا الأمر لكنها كانت سر القوة المستمرة للغيلان)

بدأ الوافدون بالخروج، منهم من ينضم لبني جنسه، وسط ترحيب شديد أو من يتخذ مصيره بالبحث عن مكان للمَبِيت وسط الحطام القديم، انطلقت تابيا تتخطى الصفوف، يتبعها حازم أينما ذهبت، حتى استقرت أمام تمساح ضخم يقف على قدميه بمظهر بشري، بخلاف حراشفه الفضية، ووجهه المرعب المليء بالأنياب. اقتربت حتى تلاصقت وجوههم، وأصبح كل منهما يصدر أزيزًا إثر احتكاك أسنانه ببعضها، تدارك حازم على وجه السرعة الوضع الراهن، حين قَدم من خلفه ثلاثة تماسيح أخرى بملابس مشابهة له، باختلاف أوسمة معلقة على ملابسهم، ففطن أنهم جنود الميناء. وأنه على وشك خوض تجربة مريرة.

لذا فكر سريعًا بخطة وأراد أن يتقدم نحو تابيا حتى يهدأ الوضع، لكن ما أن خطت قدمه خطوة تجاهها، سقط أرضًا بضربة أحدهم على مؤخرة رأسه بقوة، أرغمته على الركوع بكلتا يديه، شعر بماء دافئ يتسرب من خلف أذنيه، مارًا بوجهه، تساقط أمامه سيل من الدماء، تباطأت دقات قلبه، و نظر بطرف أهدابه ليبصر متأملًا تابيا تقف بجوار المخلوق في توافق كأنهم معًا.

هل يرانا أردان لا نستحق أن يأتي إلينا بتلك الهدية، هل أصابه التعالي!

تابيا: سيدي...

قطع صوتها بغلظه قائلًا: صمتًا يا فتاة، لا وقت لدي لتعليم حمقاء كيف التصرف في وجود حضرتي!

انخفضت تابيا على قدم واحده، كفارس أمام مَلِكهُ، تطلب السماح وأنها مجرد رسول بهدية، أرسلها زعيم الغيلان أردان بذلك العابر. واستأذنت بالاقتراب لتبليغ رسالة خاصة شديدة الأهمية، أومأ لها بالدنو حتى همست في أذنه ببعض الكلمات؛ اِكفهرت ملامح وجهه من شدة الغضب، وتحولت أنظاره نحو حازم الملقى على الأرض بجانب الجنود.

أفاق على وخز في صدره بالأقدام، ليجد نفسه داخل قاعدة رومانية قديمة، ملايين (الكودار) اسم تلك التماسيح العتيقة تلتف حول عرش عظيم، في المنتصف يتربع عليه (أسدان) كهل بشري رقت عظامة، لكنه لم يفقد كبرياءه، واستقامة ظهره. وقف أمام الجميع، فأحنوا رؤوسهم على الفور في مشهد مهيب، غمغم بصوت هادئ يميل للسكينة: انقضت قرون منذ أن رأينا عابرًا يأتي إلينا، لقد وفى الحكيم بعهده. أيها المعاهدون، حان وقت القتال، أرسلوا إلى جميع المدن والقرى، وأخبروهم أن وقت استعادة أكزاديا من براثن أحفاد ليليث، قد حان.

أصوات الصراخ فرحًا ودعمًا لـ أسدان، غمرت أرجاء المكان، يعلم الجميع سبب تواجده داخل القاعة باستثناء حازم، الذي تجهم وجهه ليبدو قاسيًا من الخارج، لكنه كان هشًّا من الداخل، للمرة الأولى لم يسيطر عليه غضبًا

جامحًا، ويريد البطش بمن حول، بل انكسر فؤاده حين سمع أنه مجرد هدية، غير مبالٍ أي منهم لحياته، كأنه بلا قيمة، فكان يحيك الخطط المستقبلية حول علاقاته بهم واستغلالهم، لكنه لم يعلم أنه هو المغفل ولم يفعل شيئًا سوى تتبع خطى أردان التي رسمها له.

بمجرد انتهاء الحدث، أخذه الجنود عنوة، عندما رفض الخروج، وظل ثابتًا ينظر إلى تابيا كأنه يريد سببًا لخيانتها. تذكر قولها بأن معظم المتحولين يكرهون العابرين، وأنه لم ولن يكون رفيق درب، استسلم قليلًا، لكن ما أن خطت قدمه خارج القاعة أمام الجنود. اغرورقت عيناها بالدموع، حتى بللت وجنتيها، وهي تقبض على خرقة ملابسه الملطخة بالدماء، متذكرة تلطفه معها حين ظن أنها مصابة.

وأردفت بصوت مرتفع حين كان أسدان على وشك المغادرة: رفضت أن أصاحبه في تلك الرحلة، لكن جدي همس لي أنه هو المفتاح لكل شيء، إن مات في تلك الأحجية، سوف نخسر وتضيع تضحياتهم هباءً.

لم يلتفت أسدان، لكنه أغدق ببعض الكلمات بصوت هادئ: تخليت عن رغبتي، حين رأيت أفراد عائلتي يُقتلون بينما الجميع يبتسم، لا تنطبق قواعد ليليث اللعينة على شخصي، ضعف جسدي، رقت عظامي، لكنى لم أفقد رشدي.

ثم صمت لثواني وأخذ شهيقًا عميقًا كأنه سحب الأكسجين المحمل عبر الهواء، ارتجفت أجساد المقربين من علو صوته قائلًا للمرة الأخيرة: أيتها الصغيرة، ليس لدي الوقت لتعليم حمقاء مثلك كيف تحرك شفتيها.

....

توقف الجنود أمام بوابة خشبية عملاقة، مزخرفة برسومات عدة، لكن الملفت بها ثلاث نساء بارعات الجمال، واحدة تجلس على عرش مزخرف بحيات سوداء تلتف حوله، بينما تجلس الأختان الأقل سنًا على مقربة منها، أمام عرشها.

غمغم أحد الجنود بأسنان متخبطة: تقدم، وضع يدك على الباب الخشبي.

ضحك حازم بسخرية: لن أستطيع فتح تلك البوابة، إن كان هذا اعتقادك!

تحدث الجندي الآخر بحزم: نفذ ما يُقال لك، دون ثرثرة أيها العابر.

تقدم حازم على غضض يتحسس رموز الباب بيده اليمنى، وهو يتمتم: ماذا يعتقد هؤلاء الحمقى، أنني ساحر. التفت إليهم وما زالت يمناه راسخة على الباب قائلا بسخرية: ماذا الآن!.

تجهم وجهه من رؤية وجوههم الشاحبة، كأن برقًا أصاب أجسادهم التي كانت ترتعد من الخوف، حتى أن متخبط الأسنان أسقط رمحه وتراجع حتى التصق بالحائط وهو مُغمض العينين.

وارتعب الثلاثة أكثر حين قدم صوت فجأة وتردد صداه في الأنفاق التي قطعها حازم وصولا للباب: ابتعد، ازداد الصوت حدة وصار أكثر وضوحًا، تابيا تهرول وخلفها عشرات الجنود يحاولون إيقافها، تصرخ بذعر: أبعد يدك.

لكن الأوان قد فات ظهرت مئات الأيادي السوداء خلف حازم، قبل أن يلتفت ليعلم سبب خوف الجنود أو فزع تابيا، حاوطت الأيادي جسده وجذبته للداخل بمشهد ألجم الجميع، ليختفي مع الباب في الوقت ذاته.

مرت ثوانٍ حتى وصلت تابيا تحاول التقاط أنفاسها المتقطعة، تنظر إلى الباب الخشبي الذي اختفى هو الآخر وأصبح جدارًا كباقي الأنفاق.

وفي نوبة من الغضب واليأس، اتجهت نحو الحارس وأمسكت بتلابيب ملابسه مغمغة: أين المدخل الآخر لتلك الغرفة؟

أجابها زعيم الحراس: تابيا، توقفي، أسدان لن يتوانى لحظة واحدة عن قتلك. ذلك مصيره لا بد من مواجهته بمفرده.
كانت تعلم في قرارة نفسها صدق حديثه، لكنها كانت تفضل حديثها مع حازم حول فعلها معه وأنها كانت صادقة حول كونه رفيقًا.

في النهاية لم يكن أمامها حلٌّ آخر سوى العودة معهم وهي تجر خيبة الأمل، تنتظر المصير المجهول، لا تعلم ماذا حدث للقبيلة، وما الذي ينتظر حازم خلف (بوابة المصير)

انقضى أسبوع كامل في ضيافة أسدان، تشاهد أفواج من المخلوقات الآخر من البلاد القريبة، أتت لتقدم العون، بعد أن كثرت الإشاعات عن العابر والحرب القادمة.

لكن مجرى الأمور تغير حين قدم دوفا ومعه ثلاثة من رجاله ملطخين بالدماء، يستند بعضهم إلى الآخر، خوفًا من السقوط أمام أسدان وفقدان زعيمهم لكرامته.

الفصل السابع

ما قبل البداية

غمر الظلام أطراف الغرفة، ظل يتحرك يمنة ويسرة في محاولة إيجاد من جذب جسده للداخل دون جدوى، حتى اعتادت عيناه الظلام ليجد نفسه أمام رفوف عملاقة مكدسة بالكتب، وأخرى طائرة في الهواء مفتوحة وعليها ريشة ترسم طلاسم غريبة، وتحتها نصوص بلغات مختلفة، ظل لثوانٍ ينظر بعيون مُجفلة يحاول استيعاب الأمر حتى سمع همسات تعلو من بين صفحات الكتب، كأنها تتناقش حول أمر ما، ثم صمتوا على نحو مفاجئ حين تكلم صوت آخر من نهاية الرواق قائلًا:

مرحبًا بك أيها العابر، أم أقول حازم، ألا تفتقد اسمك الأصلي؟

تجهم وجه حازم وهو يفكر حول ما يفعله لكنه عدل عن الأمر سريعًا كونه الأحمق في تخطيطه السابق، رغم أنه كسب ثقة تابيا لكنه شعر بالهزيمة لذا هرول نحو

الصوت يتتبع مصدره بين الكتب التي تطير من طرف إلى آخر، تفادى معظمها بصعوبة بالغة، فكان لوجهه وجسده نصيب من أغلبها حتى قطع نصف الرواق الذي يصل امتداده إلى ما لا نهاية وهو يغمغم: أظهر نفسك، من تكون؟ وكيف تعرفني!

التزم الصوت الصمت لدقائق ثم أغدق قائلًا: لا يهم من أكون أو ما هي هيئتي، أو ماذا أريد! أعتقد أنك تجهل من تكون.

أردف حازم بضيق: ماذا تريد؟

- سؤال آخر غبي، حسنًا حتى نبدأ النقاش الجدي، سوف أخبرك بشيء بسيط، أولادك يحتاجون إليك.

هدأ صوت حازم وسأله مستنكرًا: ماذا؟

ماذا تقصد؟ أنت أجب!

حاول مرة أخرى جاهدًا بصوت جهوري أن يسأل صاحب الصوت عن مقصده، لكنه لم يجب، مرة تلو مرة حتى بُح صوته واشتعل قلبه غضبًا وظل يتوعد صاحب الصوت بتدمير المكان إن لم يخبره بالحقيقة، متوقعًا أن ينال مراده، وهو يصدر وعودًا بالحسنى والصداقة تارة والوعيد إن تجاهله تارة أخرى.

سرعان ما ارتسمت على ملامحه الحيرة حيث ضحك صاحب الصوت مُستهزئًا بما يُقال؛ الأمر الذي أشعل الغضب داخل قلب حازم، أمسك أحد رُفُوف المكتبة بقبضته العارية ورفعها جاهدًا للخلف، ليسقط الكتب الساكنة، ويُدمر كل الرُفُوف التالية نتيجة للسقوط المتراكم واحدة تلو الأخرى.

بعد عدة دقائق حين فرغ من الأمر شعر بخدر ورعشة اجتاحت جسده وصار يلهث من التعب، فذهب إلى أحد الجوانب، وألقى بجسده خائر القوى

مستندًا إلى الحائط، ليكمل ما بدأ حين يستعيد قوته، ودون أن يشعر أغلق عينيه، شاهد ومضات عن طفلين يداعبهما في الحلم، ويسخران من بجامته القصيرة، فاستيقظ مفزوعًا، ليتفاجأ بصدمة أخرى، أن المكتبة عادة كسابق عهدها.

تنهد وفكر مرة أخرى بخطة الامتنان والتودد لصاحب الصوت حتى يخرج من تلك الأزمة، أخفض رأسه وتحدث بأدب، يسأل صاحب الصوت: من أكون؟ ولمَ أنا هنا؟

أجابه الصوت على الفور كأنه ينتظر سؤاله باشتياق: أحسنت، هذا هو السؤال الصحيح. من تكون تلك الإجابة متوقفة على كيف ترى نفسك؛ ومن تريد أن تصبح وأي جانب تختار. أما لم أنت هنا، فأنت هنا للبحث عن الإجابة وملاذ آمن لأطفالك الصغار. صحيح أنك لا تتذكرهم لكنك ستفعل لاحقًا، وتشكر أباك على ما فعل.

- لا أفهم.

- دعني أوضح لك الأمر، العابر لا يأتي هنا من تلقاء نفسه بل يتم اختياره، إما من ليليث أو أحد أحفادها، أو من العابر السابق، يقتل نفسه ليسمح للعابر الآخر بالدخول مكانه، لقد فعلها والدك من أجلك.

- أنا؟!

- لكي تفهم أكثر اذهب إلى الممر الثالث، الرف الرابع ستجد كتابًا بعنوان سِفاح الأغنياء، هذا الكتاب يعود لوالدك. ستفهم من خلاله بعض الأمور.

على الفور اتجه حازم بلهفة نحو المكان الذي أخبره عنه صاحب الصوت، وأمسك الكتاب، ليُصدم أن صفحاته كانت فارغة تمامًا، نظر إلى الظلام وهو يعض على أسنانه غيظًا. وقبل أن يوبخ الصوت، بدأت بعض الحروف بالظهور، ليس على صفحات الكتاب بل على أطراف بنانه، ثم انتشرت على جسده بالكامل، بدأت الحروف في وخز جلده كأنها تخترق مسام بشرته لتصل إلى دمائه ثم إلى أعماق روحه، شعر بدوار شديد، تلونت عيناه بالظلام، نتيجة الحبر الذي طبع عليها، وسقط على الأرض فاقدًا للوعي.

....

- أبي، أنت زعيمنا، وأي أمر تقطعه نحن معك، لكن لا بد من وجود سبيل آخر، غير هذا.

أفاق حازم على تواجده في منتصف جلسة في بيت مألوف لديه، رجل عجوز يجلس وحوله الكثير من الأشخاص، يتحاورون.

أعاد هذا الأمر إليه سيلًا من الذكريات، تذكر أن الرجل العجوز هو والده وإخوانه حوله ومدير مركز الشرطة ومهندس الصوت الذي شاهده في الحلم سابقًا وهو ينقذ والده.

مهندس الصوت: سيدي تلك الخطة غير مضمونة، نحن نجازف أن ينضم إلينا المعاهدون وبقية الشعب الذي اختار أن يتجنب المشكلة، إن فشل الأمر سوف نموت هباءً.

د. فاروق: ليس هباءً، نفعلها من أجل أبنائنا، بعكس أصحاب الفكر المنحرف من (المثليين) وغيرهم من الداعمين لهم، يروجون للحرية، لكنهم لا يحترمون حرية الآخرين في الرفض طمعًا في المال، سوف أبين احترامي لهم في البداية، حينها سوف يظهر تعاطفهم وتشجيعهم لي، ولنظهر للعالم تصرفهم المزدوج عندما أغير رأيي حولهم. الأمر ليس أكثر من صفقة رابحة لهم، لهذا يشجعهم الغرب عكس ما حدث في الماضي.

سالم: أبي، هل هذا يستدعي، أن نهلك من أجله؟

د. فاروق: إن استدعى الأمر أجل، يدفعون الملايين، ويقومون بالمظاهرات، وقاموا بالخداع حتى شرعوا الأمر في دولتنا عن طريق قانون (الحرية المطلقة) فعلوا كل هذا وهم على باطل، فما بالنا، ونحن أهل الحق أن نفعل!

مدير الشرطة: أعرف بعض الأشخاص، ليسوا داعمين للأمر، ولم يتخذوا مواقفًا مثل المعارضة أو التأييد، قالوا اتركوهم وشأنهم. وآخرون قالوا أنهم مرضى وينبغي لهم الدعم والعلاج، وهناك من قال أنها حرية الفرد يفعل بنفسه ما يشاء. لا دخل لنا بحياته.

د. فاروق: طمس التاريخ هو من يطرح الأفكار بتلك الطريقة، وجهل البعض بالمشكلة هو الداعم الرئيس لأمثال هؤلاء في القضية. يستغلون الأمر بشكل ملهم وجميل، يربطون الحرية من العبودية بالحرية الجنسية للفرد، وخطوط أخرى متشابكة. لذا أوضحت الأمر في رواية (سِفاح الأغنياء)، أعلم أنها سوف تؤدي لمشكلة كبيرة بينهم، وقد تُحظر في بعض الدول، لذا سوف أخبركم عنها وعن مشكلة هؤلاء القوم.

ترجع نشأة السديمية (العلاقات الجنسية القائمة بغير هدف الإنجاب بين فردين متماثلين) لملايين السنين لم نستطع تحديد وقت الظهور الأول، لكن الله سبحانه وتعالى أخبرنا عن قوم سيدنا لوط، وعذابهم.

أما تطورها بين الحضارات يمكن اعتبارها نشأة أخرى، حيث كان أول ظهور (السدومية) في التاريخ كانت بين رجل بالغ وغلام مملوك له، .ظلت تلك العلاقة هكذا حتى انتشرت في بعض الدول الأخرى، ثم تطورت بين الرجال لكنهم أيضًا عبيد وصفوا في ذلك الوقت بالعاهرات، كما توصف البغي (التي تبيع جسدها مقابل المال). لم يكن مبدأ الحب موجودًا كما يروج البعض له الآن، أو وجود علاقة سوية، بل كانت تقام على مبدأ السلطة والقوة الجبرية، ولم تتخذ الدولة حينها أي إجراء، لأنها كانت تتم في الخفاء، وعلى اعتبار أن الغلمان هم خدم خاص ينبغي لسيدهم فعل ما يشاء بهم.

فلم يكونوا تحت حماية قانون الدولة مثل الأحرار.
لذا كان يستخدم العبيد منهم عاهرات من الرجال. واستمر الأمر في طي الكتمان، حتى انتقل بين الدول باعتباره جزءًا من عادات دول أخرى، ثم بدأ يظهر في شكل بيوت دعارة للرجال مثل الإناث بشكل قانوني. حتى انتشر الأمر بين الملوك والأغنياء باعتباره نوعًا من الطرف.

وفي النهاية بدأ في الظهور بشكل علني أكثر بين الطبقات الأخرى.

في الحقيقة لم يصمت بقية الناس عن الأمر بل كان هناك صراع دائم بين ممثلي الفضيلة من مختلف الديانات، وقد تكون تلك المرة الأولى التي يتفق بها رجال كل الديانات السماوية على أمر واحد دون جدال، أن (السدومية) هي الانقراض القادم للبشر.

لذا بدأوا في فرض عقوبات لمن يمارس تلك الجريمة، جلده في المرة الأولى، ثم إخصائه في المرة الثانية، ثم حرقه أمام جمع من الناس في المرة الثالثة. تكفيرًا عن تلك الجريمة .

مراد: من يعرض نفسة لتلك المهالك، قد يكون مريضًا ويحتاج لعلاج!
د/ فاروق: تلك أكذوبة أخرى، هناك العديد من الأبحاث القديمة التي صنفت المثليين مختلي عقول، أو أنه مريض نفسي لا يقوى على التحكم في

الأمر، وأن تلك الأشياء ميول طبيعية نولد بها، واستخدموا الأمر بشكل آخر ألا وهو التحول الجنسي، رجال مستأنثون، ونساء مسترجلات. عن طريق إجراء العمليات الجراحية، والهرمونات لتحويل امرأه بيولوجية طبيًا، تحتاج أن تخضع لـ ما لا يقل عن ١٨ عملية جراحية للفرد الواحد؛ يخلفها سلسلة من المضاعفات، فقد تتعرض لنوبة قلبية بسبب الضغط أو انسداد رؤي، وتكون أكثر عرضة للإصابة بالأمراض المعدية. وللحد من تلك المشاكل تصل جرعات الأدوية المضاد الحيوي ١٧ دورة لمعالجة الأمر.

جميعكم على علم بالداعم الأول لها حيث تُرويج الأفكار داخل الدول الغربية، كونهم فئة سهلة الحصول عليها؛ يملكون علامة الدولار فوق رؤوسهم، وعلى الرغم من كل تلك الترهات حول دعم المثليين بسبب الاضطرابات النفسية، فإن معدل الانتحار يتزايد أربعة أضعاف بعد إعادة التعيين الجنسي.

الحقيقة مختلفة، لم ولن تكون أمراضًا نولد بها، بل قلوبنا هي المريضة، نهلع حول الرغبة والشهوة العارمة دون قيود أو حدود، لم نصب بداءٍ حتىً نُشفى منه، تلك الأوهام صنعها من يروج لتلك الفكرة، إما بالدعم أو بالقبول داخل المجتمع لأغراض في نفسه، والدليل الراسخ على كلامي، أن الله سبحانه وتعالى عذب قوم سيدنا لوط، وهنا مفارقة واضحة، بين حديثهم عن مرضهم، وفعل الله تعالى بهم.

ألم يخلقهم الله سبحانه وتعالى. إذا كيف يعذبهم على مرض أصابهم به منذ البداية. (حاشا لله أن يظلم أحدًا من عباده).

بعث الله تعالى، سيدنا لوط رسولًا يأمرهم بالبعد عن المعصية والفواحش، ولم يقل لهم أنهم مرضى وأن الله أرسله بعلاج لمرضهم. بل وعظهم بالبعد عن الفواحش والظلم من القتل والشذوذ وغيره من السوء، فأبوا واستمروا في العصيان وفعل المنكر، إتيان الذكور دون الإناث. فأهلكهم الله مع ذلك، كل هذا لا يتنافى مع وجود أشخاص بتشوهات خلقية ما ويجب علاجهم، بل وجود أشخاص طبيعيين يزعمون حول أنهم يتحولون بدافع الشعور، ويريدون أن يصبحوا من الجنس الآخر، وفي الآونة الأخيرة سجلت حالات تخص أطفال صغيرة قامت بالأمر دون رضا الآباء والأمهات، بل أتاحت الدول القرار لأطفال لا تتجاوز أعمارهم **10** سنوات.

في الواقع جميعنا نولد برغبات كثيرة ومختلفة، ونوازع الخير والشر متساوية، يختلف كل شخص عن الآخر في القرارات المصيرية التي تغير حياته، لكن تلك الرغبة على وجه الخصوصية ارتبطت بغيرها من الذل والإهانة، والرغبة في الإيذاء النفسي والاجتماعي والجسدي، فلم تعد مقتصرة على فعلهم الأمر، بل يروجون له ويريدون نشره فكريًا عن طريق

الأفلام الكرتونية، أو المسلسلات وغيرها. حتى تنشأ فكرة القبول بين أفراد المجتمع، ثم تستباح في فعلها، ثم نُجبر عليها كما الآن.

مدير الشرطة: لن يمر الأمر مرور الكرام، هذا الكتاب سوف يخلق ضجة، أنت لا تهاجم السدومية فقط، بل تطرقت لأمور عدة، مثل الإخباريين المنافقين ودورهم في ترويج الإشاعات وفساد المجتمع، وسِفاح الأغنياء.

د/ فاروق: كان المجتمع مهيأً بالفعل لمثل تلك الأفكار، عندما ظهر علينا بعض الرويبضة، مُدعين الفكر الجديد، وأنهم مفكري الغد، في البداية يتكلمون في الدين حتى يثق بهم الناس ثم يصبحون ذوي صيت وسمعة، وبعد ذلك يطعنون في ثوابت الدين، والسنن والأحاديث، ومنهم من يتجرأ على النصوص القرآنية، باسم التجديد. حتى أصبحت أول كلمة يقولها الناس حين يحصل صدام (بعيدًا عن الدين). وضعنا الدين في خانة التهميش، وصغنا قانونًا وضعيًّا يوافق هوى البعض منا ويتماشى مع عصرنا الحالي.

عندما كنت صغيرًا، كان الحديث مع الفتيات محرمًا، والاختلاط أو التفكير به بشكل علني، كان كارثة، وينبغي تأهيل الفرد الفاسد، حتى لا يفسد بقية الأولاد. من خلال تعليم الدين الإسلامي الحنيف، وبيان خطر الأمر على الإنسان، من استهلاك للمشاعر والفكر والروح؛ تطور الأمر بالحرية كما الآن، حتى صار لكل ولد صديقة من الجنس الآخر، يخرجون ويفعلون كل

شيء معا، ويمكن للفتاة أن تمكث في بيت صديقها المقرب، وتفعل مع حبيبها كل المحرمات باسم الحب.

سهل هذا الفكر المنحرف، المسلسلات التي روجت للأمر أنه أمر يبعث الطمأنينة، وجود صديق من الجنس الآخر؛ سوف يحل الكثير من الأمور، ولا ضرر إن حدثت بعض التجاوزات بين الأصدقاء، أو الأحبة. هذا عصر الانفتاح، وإن انتقدنا أحدًا نعلم جميعًا الإجابة (بعيدًا عن الدين)، للأسف نشأ لدينا جيل جديد يظن أن الحرية والانفتاح في العري وتبني ثقافات الغرب. دون التفكير أن الدين لم يوضع كقيد يؤثر على الفرد ويمنعه من الحياة، بل لتوجيهه نحو حياة أفضل. والحفاظ على روحه من الانهيار، بسبب المشاعر السلبية، ويتجه إلى إنهاء حياته في النهاية .

مراد: مهاجمة كل الطوائف في آن واحد، كخلق إعصار ثم الوقوف في المنتصف وأنت تأمل النجاة؟!

د/ فاروق: دعك من هذا الآن، .لنراجع الخطة، مراد سوف تحرص على أن تسرب المعلومات لقيادات المثليين أنني أنوي نشر كتاب ينتقدهم ويسيء إليهم. وأنت يا سالم، تحدث مع رفاقك المنضمين لجماعة المعاهدين، أخبرهم بما سوف أفعله، أما أنت يا صاحب الشرطة، كما أخبرتك بشأن حازم، مهما حدث لا تدع أحدًا يبحث عنه وعرقل الإجراءات، لديه مهمة خاصة

تتعلق بوعد قطعته. واحرص على تجميع الأدلة من العامل الذي أخبرتني عنه، لا بد من نشر ما يحدث.

مدير الشرطة: لقد حصلت على معلومات مهمه بالفعل تم تجهيز استديو آخر بنفس مواصفات مكان الحلقة، ملاصق له، الأمر يدعو للريبة، لابد أنهم يخططون لموتك!

د/فاروق: فهمت، واحد لخطتهم، والآخر إن فشلت الخطة أو داهمت الشرطة المكان يصبح مكان الاستقبال، خطة جيدة لكن هذا لا يغير من الأمر شيئًا، سوف نلتزم بالخطة.

مهندس الصوت: وأنا أيها القائد!

د/ فاروق: تصرف على طبيعتك، كأنك لا تعرفني.

مهندس الصوت: لكن إن طرأ أي شيء كيف أتصرف، وأخبرك؟

د/ فاروق: قام المعاهدون خلال السنوات الأخيرة، بفضح الكثير من المؤامرات لتلك المنظمة، لا نعلم عنها الكثير، كل ما نعرفه أنهم قادرون على لم شمل الجميع لذا تصرف على طبيعتك، سوف نكون مُراقبين بشكل كامل، مؤازرتك لي سوف تجبر المؤيدين والمعارضين وحتي المُستقلين بأنفسهم على الانخراط بالأمر، سوف يعلم الجميع أن ما حدث هو المصير المنتظر لهم، الاتحاد هو السبيل الوحيد النجاة. ولا تقلق سوف يكون بين

الحضور بعض من الرجال الأحرار، ليسوا من المعاهدين لكننا سوف نجعلهم يبدون للجميع هكذا حتى يظنوا أننا والمعاهدون معًا.

.....

تغير المشهد، بعد انتهاء الجلسة لتدفق هائل من الذكريات في آن واحد تمر من خلاله، ثوانٍ في كل مشهد حتى استقر أمام أربعة أشخاص يجاهدون في تثبيت امرأة أرضًا وأخذ السكين من يدها، وصوت طفل، أجهش بالبكاء، يحمل دبًّا قطنيًّا صغيرًا يهرول نحوها يناديها: أمي.

تغير المشهد مرة أخرى، ظلام دامس يحيط بالمكان، وشخص ما يهرول نحوه والدم يسيل من أنحاء جسده، ويحمل بيده سكينًا. صرخ حازم دهشةً من هيئته الدامية، حاول التراجع وتفادي ضرباته لكنه لم يصل إليه بل عبر من خلال ظلال حازم،

توقف لبرهة يستجمع شجاعته وأنفاسه للالتفات ومشاهدة ماذا يحدث، نسمات الهواء التي داعبت ستائر الصالة أضافت مؤثرات صوتية خاصة مع الظلام المحيط بالمكان، كأن هناك شبحًا يتحرك بينهم ويمزق أجسادهم. ارتطم جسد أحدهم بمفتاح الإنارة المثبت بالجدار. شاهد رجلًا آخر خلف الرجل الأول يضع إصبعيه داخل مقلتي عين الأول ومنها شق جسده لنصفين ليتمدد بجانب العشرات من الجثث.

ابتلع ريقه بصعوبة وهو يشاهد نفسه مُغطى بالجراح لكن بجسد أضخم من جسده الحالي، وغضب يتأجج داخل عينه وهو يخرج من المنزل ويقطر دماء غزيرة من جسده حتي استقل سيارته. وآخر ما شاهده، رؤيته لنفسه والسيارة تنحرف ويسقط بالنهر.

وعلى نحو سريع تغير الأجواء لذكرى أخرى بجانب والده على حافة البرج يشاهد أيديهم وهم يحاولون الدخول، يتوعدونه بالموت، تطلع إلى وجه والده وجده مبتسمًا، ينظر إلى الأسفل ويتساءل عن الاصطدام هل سوف يؤلمه الأمر!

تحرك حازم مبتعدًا ينادي الصوت، ويترجاه بأن يخرجه من تلك الذكرى، لكن جسده عجز عن الحركة. عندما سمع صوت والده يكرر السؤال ذاته، لكنه يسأله عن الإجابة، يغمغم قائلًا: أنت هنا، أليس كذلك؟

وقف مذهولًا لثواني، ثم التفت على عجلة وهرول نحو والده، وضع يده على كتفه ليخبره أنه بجانبه. لكنها عبرت من خلاله فلم تكن سوى ذكرى.

أكمل والده قائلا: لم يكن هذا ما أبتغيه من البداية، أحببت والدتك وجلبتها معي إلى الأرض لنعيش سويًا، بعد أن علمت أنك قادم تخليت عن أمنيتي كما فعل (لورانس[11]) آنذاك.

[11] لورانس: هو ما قيل عنه فيما سبق بسيد الأحلام، أو أعظم العابرين.

وقبل أن يكمل كلامه انتبه أن الباب أوشك على التحطم، فراح ينظر تارة إليه وأخرى للأسفل، ثم ثبت نظره عليه بعيون منتفخة من أثر الدموع التي طالما أخفاها عن الجميع، وحان موعد تحريرها، وهو يصرخ بصوت جهوري يتردد صداه في الأفق قائلًا: ثق بنفسك، لا سيبلك لك سوى الإيمان والاستسلام لما قدره الله لك فهو النجاة، ما تفعله في حياتك يعطي معنى لحياتهم، تمنيت أن أكون بجوارك حين كنت صغيرًا، حاولت جاهدًا فعل الصواب، اغفر لي إن لم أكن الشخص الأفضل بالنسبة إليك.

"في تلك الأثناء كان حازم يلمح أشكال الأشخاص الذين يحاولون قتل والده، وأدرك أن أغلبهم قد قتلهم قبل قليل داخل شقته، أما بالنسبة إليهم كانوا يظنون أن ذلك العجوز خاف من الموت أو ربما جن ويتحدث مع نفسه بالهواء" وتلك هي الإجابة على أسئلة من الفصول السابقة

....

آفاق حازم من تلك الذكريات، ليجد نفسه ممددًا داخل الرواق بين الرفوف، أسند يده على الأرض ليعدل وضعية جلوسه، يتكئ بظهره على أحد الرفوف، وقدماه في وضع القرفصاء، ثم بقي ساكنًا لنصف ساعة، لم يبادر بالكلام ولم يزعجه الصوت، عَلم أنه يحتاج لوقت خاص. لذا أمر الكتب بالسكون، وأغلقت الأنوار، ليسود الظلام من حوله.

انقضت نصف ساعة أخرى من الظلام، حتى قال بصوت هادئ مطمئن تلك المرأة: هل كانت أمي؟

انفجر الصوت من الضحك كفتى طائش قائلًا: علمت هذا. أنت مليء بالمفاجآت، لا يليق بك الانكسار أو البكاء، حدثت نفسي كثيرًا عندما رأيتك تبكي فوق المنحدر بجانب أردان، ومرة أخرى وأنت بالخيمة، تلك استراتيجيتك إذا، تبني الخوف والعجز ليأمن لك خصمك، ليكن في علمك لم أصدق ما فعلته من البداية!

وقف حازم يمشي ببطء في الرواق، يطالع الكتب، والوريقات الصغيرة أعلى كل مجموعة، عن الحضارة الخاصة بهم.

ثم ابتسم بلؤم قائلًا: ألم يحن الوقت أن نتقابل؟
- لا أعرف، انتظر ثانية! أفضل أن أجيبك، وأنا هنا.
حازم: أيها الـ...
- تأدب يا فتى، أهكذا تتحدث مع من أنقذك من الموت، من باعتقادك أبلغ (الغويران) لإنقاذك.

ثم أكمل بلهجة حادة إن لم يقتلك دوران، لفعلها أردان، أنت لست سوى حظ سيئ ووباء حل بهم، كل العابرين أصبحوا هكذا، لذا تأدب في الحديث، أم أنك ورثت الجنون عن والدتك!.

تغيرت ملامح حازم ما بين الغضب والاندهاش. لم يتكلم اكتفي بالالتفات والتوجه نحو الخارج حتى استقر بجانب الحائط.

- لم تغضب!

أجابه حازم بصوت حزين: ولمَ أفعل؟ قلت الحقيقة التي أرغمت الجميع على مر سنوات على إخفائها. حطمت أنوف الكثيرين منذ صغري، صغير، وحيد، منبوذ، مجنون كوالدته. تساءلت كثيرًا لماذا... لماذا ليست لدي أُم مثلهم، ولِمَ أبي أيضًا رحل عني، إن لم يريدوني كما يقول الأطفال من حولي، لمَ جلبوني من جزيرة الأطفال. أخبرتنا المعلمة في السادسة من عمري أن الأطفال يأتون بعد رحلة شاقة مليئة بالسعادة من الوالدين حتى يظفروا بنا. أيقنت أني ربما لست المنشود بالنسبة لهم.

صاحب الصوت: تقدم بك العمر كفاية لتعي أن الأطفال لا يأتون من جزيرة خفية بعيدة، لكنك الوحيد ربما الذي خاض والداه مغامرة حقيقية، للحفاظ عليه.

حازم: ماذا تقصد!

- العابرون ليسوا أشخاصًا مميزين عن غيرهم بأمور خارقة أو أنهم منعمين ببركة إلهية، كل ما في الأمر أنهم يمسح لهم بالانتقال المادي بين الأبعاد، لا تتأثر أجسادهم مثل الباقين. لم يعرف والدك بهذا الأمر حين أخذها معه،

عندما حملت بك، تأثر جسدها بالأمر وتدهورت قدرتها العقلية، حتى أنها أوشكت على قتلك مرات عديدة كما رأيت بنفسك في الذاكرة، تحطم فؤاد والدك على ما أصابها، بحث في كل مكان في الأرض على شيء يساعدها دون جدوى، وانتهى به الأمر هنا مكانك يطالع الكتب والحضارات المختلفة عن دواء لها. كي لا تُحرم من والدتك.

لكن بعد بحث طويل أصابه اليأس في النهاية، ولم يكن أمامه سوى العودة لأجلك، رفض أن يكون وزير لورانس، وعاد إليك.

حازم: كتم عني الأمر، وتركني أكرهه كل تلك السنوات، وأتهمه بالتخلي عني! لمَ؟ وما علاقة أبي بـ لورانس سيد الأحلام الذي أخبرني عنه أردان!

لهذا قصة طويلة...

أخذ الصوت شهيقًا بعمق، وزفرة بإثارة شديدة الوضوح، ثم ظهر على هيئة غبار أسود تجتمع ذراته من الهواء حتى تشكل على مظهر رجل جالس وأمامه كتاب صفحاته شديدة البياض، كلماته تميل للحمرة بلون الدم.

تشتت أنظار حازم ما بين الظلام والكتاب المضيء، والدماء التي يقطرها الكتاب من بين حروفه، عجز لسانه عن التعبير أو الوصف للبرودة التي

حلت بالمكان فجأة بظهور ذلك الشخص، حتى أن أطرافه تصلبت رغمًا عنه.

بادره الصوت بالكلام، لكن بلهجة لطيفة يتخللها علو وعظمة: لست مميزًا! فلا يغرنك ظهوري لك، إنما أردت أن أحترم هذا الكتاب، وما يحمله من تضحيات (ما قبل البداية، أو عصر التماثل) كُتب بدماء القدماء، تركوا صفحات فارغة لكل عصر وجيل حتى يسطروا. ما فعلوه من أجل أكزاديا، الأمر أبعد من التضحية والفداء، وأبعد من حب الوطن المزعوم لديكم في الأرض، لم تقم على أرضها حربًا قط من أجل السلطة بين أفراد شعوبها ولا من أجل موارد لدى بلد أخرى، لم يكن لدينا ملوك بل كانوا أقرب من خدم للعامة. لذا نجلهم أحياءً بحبهم، وموتي باحترام ذكراهم، فأنصت جيدًا دون مقاطعة.

الفصل الثامن

أكزاديا

على أطراف (نهر الأدوفار) نسبة للشعب الذي سكنها قديمًا، بداخل كوخ صغير في آخر أزقة القرية، أنين قطع هطول الأمطار يصل إلى آذان من بالخارج، أخرجوا رؤوسهم من فتحات التهوية للكوخ يتناولون الأخبار ولد أم فتاة، لكن سريعًا ما شخصت أبصارهم، عندما تناولوا صفات المولود، بشرته غامقة ما بين البني والأسود، لكن الغريب أنها تخللت بقطع كبيرة من البياض الناصع في مناطق كبيرة من وجهه وأطراف أصابعه (بهاق)، شعر أبيض ثلجي، وأكثر ما يميزه لون عينيه إحداهما زرقاء والأخرى سمراء.

لم تعهد القرية مولدًا مثله، برغم الاختلافات بينهم، منهم الأسود والأبيض، لكن كل فرد مستقل بجيناته، لذا كثرت الشائعات في القرية عن المولود، وتطاول الأمر إلى اتهام أمه بالخيانة، الأمر الذي أدى إلى زعزعة استقرار الزوج وبالنهاية قتلها وهرب بالطفل ليدفنه داخل نهر الأدوفار، يقينًا منه أنه ليس من صلبه.

ولحسن الحظ أن الأمر وصل إلى زعماء القبيلة سريعًا، في تلك الأثناء لم يكن ينبغي للفرد أن يقرر مصير حياة شخص آخر على أسس واهية ليس لها أساس من الصحة، لهذا أرسلوا خلفه أفضل الصيادين للإتيان به وإنقاذ الصغير، لكنه حين أدرك نهايته أرسل الطفل بزورق خشبي بين الضباب الكثيف؛ ليحجب الرؤية عنه داخل النهر، وقاتلهم حتى الرمق الأخير، لكي يمنعهم من إنقاذ الرضيع.

في تلك الحقبة من ذلك الوقت.
لم تُكتشف أكزاديا، حيث عاش سكانها في ربع مساحتها، وتناولوا أساطير عن مخلوقات أخرى تعيش في باقي العالم تحتمي بظلام الغابات، وكان من المقدر للطفل أن يهلك حين انتهى النهر بالصب داخل المحيط الموحش، ومخلوقاته الجائعة، حيث انتبه إليه مخلوقان (تيتانوبوا) [أفعى عاشت في الأرض خلال العصر الباليوسيني] تجاوز طولها **15** مترًا ووزنها تخطى **1135** كيلوغرام.

وعلى مسافة قريبة من الجانب الآخر قدم (دينوسوكس) [عاش خلال فترة الطباشيري المتأخر] تمساح تجاوز طوله ١٢ مترًا مسلح بفك يضم **44** سِنًّا على الأقل.

ببساطة شديده كانت القصة سوف تنتهي قبل البداية إن وصلوا إليه قبل زعيم عمالقة هيروس الذي كان على مقربة من المكان، وحتى بعد أن سمع استهلال الصغير، لم يكن متأكدًا منه إلا عندما رفع الزورق من المياه ليدقق بصره به، فأغلق عينه اليسرى وجحظت اليمنى بأقصى اتساعٍ لها ليحدد ملامح ذلك الشيء الباكي.

أدهشه التماثل بينهما رغم صغره الشديد، لكنه قطع تفكيره حول هيئة الصغير والتفت بكامل جسده بسرعة حين انتبه لتدرجات المياه من خلفه نتيجة قدوم دينوسوكس، لذا قبض يده برفق على الصغير، وتقدم هو الآخر يهرول نحوه، وهو يزمجر كالوحوش، والتي أفزعت صرخاته أسراب الطيور القريبة وهرولت نحو الأفق، ثم أطلق قبضته اليمنى في الهواء لتصدم بظهر دينوسوكس، ودفع جسده للأسف حتى اصطدم بتربة المحيط، ونتيجة لذلك الاصطدام تشكلت أمواج مرتفعة وتخبطات كثيرة أخفت وجود تيتانوبوا القادم هو الآخر ليأخذ نصيبه من الوليمة.

وما إن استدار متجهًا نحو اليابسة قفز من بين الأمواج ليلتف بسرعة شديدة حول يده اليمنى يعتصرها لتنضم إلى صدره، ثم أكمل الالتفاف إلى أن وصل إلى رقبته، وازداد بالضغط عليها، حتى تحول وجهه إلى اللون الأزرق، ففقد توازنه؛ وسقط على ظهره بالمياه.

حاول الاعتدال مرة أخرى، وضرب تيتانوبوا بيسراه، دون إلحاق الأذى بالصغير، لكن المعضلة لم تبدأ بعد ظهر دينوسوكس من جانبه مرة أخرى وقبض بفكيه على ذراعه اليسرى، ثم التف حول نفسه بطريقة دائرية كالإعصار الحي، .لدقائق حتى اقتلع ذراعه من منبتها.

انطلقت بركة من الدماء لونت المحيط لأميال في مختلف الاتجاهات، وللأسف خارت قوته نتيجة لتلك الإصابة، لكن الدماء المنهمرة جعلت المياه عكرة لدقائق، وعاد الأمل إليه من جديد للمقاومة حين سمع صراخ ودبيب أقدام هزت الأرض والمياه القريبة من الجرف، عشرات من الهيروس يتقدمون مهرولين بجذوع من الأشجار فوق أكتافهم، قفزوا للمياه، وانهالوا بالضرب فوق دينوسوكس الذي حاول الهرب لكن أحدهم سبقه بالقفز في الهواء واخترق جسده بالشجرة التي كانت في شكل رمح، بينما قام الآخرون بتمزيق الثعبان وقطع رأسه، وأبقوا على جثثهم للعشاء.

ثم قاموا بحمل زعيمهم بعد فقدانه للوعي، على عُجالة لمحاولة إيقاف النزيف وتضميد جراحه. فلم ينتبه أحدهم لذراعه التي جرفتها أمواج المعركة بعيدًا، تطفوا وبداخلها الصغير.

بعد خمسة أيام

نالت الكثير من الأسماك نصيبها من تلك الذراع حتى جرفها المحيط بعد أن صار أغلبها عظامًا ما عدا الكف وجزء بسيط من الساعد إلى اليابسة، والتي أرعبت فيما بعد شعب (الجوران) حيث الخرافات هي الحقيقة الراسخة بينهم، وهم الفئة الأقل تحضرًا بين الجميع فلم يطمحوا في التطور مثل مدينة (جولبيس).

كما أخبرتك من قبل لم تُكتشف أكزاديا حينها، فكان تقبع داخلها شعوب الأدوفار والتي اشتملت على ملايين القبائل، مختلفة اللهجة والعادات والتقاليد، لكنهم تشاركوا مياه النهر لذا أطلق عليهم لقب واحد رغم اختلافهم وعاشوا في سلام مع قانون صارم يمنع الذهاب للمحيط والغابات الكثيفة حوله.

والشعب الثاني كانوا الهيروس ملكوا المحيط والغابات، علموا بوجود كائنات أصغر حجمًا بعد حادثة الزعيم، لكن لم يتكلفوا عناء البحث عنهم، سيادتهم كانت بلا منازع داخل الكوكب، وبعد حادثة زعيمهم قتلوا الكثير من المخلوقات البحرية القوية التي يمكن أن تشكل عائقًا فيما بعد.

وثالثًا شعب الجوران كانوا يعيشون على تفرعات تشكلت من المحيط على هيئة بعض البحيرات، بدائيو التفكير حول مفهوم الوجود والتطور في

مختلف الأمور. وبسبب قربهم للغابة عن الأدوفار كانت تصل إليهم تردد أصوات الهيروس البالغين، مما دفعهم لاتخاذ بيوت من شقوق الجبال ، ظنًا منهم أن الوحوش أصحاب تلك الأصوات سوف تأتي إليهم يومًا ما.

أخيرًا تأتي مدينة (جولبيس)، أنشأها قومها على بركان خامل، تقع بين أعظم جبلين في الكوكب، كانت حصنًا غير مرئي حتى للهيروس، داخلها تتماثل ملابس الجميع باللون الرمادي الغامق، يتصفون بالحكمة والتطور التكنولوجي الرهيب، قد يكون أعظم مما وصلتم إليه في الأرض. كانوا يعلمون عن كافة أشكال الحياة على الكوكب، لكنهم اكتفوا بالاختفاء ومواصلة تطورهم وأبحاثهم.

تجهم وجه حازم مستنكرًا التناقض بين أفراد الشعوب ما بين الصيادين ومجتمعاتهم المتماسكة، والعمالقة، والبدائيين، وأخيرًا أصحاب التكنولوجيا المتقدمة. لكنه التزم بكلماته بأن لا يقاطعه، ولكن صاحب الصوت فطن لذلك، فأكمل يغمغم:

أرض الأحلام، أو يمكن أن يُقال أرض تجمع العابرين.

وثب حازم من موضع جلوسه، يحاول استيعاب الأمر
وهو يتمتم: هل تقصد أننا جميعًا...!

ضحك الصوت بسخرية، زادت ضحكاته أعلى فأعلى، وهو يغمغم: أجل يا فتى، لم تنشأ حياة على أرض أكزاديا بل أتت من مختلف العوالم. ومن مختلف العصور. مفهوم الوقت يختلف هنا بمفهوم ١_١٠٠ أي ثلاثة أيام هنا تعادل ثلاثة ساعات على الأرض، لذا استطاع والدك أن يمكث هنا مدة طويلة.

....

داخل قصر أسموديوس، يجلس أسدان على عرشه، ينظر بطرفي أهدابه نحو دوفا، فرغم الجروح الضارية بجسده، رفض الذهاب للتداوي، وتنهد بفم مليء بالدماء، يغمغم: أين العابر، ماذا فعلت به؟!

أجاب أسدان دون اهتمام: هل اشتقت لرؤيته، أم حَنّ قلبك له؟
دوفا: إياك أن تسخر مني، أسدان، أو...
أسدان: امم، أنا أنتظر أو ماذا!، لا أرى خلفك جيشًا يقف على أبواب مدينتي. زال ملكك وماتت الغيلان العظيمة والغويران أيضًا.
تنهد دوفا بحزن: فعلنا كل ما نستطيع، لكننا فقدنا كل شيء!

أسدان: لا أنكر هذا، لم تكن لديكم فرصة ضد دوران منذ البداية، لكنكم أبقيتم عليه لزمن طويل داخل الغابات. والآن لا حائل بينه وبيننا سوى الهيروس. إن سقطوا أصبحت بداية النهاية. لن نستطيع أن نقاتلهم ونحرر البلاد من قبضة لوسيران في آن واحد. لذا بدلًا من القلق بشأن

العابر، اذهب إلى المشفى وتعافَ في أقرب وقت؛ أحتاج إليك في المعركة القادمة.

....

حقل من الطاقة الكهرومغناطيسية، تشكل حولها لأميال، تنبعث منها إشارات قوية، ظن الجميع أن من بداخلها يطلب الاستغاثة، لكنها كانت مقبرة لكل من حاول الاقتراب منها.

فعلى الرغم من خلو الكوكب من الحياة، كانت بمنزلة الحصن الذي يرغب به الجميع. قامت العديد من الحروب، للحصول عليها دون جدوى، تسقط أي مركبة بمجرد دخولها المجال الجوي للكوكب. وظل الأمر هكذا لسنوات، حتى يئس الجميع من المحاولة ما عدا (لوكسوريا) استغلوا كل مواردهم وتطورهم لاكتشاف مدخل لها. سنوات من البحث حتى اهتدوا إلى وجود ثقوب سوداء داخل الفضاء المحيط بأكزاديا على بعد آلاف الأميال يصدر نفس هالات الطاقة الصادرة من الغلاف الجوي الخارجي لها.

لذا بعثوا رحلة استكشافية أسموها (جولبيس)، كان من المقرر عدم دخول المجال، فقط مراقبة ما يحدث عند إرسال مركبة صغيرة بالقرب من الثقب، لكن بسبب خطأ ألم بالسفينة لم تنفصل المركبة الصغيرة، وانتهى بهم الأمر جميعًا، بالاختفاء داخل الثقب والظهور داخل أكزاديا.

بعد أربع سنوات التقطت لوكسوريا إشارات مركبة جولبيس. أصابتهم فرحة عارمة أنهم بخير، وأرسلوا لهم الاستغاثة للعودة بهم للديار. لكن حين قابلوا الطاقم كانت الصدمة. تغير كل أفراده لأشخاص أصغر سنًا. وبعد أن أجروا لهم عدة فحوصات للتأكد من حديثهم وخلوهم من الأمراض. أثبتوا أنهم الجيل الثالث من أبناء طاقم المركبة.

حازم: مفهوم الوقت المتغير هو من فعل هذا!

أجل بالنسبة للقاعدة الرئيسة بلوكسوريا، غابت المركبة أربع سنوات، وبالنسبة للطاقم انقضت ثلاثة أجيال. لكن المشكلة لم تكن هنا. الأجيال السابقة كانت حية ترزق، لذا كان من البديهي أن يقوموا بإرجاع الطاقم الأصلي لذويهم، لكنهم حين عادوا ماتوا جميعًا خلال أيام قليلة ما عدا اثنين، ومن هنا جاءت فكرة العابرين، وأن الانتقال يكون لبعض المختارين.
وحتى من بقي من الأطفال داخل لوكسوريا، تدهورت حالتهم الصحية والعقلية، كما حدث مع والدتك.

هكذا بدأت الحياة داخل أكزاديا، وللاستفادة من مواردها قاموا ببناء مدينة (جولبيس)، في البداية كان الغرض الأساس من الأبحاث عودة الجميع

سالمين، لذا كان لا بد من فئران تجارب، لا أعرف كيف أصيغ الجملة الآتية؛ لكنهم فعلوها، خطفوا أشخاصًا من كواكب عدة ومن عصور مختلفة.
مثل تيتانوبوا من الأرض من العصر الباليوسيني، دينوسوكس، وغيرهم، أيضًا شعب الجوران، من نسل بعض البشر من العصر الحجري، الباقون منهم الآن هم الغويران، كانوا جيدين إلى حد ما قبل تحولهم.

إلى هنا أعتقد أن الأمور منطقية إلى حد ما بالنسبة لك يا حازم، سكان جولبيس هم أول شعوب كوكب أكزاديا وباقي الشعوب سواء الهيروس أو الأدوفار أو الجوران جميعهم من كواكب كثيرة ومختلفة بغرض التجربة.

أعتقد أن المتعة الحقيقة سوف تبدأ من هنا؛ لذا أنصت بحرص شديد.

عندما عثر الجوران على الطفل، اجتمع زعماء القبيلة، وأذاعوا على الملأ أن الطفل ابن الآلهة. أرسله والده إليهم حتى يرشدهم نحو الصواب ويجمعهم نحو راية واحدة. إن تذكرت في بداية حديثي، أنهم علموا بوجود الهيروس من أصواتهم دون أن يشاهدوهم، وأطلقوا عليهم (وحوش) لذا تواروا في الشقوق. لكن المسمى اختلف حين أصبح بين يديهم طفل غريب اللون، بداخل ذراع أحد الهيروس. كل هذا لدوافع شخصية لهم ومكسب عظيم بتقديس طفل صغير، وهم المتحكمون به في النهاية.

حتى أكون صادقًا معك في بداية الأمر انصدمت من نفاق البشر، تركوا مشكلة وجود عمالقة يمكنهم قتلهم في أي لحظة، بأن ينصبوا أنفسهم أنصارًا لطفل صغير بعد أن أطلقوا عليه إلٰه. لكن بعد أن رأيت ما يحدث في الأرض أيقنت أنها ربما الجينات، أغلبكم فاسدون حتى النخاع. بعضكم يدعون إلى التحضر والإنسانية بعد أن تسببوا في قتل ملايين البشر، والبعض الآخر يدينون بدين واحد ولغة واحدة، وهم أكثر الشعوب سفكًا للدماء.

من حيث أتيت، لوكسوريا، أكزاديا، وكل كوكب آخر في الكون يعلم يقينًا بوجود [رب واحد] فلو تواجد أكثر من إلٰه لرأينا في السماء حربًا لا نهاية لها؛ حتى يستقل كل خالق بخلقه.

وبعد أن اقتنع الجميع أنه إلٰه، أطلقوا عليه (سادان)، أول بشري سجد له الجوران بعد أن بنوا لو معبدًا مزخرفًا بالورود وعرشًا جميلًا منحوتًا بطريقة مبتكرة غير متعارف عليها ووضعوا ذراع الهيروس أعلى العرش بعد أن أخلوه من اللحم. ليصبح مكانًا تتوافد إليه القبائل الأخرى من الجوران، فكلما قدم أحدهم وشاهد الذراع وجسد الطفل وعينيه سجد وأقرّ بألوهية الرضيع.

هكذا عاش سادان[12] لسنوات طويلة، منعم بكل ما لذ وطاب، يقدسه كل من رآه، وأيضًا الوحيد الذي كان له السلطة لفعل ما يريد لهذا أحل لنفسه ١٠٠٠ زوجة، وهو لم يتجاوز ١٨ عام.

انتظر، لماذا تعلو وجهك ابتسامة مريبة عندما ذكرت **1000** زوجة، هل تظن أنه كان سعيدًا؟

حازم: وما يمنعه من السعادة، أولم تكن نساؤهم جميلة بالقدر الكافي؟

التعود والملل هما السلاحان الوحيدان القادران على هزيمة كل شيء، حين تمسي وتصبح تفعل نفس الأمور حتى وإن كانت أمامك أشهى المأكولات، وبجوارك آلاف النساء ملكًا لك تفقد رغبتك بالأشياء بالتدريج حتى تصاب بالاكتئاب، واليأس، وتصبح العزلة ستارك الدافئ من الحياة.

كهنة معبد العظام المقدس، هكذا أطلقوا على أنفسهم حينها، يسجدون أمامه يتمسحون بأقدامه طلبًا للبركة والغفران، لكن حين ينفردون به، تعلو أصواتهم عليه، ويخبرونه أنه لا شيء سوى طفل مشوه، أتى إليهم في ذراع عملاق، وإن لم يلتزم بكل قواعدهم أخبروا العامة بأنه دجال.

[12] سادان: هو طفل من شعب الأدوفار، لكنه عاش بين شعوب الجوران بصفته ابن الآلهة

فلم يكن سوى بيدق بيدهم، والحلول المتاحة ليست بالكثير إما قتلهم أو الهرب.

حازم: مهلا، لحظة، هل سادان هذا صاحب البحيرة المتواجدة داخل غابات أزاروكس، ولها منبع آخر داخل مدينة الآلهة.
- تبًا، هل انتبهت الآن لهذه النقطة! لماذا برأيك أسطر لك تلك الأساطير. للاستمتاع مثلًا!، صمت لوهلة ثم أردف قائلًا: يبدو أنك أحمق مما تبدو.
حازم: هاااي، بالطبع أعرف، أنا فقط أتأكد.
- حسنا دعنا نكمل...

كانت الأمور جيدة سواء كان هناك ملل ورتابة أم لا، حتى تغير كل شيء عندما سمعت إحدى نسائه حديثه مع الكهنة حول شخصه، وكانت تلك المرأة ابنة أحد الزعماء أهداها له حتى يتقرب منه ويرتقي بين زعماء القبيلة.

وعلى الفور سربت كل ما سمعت لأبيها حول احتياله وتلاعب الكهنة بالناس للحصول على النفوذ والأموال، فجمع حلفاءه، والتقى بالكهنة لمساومتهم على المعلومات التي لديه، إما أن يصبح شريكًا لهم أو أن يخبر الجميع كل شيء ويصير بطلهم المنقذ، فأخبروه أن سادان بيدق لديهم لكنه يحصل على النصف من كل الثروات، في الحقيقة هذا لا يحدث لكنهم أردوا

أخذ النصف لهم والمشاركة في نصف جماعي بينهم، لم يتوقعوا أنه كان مستعدًّا لخطة أخرى بالفعل.

قال: نعلم جميعًا أهمية سادان في الحصول على موارد وغذاء وكافة المتطلبات اللازمة دون عناء الصيد أو العمل، لكن ما حدث الآن يمكن أن يحدث مستقبلًا ونفقد ذلك المصدر الدائم، لذلك إن اختفى بشكل ما وجف جسده وأصبح مثل الذراع ووضعت بقاياه على العرش سوف يصبح أكثر قداسه من السابق، ربما في رحلة ما سوف يتخلى عن جسده ويصبح مثل ذراع والده، ونحصل على كل شيء بضمان أبدي.

القواعد التي أقرها الكهنة عليه، ممنوع الخروج دون حراس أو الذهاب لمكان غير المعبد والأماكن القريبة. أو التحدث مع العامة في الأمور التافهة، وأن يقوم بإظهار الأماكن الملونة من جسده بشكل دائم وبطريقة تبدو عفوية، وكيفية الحديث وغيره من القواعد، لذا عندما أخبروا برحلة ميدانية خلف الجبال واكتشاف الأماكن الأخرى ابهج الأمر قلبه وشعر بسعادة عارمة لموافقتهم أخيرًا على الخروج من القرية حتى وإن كانت هناك بعض الشروط كخروج بعض الكهنة معه، بالإضافة لتعزيزات من القبيلة الثانية (قبيلة والد زوجته)

وبالفعل انطلق سادان في رحلته الميدانية للمرة الأولى ثلاثة أيام من التجوال، حيث كان ينبهر برؤية كل شيء حتى أبسط الأشياء، صحيح أنه شعر بالغرابة قليلًا لعدم تعليق الكهنة على أفعاله، لكنه اعتقد أن القواعد ربما لا تسري خارج القرية.

وعلى الرغم من شر الكهنة فإنهم كانوا محقين، فحين تصرف سادان على طبيعته بدأ الجنود بالحديث سرًا عن أفعاله وغمغم أحدهم قائلًا: هل من المفترض أننا نقدس هذا الفتى! يبدو مثل أطفالنا رغم اختلاف مظهره، هو بشري في النهاية.

قال أكبرهم عمرًا: كنت هنا عندما ظهر، أتذكر أنه كان مثل صغيري حينها، يمرض مثلهم، ويحتاج لمن يرعاه، لا أعلم كيف انتهى بنا الأمر هكذا!

وقبل أن يكملوا قطع حديثهم ظهور قائد الحرس الشخصي لسادان كان شجاعًا مَهِيبًا رغم صغره، قائد بالفطرة ومن أكثر الأشخاص ولاءً له حيث اهتمت والدته بـ سادان عندما آتى، لهذا يحبه كأخ له ويحميه بحياته، وأمرهم بالانصراف نحو المواضع التي حددها لهم.

انقضى ذلك اليوم وأسدل الليل ستائره، واتخذ كل جندي موضعه للحراسة، باستثناء رجال القبيلة الثانية، تحركوا نحو خيمة سادان حسب الخطة الموضوعة، أخرجوا رماحهم، غرزوها بمنامه العديد من المرات، منتظرين رؤية دمائه تملأ المكان، وتغادر روحه جسده طمعًا في الثراء السريع خلف الأمر، فلا شيء مقدس أكثر من المال بالنسبة لهم.

لكنهم ارتابوا وتسلل الشك إلى قلوبهم، لعدم ظهور أصوات صاخبة خلف طعناتهم أو دماء تتناثر، وقبل أن يتداركوا الأمر أفزعهم صراخ آخر جندي من الخلف.

لورانس ينظر إليهم بأعين شزراء، ويده اليمنى تجذ عنق الجندي الأخير لتتناثر الدماء على وجوههم وملابسهم.

وعلى الرغم من كثرتهم كانوا لا شيء أمام حركاته الرشيقة وسرعته في استخدام الرمح، فقضى على أغلبهم في طرفة عين، ولم يتبق سوى عدد بسيط وقبل أن يقاتلهم مرة أخرى توقف حينما سمع صراخ زعيم الكهنة (أوبار[13]) يأمر الجميع بالتوقف ويغمغم بلهجة مرتعشة: لورانس توقف، هذا الفتى ليس إلهًا لقد خدعنا يا بني، لهذا نريد أن نتخلص منه ومن شره، كان يريد أن يقتلنا. وينشر الفساد في الأرض.

[13] أوبار: هو زعيم كهنة معبد العظام المقدس.

اخفض لورانس رمحه، وهو ينظر إلى سادان المرتجف خلفه، ثم للكاهن والجنود وغمغم: لم يخبر أمي حين أرضعته أنه إله، ولم يفعلها حين كنت ألعب معه في الصغر، أنتم من فعلتم هذا، أنت الوحش هنا، هو مجرد صبي، أبيح له كل شيء حتى استهلكت روحه وأصبح فارغًا لا شيء يبهره أو يسعده، إن استحق أحد القتل فهو أنتم!

ثم وجه لورانس كلامه للجنود وأخبرهم أن يخفضوا أسلحتهم إن أرادوا العيش، وفي المقابل أظهر أوبار وجهه الحقيقي ووعدهم بالنعيم في القرية إن قتلوا لورانس وسادان.

وكالعادة إن تواجه الخوف والطمع، ينتصر الطمع دائمًا لهذا هاجموه معًا رغم معرفتهم بمهارته وقوته، استطاع التصدي لهم لمدة طويله، لكنه لم يقدر على ردع سكين صغير ألقاه أحد الجنود واستقر بالجزء السفلي بالناحية اليمني لسادان. شتت الأمر تركيزه عن القتال، ولم يقدر جسده على المواصلة، وسقط أخيرًا مثخنًا بالجراح بعد أن أسقط منهم الكثير!

لم يتبق منهم سوى ثلاثة يلهثون من أثر القتال، ويتحركون ببطء رغم جراحِهم نحو سادان، الذي ظل يتراجع للخلف حتى أصبح على شفا جرف الجبل، فعلم أن الموت مدركه لا محالة لكن رغبته في البقاء كانت أقوى من تعطشهم للمال والنفوذ، فقبل أن تخترقه نصال رماحهم ، انتزع الخنجر

من جسده وهو يصرخ بعزم صوته من شدة الألم، تراجعوا إلى الخلف على نحو سريع ليس خوفًا من صرخاته البلهاء، لكن الدماء المنهمرة من جرحه كانت ترتفع بالهواء بدلًا من السقوط على الأرض، وظهر الجرح كحفرة سوداء انتشرت في ثواني بكامل جسده ثم تحول إلى ذرات من الغبار وتلاشي أمام أعينهم بالهواء.

سقط الجنود والكهنة أرضًا من الخوف يطالعون موضعه بعد الرحيل، صعقوا مما حدث، الكذب والأوهام التي عاشوا يوهمون الناس بحقيقتها تحولت أمام مرمى نظرهم لحقيقة! سوف تغير كل شيء.

لذلك هرع أوبار نحو جسد لورانس الملقى على الأرض بجروح غائرة، وأمر بقية جنوده بتقديم الرعاية الطبية حتى يصمد أثناء العودة، فإن عاد سادان فبقاء لورانس حيًا سوف يشفع لهم، وإن لم يفعل ألقوا أصابع الاتهام نحوه، وأخبر العوام أنه من قتل سادان طمعًا في خلافته.

الفصل التاسع

إله مُزيف

الوقت الحاضر...

انقضت أيام، ثم شهور على هذا المنوال، يستمع حازم لحديث روح المكتبة، عن ماضي أكزاديا، وعلى النحو الآخر أسدان ودوفا يستعدان للحرب القادمة، حيث امتثل دوفا للشفاء واستعاد عافيته بشكل جيد، عكس أسدان الذي تدهورت صحته وارتعد جسده أثناء أحد الاجتماعات بالوفود وأصبح يقيء دمًا من فمه، وعينيه تلونت بالسواد وشحب وجهه أكثر فأكثر وانتشرت الأخبار في المدينة أنها النهاية، فإن مات انتهت أكزاديا بسقوطه.

باستثناء خادمه الشخصي، حيث ارتسمت على ملامحه علامات الفرح بمرضه، وذهب إلى قائد الحرس يهرول فرحًا: لقد اقترب الأمر، يجب أن نستعد.

قائد الحرس: لقد قمت بتجهيز غرفة معزولة بالجناح الغربي مسبقًا، حتى يتم الأمر بسلاسة، بالمناسبة ظهرت ملامح على جدران السرداب بظهور باب المكتبة؛ لذا لا بد من الانتهاء سريعًا قبل عودته.

وبسبب مرض أسدان استلم دوفا زمام الأمور في المملكة، وكانت أول أوامره رفع الحالة القصوى للمدينة وتشديد الإجراءات الأمنية، كما أمر بتجهيز وحدة صغيرة قوية للذهاب لغابات أزاروكس لنجدة أردان، رغم أن الأمر واجه استنكارًا بين المستشارين الملكيين وقائد الجيش، لكن في النهاية انصاع الجميع للأوامر كما ينص القانون، فخرج إلى الميناء برفقة الجنود المختارين للذهاب وأعطى الإشارة لصاحب البوق، حتى يستدعي العمالقة.

لم ينحدر البشر من الهيروس، بل هم جنس مستقل بذاته، عاشوا في كوكب آخر حتى جلبت جولبيس بعضهم هنا، يتكلمون عن طريق موجات الصوت المختلفة أثناء صراخهم، أول من تمكن من اكتشاف الأمر رجل يدع مارون، نال شرفًا كبيرًا وحظي باهتمام سادان حين صنع بوقًا يمكنه من الحديث معهم.

فتمكن سادان من استغلال الأمر بأن يصبحوا تحت حكمه في مقابل أن يجد لهم طريقًا للعودة إلى الوطن.

نفخ مارون الخامس عشر البوق بأصوات مرتفعة ومنخفضة، ثم ما بين الاثنين، كأنغام موسيقية، انتظروا لدقائق حتى سمعوا صرخات قادمة من أقصى الشمال، استكان مارون للحظات ثم هرول نحو دوفا يغمغم: سيدي

لن يستطيعوا المجيء، هم الآن متوجهين لآداء (طقوس الدافري) قد تستغرق أيامًا، أو ربما أكثر لا أعلم.

تنهد دوفا ثم قال بغيظ: أي نوع من الطقوس! أوليس بيننا وبين هؤلاء الأغبياء ميثاق، كم استغرقوا من الوقت في طقوسهم الغبية من قبل؟

قائد الجيش: لا نعلم، لكن في بعض المرات، عادوا بعد 3 سنوات.

دوفا: ماذا؟!

مارون: مولاي، جلب الهيروس موارد وفاكهة تكفي لعشر سنوات، ولا يمكن لدوران وقبيلته المرور، لن يشكل خطرًا علينا سوى جومير، لكنها لم تغادر الغابة منذ ملايين السنين ولن تشارك.

دوفا: كيف باعتقادك، أننا خسرنا القتال ضد دوران!

مارون: ماذا!

دوفا: لا شيء، عد لعملك.

صمت لبرهة ثم أمرهم بالعودة، حتى لا يبث الرعب في قلوبهم إثر تحرك جومير من أجل دوران، عادت الجنود للثكنات دون دوفا الذي بقي ساكنًا أمام المحيط، يغمغم: سوف أستعيدك مرة أخرى، حتى وإن كان آخر ما أفعله، انتظرني.

....

داخل المكتبة...

تناول حازم الفاكهة التي ظهرت أمامه من العدم، عندما طقطق صاحب الصوت أصابعه، نتيجة اضمحلال تركيزه أصبح غير قادر على المواصلة بشكل ملحوظ،

فأمهله روح المكتبة، ثلاث ليال للاسترخاء، وفعل ما يشاء.

وبالفعل دفعه الفضول للتجوال، ورؤية مختلف الحضارات، أقسام كثيرة منها حضارة الهيروس، وحضارة الأدوفار، وملايين الحضارات الأخرى ما عدا الأرض، لم يكن لها قسم كالبقية، لهذا تجول يبحث عنها حتى وجد قسمًا مستقلًا بذاته محفور به مكانين لكتابين فقط، أحدهما مكانه فارغ ومحفور تحته تاريخ أكزاديا، والآخر كتاب أشد ظلمة من أي كتاب آخر، محفور أعلاه (نسر الدم) النشأة الأولى للأرض. أرعبته الهمسات بين طيات صفحاته، مؤامرات وقتل، إبادة جماعية شاملة، ودون أن يشعر أطلق سيقانه للريح مبتعدًا عنه بعد أن تحولت الهمسات بين الأشخاص؛ فأصبحت تنادي عليه للدخول كما حدث في كتاب والده.

وعندما وصل إلى مكانه السابق يلهث، سمع غمغمه بجانبه: حتى أنا لن أستطيع أن اخرجك من لعنات ذلك الكتاب، لكل عالم أبطال تفعل المستحيل لتصويب الأمور، لكن ذلك الكتاب سوف يضحى بك من أجل

تحقيق السلام، لا معنى للصواب والخطأ، في النهاية إما أن تكون قاتلًا أو مقتولًا.

لم يمر سوى يوم واحد من مدة الراحة، لكن الصوت أكمل فكان متشوقًا أكثر من حازم نفسه ليروي بقية القصة قائلًا: تمامًا كما حدث مع سادان، حين اختفى من أمام مواليه وأعدائه، ثم ظهر في منتصف مدينة جولبيس، بجانب نافورة مياه، أعلاها تمثال عظيم لقائد لوكسوريا، هرول العامة مبتعدين عنه، وامتلأ المكان بمئات الجنود يحيطون المكان في شكل دائري. فقد الكثير من الدماء، تلونت الأرض بلونها حتى وصلت للأطراف حذاء بعض الجنود، ولم يستطع أن يقاوم، ظل يتمايل يمينًا يسارًا، يطالع وجوه من حوله لدقائق، حتى سقط فاقدًا للوعي.

ولسبب ما أبقى زعماء جولبيس على حياته بعد إنقاذه لأهميتها القصوى، في الحقيقة منذ مولده، كان تحت رعايتهم يراقبون ما يحدث دون التدخل في مجرى الأحداث، رغم جيناته الفريدة.

حَكَّ حازم رأسه في تشتت وأردف قائلًا: انتظر، هل تعني أن كل ما حدث، من تخطيطهم؟

يمكنك قول هذا، سادان تميز بهالة فريدة من الإشعاع، تتشابه مع الإشعاعات التي تغطي أرجاء الكوكب، أظهرتها الأجهزة التي جلبها الأوائل

وقاموا بتطويرها هنا، لأن مجالها الجوي للكوكب يفسد كل شيء كما تعلم، فتقوم الأجهزة برصد التغيرات التي تحدث داخل أكزاديا؛ لهذا ظنوا أن تلك القبيلة من شعوب الأدوفار هي التطور القادم.

فقاموا بإرسال بعثة بالفعل لخطفه حين كان رضيعًا، وعمل الأبحاث حول جسده وقدرته الفريدة؛ لكن الأوان قد فات.

- تبًا، لا تنظر إلى هكذا بوجه أبله، كان لديهم المقدرة على خطفة من الجوران بالتأكيد. لكن قبل أن أخبرك لماذا لم يفعلوها، يجب أن تعلم كيف تم اختيار الأشخاص من الكواكب المختلفة، وجلبهم هنا.

ببساطة كل شيء يتمحور حول قدرة تغييرهم في الواقع وتأثيرهم الزمني، فلكل شخص أو قبيلة تأثير واضح في مجتمعها، لكن ماذا يحدث إن غاب فرد أو مجموعة عن خطه الزمني؟ هل تتشكل تفرعات قادرة على تدمير الواقع؟ تلك كانت النظرية الشائعة حتى جلبوا أشخاصًا ذات تأثير شديد بالمجتمع.

الهيروس كانت قبيلة من أصل **14** قبيلة أخرى، وتعد الأقوى بينهم، ضمن تحالف يسعى للسيطرة وحفظ السلام داخل كوكبهم (كوران) حيث يستطيع الفرد منهم العيش أكثر من ألف سنة، وفي خلال تلك المدة يبقى مع زوجة واحدة ما تبقى من عمره، وإن ماتت انخرط في القتال ضد القبائل

الأخرى، حتى يهلك دون النظر إلى غيرها، تلك طبيعتهم، لكنها تتغير في حالة الحروب أو قلة النساء إثر حرب أو حادثة أفضت إلى هذا.

وخلال أقوى حروبهم، جلبت جولبيس قبيلة الهيروس بأكملها هنا، حتى تسمح للأطراف الأخرى بالفوز بين عشية وضحاها اختفى **10000** مقاتل دون أي أثر لهم، ولكي تضمن هلاك أغلبهم، حتى يستطيعون السيطرة في النهاية جلبوا كائنات أخرى من عوالم مختلفة.

في مساء ذلك اليوم أضاءت السماء بشكل رهيب وظنوا أنه سلاح ما أطلقه الأعداء نحوهم لرؤيتهم أشعة حمراء أتت من السماء قطعت خيمتهم ليلًا، فتغير كل شيء بعدها، على الرغم من اختلاف الوديان والتربة عندما أفاقوا، كانوا يظنون أنهم داخل كوكبهم كوران، لكن في مكان مختلف لم يشاهدوه من قبل، لذا قطعوا مسافات طويلة يبحثون عن طريق العودة، حتى انتهى بهم المطاف نحو جرف لخندق عميق ومظلم يفصل بين اليابسة والجهة الأخرى وأمام الجرف هضبة كبيرة رمادية تدعى (كوراف) تنين صخري من كوكب أكاديا.

حازم: تنين!

تُخفي العوالم ما هو أخطر، وتوجد كواكب بها أعظم من كوراف، أو الهيروس، أجل وجدوا أمامهم تنينًا صخريًّا عظيم الهيئة، تمكنه أنيابه من

تحطيم عظام أعظمهم وشطره إلى نصفين، ورغم أن التنانين الصخرية لا تطير، منحتها الصخور المدببة التي تغطي جسدها ميزة قويه بالأرض، وأذرع وسيقان ممتدة وطويلة في نهايتها مخالب أكثر حدة، وأخيرًا ذيل مدبب مطلي بسمٍ زُعاف.

لم يُقابل الهيروسُ الأوائل عدوًّا كهذا، ولثقتهم بقوتهم انطلق نحوه خمسة من أفضلهم لقتله، فكان مصيرهم الموت الفوري، اقتلع رأس أحدهم بنصف جسده العلوي في قضمه واحدة، ومزق الباقين بمخالفه.

دفعتهم الغريزة إلى الإحاطة بالنساء، رغم قوتهم إلا أنهم يدركون جيدًا فقدان النساء يعني فقدان النسل والانقراض الوشيك.

فلم تكن تلك المعركة عادلة، (كوراف) تنين مكتمل النمو، ذو ذكاء حاد، تجنب العديد من الضربات القوية، وشتت قواتهم وتمركزهم، واستهدف الكثير من النساء وقتلهم في تلك الحرب حتى بقيت ثلاثة.

هذا الأمر دفع زعيم الهيروس لحل وحيد، وهو أن يقسم ما تبقى منهم إلى ثلاثة مجموعات، واحده لجذب انتباهه والأخرى تطلق رماحها نحو عينه، والأخيرة بمجرد إصابته، تنطلق نحو جسده لمحاولة دفعه إلى الخلف داخل الخندق، لكن المنحدر ذاته لم يتحمل تدافعهم وانتهى الأمر بالسقوط

داخل الخندق، ومن هول السقوط تشققت الأرض واتسع الخندق لأميال عديدة، خرجت من باطنة مياه غمرته، وظلت في ازدياد مستمر حتى تكون المحيط في شكلها الحالي.

حازم: واااو، هكذا تشكل المحيط!

- بل هكذا خضع كوكب كوران، وأصبح ضمن أتباع لوكسوريا، ثم عدة كواكب أخرى، مثل كوكب الأدوفار، وغيرهم، لكنهم توقفوا عن جلب كائنات حية إلى هنا.

بعد معرفة الحقيقة بالمسار الزمني وأنه لا يتغير بل يتدفق ويصلح ذاته والنتائج المترتبة على وجود شخص ما، تحدث ولكن بكيفية أخرى. بمعني آخر وجودك في مسارك الزمنى أو موتك لا يغير شيئًا، سوف تحصل النتائج كما هي لكن بطرق مختلفة مع ضمان النتيجة النهائية.

فبعد أن توسعت إمبراطورية لوكسوريا، أصبحت أكزاديا عبئًا ثقيلًا تستهلك الكثير من الموارد، بالإضافة لاحتياجهم للجنود في التوسعات بدلًا من إرسالهم إلى جولبيس. لهذا أغلقوا مشروع أكزاديا وتركوا خلفهم من تبقى.

حازم: وماذا بعد؟

تعاقبت الأجيال داخل جولبيس، بعد أن أدرك القادة الأمر وأن لا مجال للعودة خططوا لحكم أكزاديا معتبرين أن هذا قدرهم، لكن مولد سادان غير كل شيء.

الهيروس ليسوا مسالمين، لكنهم فقدوا أعدادًا مهولة في الحرب الأولى، لهذا تخفوا داخل الغابات الكثيفة خوفًا على النساء، ولكن بعد حادثة قائدهم الحالي، قتلوا أغلب سكان المحيط، مما أدى إلى فائض بالثروة البحرية؛ وهذا الأمر دفع شعب الأدوفار إلى الاطمئنان وركوب البحار والمحيطات، وأصبحوا أكثر فضولًا نحو العالم المحيط.

خلال ذلك الوقت اعتنت جولبيس بسادان لمدة ٢٠ عامًا، تعلم من خلالها كل العلوم والتكنولوجيا المتاحة بالإضافة لقراءة كتب كثيرة من مختلف العوالم، فهو من جمع كل الكتب هنا من خلال رحلاته حول العالم حيث مكنته قدرته على الانتقال داخل أكزاديا وخارجها، .لم يستطع العلماء تفسير تجمع هالة من الإشعاع حول جسده وتمكنه من الانتقال حتى بعد الكثير من الأبحاث على جسده، كان بشريًّا من الأدوفار لا أكثر.

لذا كان الحل الأمثل السيطرة عليه، وأن يظل يشعر بالامتنان الدائم، لأنهم ساهموا في تطوير قواه حتى أصبح أول مسافر بين العوالم، كان لا مثيل له حتى حانت اللحظة الحاسمة وأظهروا نواياهم الحقيقية.

طوال مدة ال **20** عامًا تطورت العلاقات وعلم شعب الجوران بوجود شعب الأدوفار وعلم الهيروس بوجود الاثنين،وكادت أن تقوم حروب بينهم لولا خوفهم من المرور بأرض الهيروس، وأنهم لم يستطيعوا التواصل معهم.

لذلك طلب قادة جولبيس من سادان حكم أكزاديا باعتباره إلهًا يعلم الهيروس بوجوده، والجوران رغم مرور كل تلك السنوات بنوا أضرحه بداخلها تماثيل له لكي يعبدوه، رغم هروب زعيم الكهنة بعد أن جمع ثروة طائلة من القرية، ولم يتبقَ سوى الأدوفار، لكنهم حين يرونه يختفي ويظهر في الأرجاء كما يشاء سوف يصدقون.

الفصل العاشر

غمام الرؤيا

الوقت الحالي

وقف حازم منزعجًا ينفث ما بداخلة من ضيق، يصيح بوجه زفيرامغمغمًا: لا طائل من الحديث، حول الماضي، لم لا تخبرني كيف أخرج من هنا، وينتهي الأمر؛ من علي أن أقاتل أو أقتل إن حكم الأمر؟

تشكلت ابتسامة على وجهه غير المرئي، تلاشى الظلام المحيط به، حتى ظهرت هيئته الحقيقية، شاب في الـ **23** من عمره، أجمل من أي شيء آخر رآه حازم، طليق الوجه، ذو شعر أسود متموج، تمتم بصوت هادئ: أنا زيفرا، أو روح المكتبة كما تدعوني، عفوًا، لا أشعر بالارتياح بنظراتك إلي هكذا!

حازم: آسف، لكني لم أر، رجلًا بهذا الجمال من قبل!

زيفرا: لا يهم، جميل، قبيح، أسود، أبيض، جميعنا رجال ينبغي أن نعامل بنفس التساوي.

حازم: يبدوا أن الفكر الفاسد بعالمي لوث عقلي، جعلني أشعر أن اختلاف هيئة الرجال بمولدهم هكذا تجعلهم غريبي الأطوار.

زيفرا: ما يحدث في عالمك حدث هنا، وما يحدث هنا الآن سوف يحدث بعالمك، كل العوالم مرتبطة، أكزاديا تمثل مركزًا لتجمع العوالم، عودتك إلى عالمك بسيطة، لكنك لن تستطيع أن تقف في وجه ما هو قادم، سوف ينتهي بك الأمر وأنت تشاهد أطفالك موتى أو ربما يقدمون طبقًا شهيًّا أمام بعض الناس، لم يستطع والدك إيقاف الأمر، أرسلك هنا، بعد أن ضحى بنفسه لتحقيق هذا، فلا تجعل موتة هباءً.

انتهى زيفرا من حديثه وهو يقترب بخطوات ثابتة حتى أصبح أمام حازم وجها لوجه، ثم قال: أسمح لي أن أجعلك تشاهد ما حدث بعيني هذه المرة. وضع راحة يده اليمنى أعلى جبهة حازم، فظهرت بين أصابعه غمامة سوداء، تسللت لجوف حازم بسرعة رهيبة، ورفعت جسده عن الأرض في مشهد مجفل، فأصبح معلقًا في الهواء، تدخل الغيوم من جوفه ثم تخرج من قلبه، إلى عينه في تسلسل مستمر.

.....

قديمًا...

من العدم وفي منتصف السماء، ظهر سادان صاحب الـ٣٥ عامًا أمام شعب الجوران. نزل ببطء كأنه يسيطر على الهواء من خلال محركات صغيرة، مثبتة بحزام خلفي مخفي خلف ثوبه الأزرق المترهل، تداعب الهواء أطرافه الطويلة، فأصدرت ضجيجًا انتبه إليه العامة.

وفي مشهد درامي هرول الجميع نحوه، وهم يصرخون، وهو بدوره ينظر إليهم بوجه متجهم، يشاهد شيوخهم وهم يسقطون أرضًا، حيث يدهس الآخرون أجسادهم في سبيل الوصول إلى أقدامه، حتى يركعون له، تلونت الأرض بالدماء وتناثرت أحشاء من سقطوا في سبيل الوصول.

بينما تقدم سادان وهو يقطع الصفوف ببطء وهم يتمسحون بأقدامه، متطأطئي الرؤوس، حتى انتبه لشخص يقف في آخر الصفوف بجانبه سيدة جميلة، يقبض على يدها يمنعها من الركوع، وأمامهم ثلاثة صبيان صغار، وما إن اقترب حتى تبين ملامح الغريب تبدل وجه سادان بالسرور، هم أن يهرول صوبه، لكنه أبطأ من مشيته مرة أخرى، نظرًا للجمع الغفير.

أقترب منه سادان ثم وضع يمناه على كتف الرجل واختفى الاثنان معًا، تركهم في حاله من الذهول والصراخ يرجونه بالرجوع، وسرعان ما انتشرت الأخبار في القرى المجاورة على لسان أحدهم يهرول وينادي بصوت جمهور: لقد قدم ابن الإله سادان وأخد لورانس معه.

نفس المكان القديم فوق المنحدر، سيوف أكلها الصدأ، ودماء جافة على الأرض تحولت لجيف ما بين الأخضر والأسود برائحة عفنة، حتى بقايا خيمته كانت كما هي، أخذ نفسًا عميقًا، ثم تمتم هل كانوا خائفين لدرجة أنهم تركوا خلفهم كل شيء تقريبًا!

أجابه لورانس وهو يتحسس أطراف جسده، من أنها في مكانها الصحيح: أخبرني أنت كيف أتينا هنا، وكيف اختفيت، من تكون؟!

سادان: طفلًا قتل أباه والدته عندما كان رضيعًا ظنًّا منه أنها خائنة، ومات هو الآخر وهو يحاول قتله، كان السبب في فقدان العملاق ذراعه عندما حاول إنقاذه، وفي النهاية كاد أن يتسبب في موتك عندما دافعت عنه، أظن أن الوصف الدقيق أني ربما لعنة؛ تتسبب في الخراب أينما ذهبت، رأيت بنفسك ما حدث قبل قليل.

لورانس: أنا سعيد أنك نجوت، لكن أين كنت؟ ولمَ عدت؟ تعلم جيدًا موقف الكهنة!

سادان: لتصحيح الأوضاع، الكهنة كانوا مجرد بشر طماعين يستغلون الناس لتحقيق مصالحهم الشخصية، أما من حيث أتيت هناك أشخاص أخبث من الكهنة هم السبب في كل شيء أبقوا على حياتي حتى يحكموا العالم من الخفاء، لا يدينون بدين سوى السلطة والنفوذ والسيطرة على الكوكب، إن نجح ما يفعلوه هنا سوف يفقد العالم صوابه.

لورانس: ما الحل إذا؟!

سادان: حتى الآن لا شيء، سوى الخضوع، إن أعلنت التمرد سوف يهلك الجميع، لديهم أسلحة قادرة على ذلك، جُل ما أريده منك وهو سبب عودتي لك أن تكون وزيري وقائد جيشي حتى نبني أكزاديا معًا.

تنهد لورانس غير مستوعب ما يحدث حوله: أمهلني بعض الوقت للتفكير، والآن عد بي، قد يظن الأطفال أنك خطفت أباهم!

اقترب منه سادان مرة أخرى وفعل مثل المرة السابقة لكن هذه المرة ظهر الاثنان في منتصف بيت لورانس، فوق منضدة الطعام أمام الصغار، ذعر اثنان منهم، مهرولين نحو والدتهم، بينما بقى الثالث منبهرًا بشكل سادان الغريب، ثم أغدق قائلًا: وهو يشير إلى يد سادان، لدي بقعة مثلك، ورفع ملابسه حتى أعلى صدره، حتى يريه بقعة بيضاء اللون تقطع جزءًا كبيرًا من بطن الفتى وصولًا إلى صدره، ارتبك سادان، وراح ينظر في ذهول إلى لورانس ثم إلى الفتى في تتابع.

ولم يخرج من جمود ذلك الموقف إلا عندما سمع صوت زوجة لورانس تنادي على الصغير باسم أسدان، وتوبخه على إزعاجه لضيف أبيه، ثم أخذتهم للداخل.
فبمجرد أن اختفت عن أنظارهم، أمسك لورانس من زنده وتحدث بصوت حاد لمَ ذلك الصغير أصباغ جسده مثلي؟!

لورانس: أصباغ؟!
سادان: أقصد اختلاف ألوان جسده، هل ذلك الطفل...!

لورانس: عندما عاد بي الكهنة، أودعوني السجن، بعد أن ألقوا على عاتقي اختفاءك، أصبحت منبوذًا، حتى أخذ (أوبار) كل أموال القرية وهرب خوفًا من عودتك، حينها استمع رجال القرية لروايتي، وأفرجوا عني.

وعندما عدت إلى البيت كانت أمنا غادرته بالفعل منذ زمن وأصبحت تعيش على مسافة بعيدة من القرية، ومعها صغير أودعته عندها إحدى نسائِك، لذا تزوجت وابقيت نفسي بعيدًا عن القرية حتى لا يعلم أحد بوجوده، وحينما عدت ظن الجميع أنه ابني مثل أردا ودوران.

منذ تلك اللحظة وتغيرت الأوضاع، فيمكن القول أنها النشأة الأولى والحقيقية داخل أكزاديا، حيث أمر سادان بنحت صخور الجبال، و تقطيعها لقطع صغيرة، حيث شيد بها قصورًا بطرق غريبة، تحاكي الحضارات التي شهدها، فاستغرق الأمر **15** عامًا حتى أصبحت أكزاديا تجمعًا حضاريًّا لا مثيل له، تعيش بداخلها شعوب الجوران والأدوفار والهيروس متجاورين تحت حكم سادان.

صرخات هزت أرض أكزاديا، أسقطت صوراي المعابد، صوت تردد في أذن الجميع "خائن! أيها الخائن الحقير، أنا قادمة إليك، سوف أسلبك كل ما تملك، سوف أقتلع قلوبهم جميعًا، وأنت تشاهد رغبتك الملعونة"

سقط سادان على عرشه بملامح جامدة كأن الموت أمام عينيه، ينظر نحو أسدان بدموع تتساقط من عينه كأنها ساعته الأخيرة، صراخ قادم من الخارج، وانفجارات متتالية، جثث ممزقة في كل مكان، أغرقت الدماء جدران الشوارع وأراضيها، هرول لورانس للخارج، لكن سرعان ما تراجع في ذهول مما يراه.

قائد الهيروس معلق في الهواء، بعد أن انتزع شيء ما قلبه، ودماؤه تسيل في المدينة، كالسيل يجرف كل ما أمامه.

في منطقة أخرى... الهيروس يصرخون، يحاربون عدوًا لا يراه أحد سواهم. يسقطون واحدًا تلو الآخر بعد فقدان أيديهم وأرجلهم، حتى سقط آخر فرد منهم بعد أن شُق جسده لنصفين.

خيم اليأس على المدينة، انتشرت رائحة الموت، وملأت الجثث الشوارع، ماذا يحدث! سؤال عصف ذهن الكثيرين، حتى ظهر سادان في الهواء في منتصف المدينة، وما أن رآه القوم هرولوا تحت اقدامه يطلبون الغفران، وبعضهم يطلب منه إعادة من ماتوا للحياة.

لكنه اكتفى بالنظر إليهم بوجه محتقن وعين شزراء قبل أن يصرخ بهم مذعورًا: توقفوا، أرجوكم توقفوا، أنا مجرد بشري ارتكب خطأ جسيمًا، تلك هي البداية ولن ينجو أحد منكم.

ثم اختفي من أمامهم وعاد إلى قصره، حيث كان لورانس يشاهد ما يحدث من خلف ستائر الشرفة، فما إن عاد وأصبح أمامه، أخرج لورانس سيفه من غمده وقال بوجه متجهم: أين يمكثون؟

ارتسم الذهول على محيا سادان فلم يصدق أنه ما زال حيًّا، فهرول نحوه واحتضنه وهو يغمغم: لورانس، أنت حي، جيد أنك بخير، ينبغي لنا الخروج من هنا الآن!

لورانس: لن أغادر، أين يعيش سكان جولبيس؟
سادان: أنت لا تفهم!
لورانس: سوف أعثر عليهم، أخبرني أين هم؟

يئس لورانس من صمت وغموض سادان لهذا همَ بالرحيل، لكن أوقفته كلمات سادان المُحملة بصرخات الندم: لقد ماتوا، أو بالأحرى قتلوا منذ زمن، ونحن القادمون، إن لم تستمع لي الآن، ظننت أني إن حشدت جيشًا وقوة بإمكاني الوقوف في وجهها لكن لا أمل لنا.
لورانس: من!
تنهد سادان يتمتم: ليليث، سيدة الأماني، عندما اختفيت لم أظهر داخل جولبيس، بل داخل فراغ يملؤه الظلام، ثم بدأت بالظهور سبعة عروش، مصفوفة بشكل طولي، وعرش مهيب ثامن مقابل لهم في الجهة الأخرى، بدأ

في الظهور طيفًا زهريًّا جميلًا، أغدق بصوت عذب: كادوا أن يقتلوك، أيقظني حلمك ورغبتك بالعيش من سباتي، سوف أعطيك شيئًا يمكّنك من الفرار من أغلب المشاكل لن يصل لجسدك نصل مطلقًا، لكن كل شيء بمقابل.

سادان: أرسلت لها كل سكان جولبيس، لكنها قتلتهم جميعًا غير راضية، تريد شخصًا صاحب حلم ليس له مثيل، كل ٢٠ عام لا بد من التضحية بصاحب حلم فريد.

لورانس: هل يمكننا قتلها!

سادان: سوف نفنى ولن نبلغ عرشها، لقد قتلت أعظمنا هيئة حتى نعلم قوتها.

لورانس: لماذا الآن، نحن هنا منذ سنوات!

سادان: رغبتي في العيش أيقظتها، ولا ترغب في النوم مرة أخرى، لا بد لها من الأماني حتى تبقى، هذا ما أعرفه، بحث كثيرًا لعلي أعرف عنها شيئًا، لكن دون جدوى، ليس هناك حلٌّ يخلصنا منها، لكن هناك طريقة لبقائها بعيدة لوقتٍ كاف حتى نعلم كيف نقتلها.

جمع لورانس كل من نجا من القبائل، وثلاثة من صغار الهيروس، أنقذوهم من تحت الأنقاض، ثم غمغم: ما حدث هو البداية، تلك هي العقوبة لنوايانا الخبيثة، تريد كل القبائل العلو في الشأن عن الأخرى، لذا أرسل والد سادان جنوده، ليريكم ضعفكم، كما أمر سادان بحفر منبع للماء هنا و داخل

الغابات، سوف يرسل إليكم عابرًا كل مدة من الزمن، صاحب أمنية فريدة، ليحصل على ما يريد، بذلك يقبل والد سادان توبتنا، ويعم السلام والود بيننا وتزدهر أوطاننا..

....

انتهي الغبار العابر ما بين قلب حازم وجوفه مع آخر كلمات لورانس، سقط على الأرض يحاول التنفس، ويخرج ما في جوفه من غبار، ثم نظر إلى زيفرا قائلًا بصوت محشرج: هل أنا أضحيتكم الجديدة؟

زيفرا : لم يمت أحد من العابرين، كل منهم أتى وعلم من الشعب كلمات لورانس الباقية، أكزاديا أرض الأماني، لذا أطلقوا عليه سيد الأحلام لورانس، كانت تلك خطة سادان، جلب كائنات أخرى، من متخلف الكواكب عن طريق استخدام تكنولوجيا جولبيس وجعل بحيرة سادان مورد العابرين.

واستمر الأمر هكذا عابرون يأتون ويرحلون، سعداء دون التدخل من أحد، تاركين أمانيهم هنا تنمو، حتى قدم والدك كان منبهرًا بكل ما يراه من حضارة، كطفل صغير يشاهد الحياه للمرة الأولى، تجمهر حوله الكثير من السكان حينها ينتظرون أمنيته، كان البعض يقولها بصوت عالٍ وتعيش أكزاديا أضعاف ما يتمنى، فإن حلم بالثراء، أو القوة يكون لسكان أكزاديا نصيب من الأماني، أتذكر حينها أنه هرول بعيدًا يلهث وهو يحاول تلميع

نظارته من الغبار المتراكم عليها، كأنهم يريدون قتله لا أن يتمنى أمنية كغيره.

وعندما وصل الأمر إلى ساندان ولورانس بأن هناك عابر هرب ولم يتمنّ شيئًا بحثوا عنه طويلًا حتى وجدوه يطوف في المدينة، يسجل كل ما يراه، وعندما مثل أمامهم شاهدوا شابًا في ٣٠ من عمره مهترئ الملابس عريض المنكبين ذا جسد قوي، يرفع نظارته الملصقة من الجانب عندما تقع كل عدة دقائق.

تردد ساندان كثيرًا في إخباره، لكن لورانس أصر على قول حقيقة الأماني؛ عسى أن يجد عنده إجابة.

الإثارة والتشويق كانت تفضح ملامح والدك بشدة، لكنها تحولت إلى ذعر عند سماع اسم ليليث، فنظر إلى ساندان، قائلًا: هل حاولت إغواءك!

أصاب ساندان الارتباك، وأراد إعدام والدك لاتهام الملك بتهمة شنيعة باطلة.

وقبل أن يأخذه الحراس غمغم: هناك أسطورة عنها في عالمي، ليليث قيل عنها أنها عاشقة الشيطان، تمردت على زوجها آدم عليه السلام، كما قِيل في الأساطير أرادت الانتصار لرغبتها وشهوتها بالتمرد، كما أنها لقبت

بشيطانة العواصف، التي تغري الرجال وتقودهم لهلاكهم، في بعض الروايات القديمة نسبوا إليها خطف المواليد وقتلهم في الغابات، لم يُذكر عنها سوى البؤس والمرض، فكيف لها أن تحقق الأماني! ولمَ؟

بدت علامات الاستفهام على وجه لورانس حول الشياطين والتمرد، ليليث وسبب أفعالها، على عكس سادان، تنهد غير مبالٍ يغمغم: عالمك ليس مثاليًّا، مكان موبوء مليء بالقتل والجشع والظلم، حتى وإن كان ما تقوله صحيحًا، لم تقتل أحدًا، حتى الكهنة، أمرتني بعدم المساس بهم، جعلتنا ملوكًا حقيقيين!

لورانس : لم تقتل أحدًا! لقد أبادت جنسًا كان يعيش هنا في سلام، تركت خلفها ثلاثة صغار من الهيروس يبكون كل يوم يريدون عائلتهم، لم ندخل حربًا، كانت مذبحة لن أسامحها عليها ما حييت.

سادان: بعد كل تلك السنوات لم تتغير لورانس، انظر حولك لما وصلنا له من قوة، نملك ما تحتويه معظم العوالم الأخرى، بل وأكثر، سوف نملك قوة وجيشًا يمكنه احتلال العالم. مقتل الهيروس أرعب هؤلاء العوام، جعلهم يدركون الموت، يفزعون من حقيقتهم أنهم موتى، ليليث سوف تغير هذا الأمر، أعطتني الخلود ومواثيق سبعة لملوك سابقين، لديها وجهة نظر حول

العالم وحقيقة إن تركنا كل منهم يفعل ما يشاء سوف تصبح غابة؛ لذا لا بد من السيطرة علـ...

صمت سادان بعد أن أوشك على قول شيء بدَا مهمًا للغاية، أدرك نفسه في اللحظة الأخيرة، وهم بالرحيل من المجلس، لكنه توقف دون الالتفاف قائلًا: لديك شهر من الآن سواء تمنيت أم لا سوف تغادر، يمكنك جعل الأمر يبدو منحة دراسية، تعلم ما تريد، لكن احذر من غضبي.

أطرق لورانس رأسه خارجًا من القصر وأمر والدك بمجاراته، لم يعتره غضب كهذا من قبل، شعر بالخيانة، بتغير سادان المفاجئ، ظل يفكر طوال الطريق هل كان هكذا من البداية وغفل عن جانبه السيئ؟

والأدهى أن ابنه الأكبر دوران، كان وزير أحد قادة الولايات السبعة حينها، يقدس سادان عكس أسدان وأردان، حيث تولى أسدان القضاء ليحكم في مصالح العامة، أما أردان رفض الذهاب وفضل البقاء بجانب والدته المريضة بعد انفصالها عن والده واتهامه بإفساد دوران بسبب اتباعه لأوامر سادان.

أصبح الأمر أكثر سوداوية أمام عين لورانس، وكاد أن يفقد عقله، كونه ساعد سادان ليصبح طاغيه، سوف يقتل من يريد تحقيقًا لمصالحه على الرغم من تواجد والدك بقربه وتحدثه معه عن خطورة الأمر، كان كالمغشي عليه لا يسمع ولا يرى، فقط يردد: ماذا فعلت!

الفصل الحادي عشر

البحث عن أمنية فريدة

سيطر الحزن على قلب لورانس، وأبَى أن يستمع لوالدك في المخاطر القادمة، وانصرف وتركه بمفرده وسط المدينة، يقرر إما الرجوع لوطنه أو البقاء، لم يعلم أن والدك رجل ذكي وعنيد الرأي، استغل إتاحة الطعام والشراب والمسكن المجاني للعابرين للبقاء والترجل في شوارع المدينة يسأل أفرادها عن أمانيهم، وهل السابقون كانوا أصاحب أمنية فريدة حقًا.

فعندما تردد قوله على مسامع الكثيرين، أنه يعجز عن التمني ولا يدري ما هي أمنيته الفريدة، أصبح مركز اهتمام البعض، فقدم إليه كل صاحب رأى يدلو بدلوه، بل ذاعت أوصافه في الولايات الأخرى، وتلقى دعوات للإقامة لديهم عسى أن يجد ما ينفعه حين يتمنى.

وجد في كل الولايات أن ثروات البلاد تقسم علي العوام بالتساوي بعد إخراج نسب كبيرة لنبلاء القوم، المشرفين على مصالح العوام. فلم يفشل سادان في الاستغلال الأمثل لموارد البلاد كما فعل شيئًا يسمى بالحلقة التجارية، تبادل كل ولاية الفائض عنها للولاية الأخرى، في وقت معين من السنة،

وأباح لهم فعل أي شيء، حتى القتل جائز لكن بحجة، كما يباح كل شيء بالرضا من حاكم الولاية، وهم من وظفهم سادان بنفسه وأعطاهم ألقابًا ليكونوا خلفاء الإله يحكمون بأمره.

الولاية الأولى قائدها ليفياثان

مكث داخلها والدك أربعة أيام يجول بها ويسجل ما يراه من نعيم وترف داخل هذه الولاية حتى نال شرف حضور حفل خاص في بيت قائدها، بدأ كل شيء طبيعيًّا حتى منتصف الليل، تفاجأ بانصراف الحضور نحو أبواب تقودهم لمئات الغرف أسفل القصر.

وبداخلها بشر معلقين بكلاليب حديدية، وآخرون وراءهم يضربونهم بالسوط، نحيب مختلط بضحكات من الحضور، الأدهى أن المعلقون تنساب الدماء من أجسادهم وتتناثر على أوجه الحضور وهم من يرددون طالبين بالمزيد والمزيد.

توقفت أنفاسه وجحظت عيناه وهو يهرول للخارج مرتعدا مما أبصره بعينه، أراد أن يبلغ حراس المدينة، لكن جسده تجمد عندما رأى أفرادًا من حراس المدينة صلبوا زملاءهم في إحدى السواري، يضربونهم بالأسواط كذلك المكان، لم ير داخل أعينهم أي جزء من الإنسانية، لعاب يخرج من أفواههم وهم يصرخون بالمزيد، ثم أتت أصوات أخرى من البيوت المجاورة، ثم التي تليها حتى امتلأت المدينة بأصواتهم.

الولاية الثانية أكاديا قائدها أسموديوس

ظل حينها يهرول بشكل هيستيري حتى وصل إلى الولاية الثانية والوحيدة بين الولايات التي امتلكت اسمًا خاصًّا، تشبه العصور الرومانية، وحضارات أخرى تشكلت في البيوت والمنحوتات التي تزين الشوارع وأعلاها زهور براقة تزين أسطح المنازل، فتصبح المدينة ليلًا وكأنها تمتلك نجومها الخاصة، لا يوجد للمدينة جنود، بل (بادوفان) نساء بمواصفات خاصة يرتدين ملابس سوداء، بخلاف زي أكاديا الرسمي (لفات من القماش الأبيض تغطي أجساد الذكور، ما عدا الكتف والساقين، أما الإناث يحرم عليهن كشف أجسادهن ويمسح لهن بلبس لوني الأحمر والأسود فقط)

حيث تتجول البادوفان في الشوارع لوضع أيديهن أعلى صدور المارة، في موضع القلب، ثم يبتسمن ويتركنهن، كما فعلت تابيا معك عندما كنت في الخيمة.

حازم: أجل!

تلك قدرات البادوفان، يمكّنهن هذا الأمر من معرفة مدى تعلق المرء برغباته وما هي أعظمها، لكن عندما أتى الدور على والدك تجهم وجهها مغمغة: لا يحق لك البقاء داخل أكاديا.

لم يفهم ما حدث لكنه ترجم الأمر أنه في غاية السوء عندما لاحقته أنظار القوم وهمساتهم، فلم يسبق أن طُردَ أحد بسبب تحقق البادوفان، لهذا قرر الرحيل في نفس اليوم مساءً، موسيقى هادئة تخرج من كل بيت على حده، لا تتعارض أو تزعج غيرها، كأنها سيمفونية متفق عليها، همسات وضحكات فاترة، وعطر يفوح بأرجاء الشوارع ، كأنها الجنة، لكنه يغادرها مُرغمًا.

وبمجرد أن وضع قدمه خارج أكاديا، شعر ببرودة اجتاحت جسده، تباطأت أنفاسه، ويخرج مع كل زفير دخان أبيض كثيف، حاول الالتفات لكن جسده أبَى، حاول إدارة وجهه دون جسده، مرة، وثانية، لم يستطع شعر أن هناك جسدًا ضخمًا يعتريه، أخرجه من تلك الحالة صوت قادم من الخلف يطلب النجدة.

استطاع الالتفات أخيرًا، ليجد امرأة سمراء في الثلاثين من عمرها، نحيلة الجسد، تهرول نحوه شبة عارية، بيدها لفة من القماش تضمه لصدرها. أرتبك وأشاح بوجهه في الناحية الأخرى، يطلب منها البقاء بعيدًا، ونزع سترته حاول إعطاءها إياها دون اختلاس النظر.

لكنه أُجبر على الالتفات عندما سمع استهلال طفل صغير ملقى على الأرض، وصوت أقدام والدته تهرول مبتعدة عائدة إلى المدينة، تبددت علامات الحيرة على وجهه، لماذا تخرجه من النعيم، وما سر ملابسها العارية،

فغر فاه ونسي كل شيء عندما انتبه إلى رجل طائر في الهواء بجانب أعلى مبنى بالمدينة ، عاري الجسد تمامًا، باسط ذراعيه، بأعين مثبتة على الصغير، بدَا واضحًا للغاية رغم الأميال التي تفصل بينهما، تكلم دون أن يحرك شفتيه شئت أم أبيت سوف يكون لي نصيب منك، إن طغى، سوف يصبح لك مكان داخل أكاديا، ثم توالى الضحك بشكل هيستيري.

فر والدك هاربًا عازما على العودة إلى المدينة الرئيسة ثم إلى عالمه بذاك الطفل، لكن قبل وصوله لبوابة المدينة وفي الغابة الصغيرة تحديدًا، ضربه أحد الأشخاص على مؤخرة عنقه، ففقد توازنه، وقبل أن يسقط على وجهه التقط شخص آخر الطفل من يده، وآخر ما شاهده عشرة أشخاص ملثمين واقفين فوق رأسه.

أفاق على صوت الصغير يبكي، وصوت آخر مألوف غاضب لتأخرهم في الذهاب به لشخص يرعاه، وجد لورانس جالسًا أمامه، وقبل أن يسأله، بادر هو بالكلام لمَ لم تترك الطفل، لماذا تثقل كاهلك، كان من الممكن أن يقتلك أسموديوس!

غمغم والدك في دهشه: قائد المدينة، هو ذلك الرجل الطائر!

استطرد لورانس كلامه: اغفر لي، في البداية لم أستطع مساعدتك، بسبب تصرف سادان المفاجئ، أعلم كل ما يحدث داخل الولايات بل أعلم أمورًا أفجع وأعظم، لكني ادعيت الجهل حتى أجد حلًا، التأقلم بأقل الأضرار أو معرفة طرق القضاء عليهم.

صمت لبرهة ثم أكمل: فبعد توحيد سادان للجميع تحت سلطة واحدة، وإنشاء المدن الحالية، أسس فرقة من النسوة أطلق عليهم البادوفان، لكي يُقسم الأفراد داخل الولايات حسب اختيارهن، ظننت في البداية أن الأمر يتعلق بالحرف، الصيد أو أشياء مشتركة تعود بالنفع والتطور في المملكة، لكن التفرقة تمت بين أزواج وإجبارهم على العيش في ولايات مختلفة، وأمور أخرى تشمل الأطفال.

لهذا قمت بتأسيس فرقة وأسميتها (أنصار العابرين) حتى أبعث الأمل بداخلهم، لكن مع كل عابر أتى لم يطمح لغير مصالحه الشخصية والعودة إلا أنت..

لهذا أردت من البداية التحدث معك، لكنّ سادان يرافقني الآوانِة الأخيرة كثيرًا منذ ظهورك، وحديثه اليوم بشكل صريح يدل على شيء مريب وعظيم يقترب.

على الرغم من الرعب الذي تسلل إلى قلب والدك من الغرائب التي شاهدها داخل الولايات، وافق على مساعدة لورانس والذهاب معه، لا أعلم هل هذا بدافع الفضول أم قلبه الصالح.

بمساعدة الهيروس الصغار لم يستغرق الأمر سوى ثلاثة أيام واستطاع أن يصل لورانس ورجاله مع والدك إلى غابات أزاروكس بالتحديد أمام قصر داخل الغابة، مرورًا بجمع غفير من الناس يقطفون الثمار الناضجة، ويرحلون دون تدخل من الجنود (بسبب قدرتها العلاجية كما ذكرنا سابقًا).

تقدم لورانس بخطوات مرتعشة وطلب من الجنود أن يقابل أزاروكس، يتقدم خطوة ويؤخر أخرى.

استنكر والدك فعله واقترب من لورانس وهمس في أذنه: أوليس أنت نائب سادان، لماذا تتصرف وكأنك جندي، أمام قائد ولاية.
همهم لورانس بصوت منخفض أكثر: هل تتذكر ذاك الرجل الطائر؟!
فاروق : أجل
لورانس: قائد هذه الولاية، أخوه الأكبر، أقوى منه بمراحل، (ابتسم في جملته الأخيرة) وهو يقول: يمكنه تمزيق أعظمنا لنصفين في جزء من الثانية، لن ندرك حتى أننا موتى، لذا أحب كوني جنديًّا هنا.

تسلل الرعب لقلب والدك، عندما عاد الجندي وأذن لهما بالدخول، مقارنة بما شاهده في أكاديا، تساءل عن شكل أزاروكس، لكنه تفاجأ حين وجد شابًّا صاحب ٢٠ ربيعًا، يجلس على عرش مزخرف بأنياب تنين، وبجانبه فتاة شقراء بريئة الملامح، بشكل طفولي، تخطف قلب كل من يراها.

رغم تلك الأجواء المطمئنة فهم جزءً من كلام لورانس، عندما شعر الجميع بغصة داخل قلوبهم، وغضب جامح انتشر بالمجلس بمجرد وقوفهم أمامه دون والدك، ظل ساكنًا لا يشعر بشيء.

وثب أزاروكس من فوق عرشه، واقترب بخطوات سريعة نحو والدك، وأمسك وجهه يقلبه يمنة ويسرة، ثم قال: ما هو سرك، لماذا لم تتأثر بي، بجهد كبير يمكنك النجاة من بلفيجيور، أو ليفياثان، لكن أسموديوس، لم يسبق أن ابتعد عنه أحد، من تكون؟

د. فاروق: لا أعلم ماذا تقصد!
أزاروكس: حسنًا، دعني أصوغ السؤال بطريقة أخرى. ما هي رغبتك الجامحة، التي تخفيها عن الجميع، وتفعلها سرًا، وتخشى أن يشاهدك أحد حينها.
د/ فاروق: حتى لو اختفيت عن أنظار الناس، رب العالمين يشاهدني، لن أستطيع أن أنفذ من أقطار السموات والأرض حتى أعصيه.

تجهم وجه أزاروكس، تسللت الدموع من عينيه، وتراجع للخلف كأن برقًا أصابه، حتى استند إلى عرشه، وهو خائر القوى، يتنفس الصعداء.

فأسرعت الفتاة بالاطمئنان عليه، وهي تنادي الجنود، لكن أزاروكس أوقفها، وأمر الجنود بمرافقتهم حيث يريدون داخل الغابات.

أيقن لورانس حينها أن والدك يمتلك شيئًا فريدًا، يمكنه من هزيمة أعدائه، لم يتأثر بتواجده والأدهى أنه أضعف قواه وجعله كطفل صغير أمامه، فأخذوا ما يستطيعون من طعام ومؤن، وترجلوا داخل الغابات لعشرة أيام حتى وصلوا إلى جبل هائل لا يُرَى ما يقبع خلفه.

مدينه جولبيس، لم يكن لها مدخل أو أبواب خفيه ولم يعلم أحد كيف كان يقوم سكانها بالدخول والخروج، لذا بعث أزاروكس جنوده عندما عثر عليها وحفر نفقًا داخل الجبل للمرور من خلاله حتى أبواب المدينة.

كان الغبار يملأ أرجائها ولا أثر للحياة، طراز المباني والتكنولوجيا الحديثة التي كانت بالمكان مختلفة عن أي شيء آخر شاهده والدك داخل أكزاديا، وازدادت حيرته من تحركات لورانس بالمكان كأنه يبحث عن شخص بعينه وسط الدمار والحطام.

ظل هكذا حتى استقر أمام مكتبة شاسعه وقال: زيفرا يمكنك الظهور، هذا أنا.

حازم: أنت؟!

- أجل، كنت طفلًا لم يتجاوز ١٠ أعوام حين جلبني زعماء جولبيس وحيدًا، إن كان هذا سؤالك التالي! قتلوا جميع عائلتي حين غزت لوكسوريا موطني،

من حيث أتيت يمكننا العيش لملايين السنين، أجسادنا لا تهلك، لأنها تتكون من غبار في الأصل فيمكننا التشكل في أشكال مختلفة ولدينا القدرة على استخدام السحر، لهذا هلك الكثير في تجاربهم لمحاولة استخلاص تلك القدرات ولم يبق سواي.

طلب مني لورانس أن أظهر لوالدك آخر رسائل زعيم جولبيس قبل أن يُقتل، تذلل ورجاء، انتشر بالغرفة القابع بداخلها، يرغب في الحياة التي انتزعوها من قلوب غيرهم، .يغمغم بصرخات واضحة: فخ، .لقد كانت خُدعة، إن كان يسمعني أحد الآن، لا تأتوا إلى هنا، لم نعثر عليها بل هي من أتت بنا، ذلك المكان لعنة، لا تأتوا إلى سجن تلك اللعينة.

وقبل أن يكمل تحطم الباب الموصد من الداخل، ودخلت فتاة صغيرة الحجم، ذات جسد شديد النحولة، دقيقة قسمات الوجه، انتزعت حنجرته

بمَخالِبِها الصغيرة، وتركته غارقًا في دمائه، وفي الغرف المجاورة فتاة أخرى تشبها، تنتزع قلوبهم برفقة أبيها.

لقد كان سادان برفقة أنكوبي وسكوبي، أولاده من ليليث، قاموا بتدمير كل الحقائق التي اكتشفها سكان جولبيس، كانت خطتهم تدمير الكوكب والإخلاء أيًّا كانت النتيجة، لكنها كانت الأسرع في التنفيذ.

لم ينج أحد غيري حين رغبت في البقاء، عن أي شيء آخر، تطور سحري واستطعت الاختفاء داخل الكتب والتنقل بينها، هكذا اكتسبت المعرفة حول كل شيء يخص العوالم.

تلك الأرض ليست للأحلام، بل للرغبات المقيدة داخل القلوب المريضة، ليليث هي تجسيد الفوضى، لم تذكر في الأرض فقط، بل انتشرت عبر الكون تقود البشر للهلاك عن طريق رغباتهم المقيدة، وذلك من خلال ابنتها الكبرى سكوبي التي تستطيع تجميع ٦ رغبات في هيئة بذور شيطانية ثم تضعها داخل أمها ليليث ليكتمل نموهم، ويصبحون قادرين على الانتقال والاستحواذ على أجساد بشرية، على نحو آخر تنجب الصغرى أنكوبي طفلًا يصبح أول خطيئة، لديها جسد بشري خاص، لوسيران خطيئة الفخر والزهو، يظل يتغذى على قوة أنكوبي حتى تتحول إلى رماد وتلقى مثواها الأخير.

١- أزاروكس، تجسيد الغضب.
٢- أسموديوس، تجسيد الشهوة.
٣-بلفيجيور، الكسل، والخزي.
٤-ليفياثان، الحسد، واليأس.
٥-مامون، الجشع.
٦-بعلزيول، الشراهة.

هؤلاء الأشخاص ليسوا مرضى بخطيئة ما، بل هم الخطيئة ذاتها متجمعة من قلوب رغبات العابرين، يتحكمون في جسد حكام الأقاليم، يتغذون عليهم حتىٰيسمح لهم باتخاذ أجساد وهيئة مستقلة بأمر من لوسيران، تلك هي الحقيقة، لم يأت إلى أكزاديا صاحب أمنية فريدة بل رغبة وشهوة يخفيها عن الجميع، والخطأ الوحيد في خطة ليليث هو والدك.

قبل أن يجيب والدك بالرفض أو القبول في المساعدة، قبض لورانس على يده، وأخذه إلى مبنى ضخم مليء بالغرف، تحتوي على جثث أبناء المدينة، ثم إلى آخر الرواق غرفة تشمل نصف المبنى الخلفي.

لم يستطع التحقق من شيء من شدة الظلام، حتى أضاء لورانس الغرفة حينها صرخ مفزوعًا من هول ما يراه.

تمساح ضخم يتجاوز طوله **10** أمتار واقف على قدمين كهيئة البشر، بدا الوضع مقلقًا ومخيفًا حتى قال لورانس: انظر هناك!

رأى مسوخًا تشبه الغيلان، وأخرى في هيئة قرود، أو أنصاف ذئاب من الجزء العلوي، وبشر من الجزء السفلي، وأخرى تشبه قبيلة دوران الحالية، لكن أقوى وأعظم هيئة ومقيدة بسلاسل فولاذية غليظة ظلوا هنا دون طعام، حتى هلكوا!

لورانس: ليس من الضروري المساعدة، لكن تلك هي النتيجة إن تركناهم بلا حماية، ما لديك هو السبيل الوحيدة للنجاة.

الفصل الثاني عشر

مجلس الإخوة

على بعد آلاف الأميال من مدينة أسموديوس في الوقت الحاضر الهيروس الثلاثة يستعدون لإقامة طقوسهم الروحية، فحسب معتقداتهم أن المحاربين القدامى يمكثون بعالم آخر بعد الموت يشاهدون ما يحدث، ويحاولون بتلك الطقوس إرضاءهم حتى ينجحون في مسعاهم.

قدر معدني كبير مليء بالأسماك الغريبة سكبوا داخله عينات الدماء، ثم بدأ أصغرهم في الزمجرة ثم الصراخ بصوت ضعيف يشبه الموسيقى الحزينة انتشرت ألحانه لأميال بعيدة، كانت أشبه بالسحر الذي يأسر القلب ويدفعه للاستماع، كل جنود الميناء جلسوا يستمعون لتلك الألحان السامية، ما عدا مارون (حامل البوق)، ظهرت على وجهه علامات الأسى والحزن عندما سماع تلك الألحان التي يغمغم بها الصغير "كيف يكون البقاء دون الأهل والأحباب، طال الغياب وعظم الشقاء، لم نستطع أن نقاتل بجانبكم ونحمي النساء، ولم نستطيع حماية أبينا الصغير، أيها الملوك العظماء رفقًا بحالنا واجعلونا نلحق برفاقنا في النهاية".

في الوقت ذاته كانت تسعى كل الجوانب لتحقيق أهدافها، دوران يحاول جاهدًا أن يعبر المحيط دون الصدام مع العمالقة، للوصول لتابيا وحازم حتى يمنع الأسطورة من التحقق، دوفا يحاول تقوية دفاعات المدينة وإقناع القرى الصغيرة الحليفة بالبقاء والمشاركة في الحرب بعدما علموا بمرض أسدان، قائد الجنود وخادم سادان المخلص يخططون ويستعدون لاستقبال أمر مهم، حازم يحاول أن يعلم سلاح والده السري، وأصبح يتأكد شيئًا فشيئًا أنه هنا لذلك الأمر.

.....

خلف مدينة أكاديا ما بين الحطام والبيوت المشبعة بالموتى أو بقايا البشر، تتشكل الولايات بشكل دائري حول المدينة الرئيسة بخلاف الغابات المستقلة عنها، حيث يمكث لوسيران وأولاده داخل قصر سادان السابق، قدم أحد الحراس وقام بإبلاغه بما يجري داخل الغابات، وتفرق المؤازرون لمدينة أكاديا بسبب مرض أسدان الشديد، ظن الحارس أنه بتلك الأخبار سوف ينال رضا الملك، لكن على عكس المتوقع تجهم وجه لوسيران، انتابه القلق، وأمر الجنود بالبقاء مستعدين لأي شيء؛ لأن الأمر حان قبل موعده.

.....

أكمل زيفرا حديثه، أن لورانس آمن بوالد حازم كما يفعلون الآن معه، لكن الفرق أن والده كان مؤمنًا حقيقيًّا بخلافه، أشركه لورانس في الخطة حتى يطمئن ويخبرهم أسراره، وذلك بسبب إصراره الدائم أنه لا يملك شيئًا يمنع عنة شر الخطايا، بل الأمر بالكامل صدفة.

لورانس: كل ما نعلمه عن الخطايا ونشأتهم أخبرنا بها أزاروكس، حتى مكان جولبيس لم نتمكن من إيجادها سوى بمساعدته، سوف نساعده في الحرب ضد لوسيران وأمر آخر مقابل أن يغادر أكزاديا للأبد.

فاروق: هل تتوقع أن يفي خطيئة الغضب بعهده إليك، وما هو الأمر الآخر؟

لورانس: سوف يرشدنا إلى مكان ليليث لتقتلها من أجله، في المقابل يقتل لوسيران ويغادر؟

فاروق: انتظر لحظة! من يقتل من، هل قلت للتو، تقتلها!

لورانس: لن يستطيع أحد منها الاقتراب منها، دون التأثر بالرغبات، وأنت لا تريد أن تخبرنا سرك.

غضب والدك من كلامه المتكرر حول سر يخفيه: هل تظنني ساحرًا ما، أو ربما أخفي جوهرة سحرية تقيني شرهم!

لورانس: وهل تفعل؟

فاروق: بالطبع لا، أنا فقط مسلم، هذا هو الفرق.

بدأ والدك في شرح التعاليم الإسلامية الصحيحة، مثل الإيمان بالله والتوحيد، القيم السلوكية التي ينظمها الإسلام داخل المجتمع، الأمور المشروعة والمنهي عنها، وأسباب النهي والرفض الذي يؤدي لعواقب وخيمة في المجتمع قبل الآخرة، وأن تفشي الأمراض النفسية والجسدية يرجع لعدم تقيد القلب بالدين حتى لا يصبح عبدًا للشهوات، يتدرج بها للأسفل حتى يتساوى مع البهائم فيصبح بلا عقل، يؤذي نفسه ويسوقها إلى الهلاك.

لم يتخيل أن يشرح الله قلبه للإيمان، فبعد أن تعلم من والدك كل ما يعرفه، علّم أنصار العابرين وتحولوا إلى المعاهدين وأصبح والدك يعرف بالحكيم، حتى يصبح مميزًا عن أي عابر آخر.

أخبر لورانس والدك بعدها عن سبب أفعال أزاروكس، الفتاة الجميلة التي كانت تقف بجواره هي زوجته (جومير) فصاحب الخطيئة الأقوى يحصل على كل شيء، حتى زوجات إخوته يصبحن ضمن حاشيته يفعل بهن ما يشاء، ولكن ليس هذا السبب الوحيد، يرى أزاروكس أنه الأحق بالقيادة لأنه أقوى الخطايا الستة، ولولا تواجد لوسيران لكان الآمِر المطلق، لذا اجتمع بإخوته في حضور لورانس داخل قصره قبل عدة أسابيع.

أزاروكس: منذ آلاف السنين، والأمر كما هو من كوكب إلى آخر نخضع لأوامر لوسيران، والنتيجة سيان، ألا يحق لنا أن تتحرر من قبضته جميعنا إخوة بعكسه، إن خضع قلب البشر لأحدنا بعد وقت وجيز تتشكل الخطايا الستة بقلبه، وبهذا نجعل سيطرته أقوى، فلا يحق له امتلاك ما نملك.

علق أسموديوس بسخرية: أووه، هل الأمر يخص جومير، تعلم جيدًا أن لا قبل لنا بقوة ليليث، يبقى الأمر لها في اختيار القائد.

مامون: تتحدث كأنك تريد موتهم إن استطعت؟

أسموديوس: غريب، ظننت أنك أول المؤيدين، مامون يمكنني الشعور بـالجشع القابع داخلك؛ الذي لا ينتهي، ترغب في قوة والدتنا، لكنك تعجز عن القول، ربما لهذا أنت ضعيف.

ليفياثان: أزاروكس، لماذا يوجد بشري يستمع إلينا خلف باب الغرفة الأخرى.

تحولت نظرات الحضور نحو أزاروكس، منتظرين الإجابة، والذي غمغم بهدوء: يمكنك الدخول.

الملوك الستة يجلسون على منضدة دائرية، كل منهم في مقابل الآخر، بمجرد أن شاهده بعلزويل أمامهم ارتسمت على شفتيه ابتسامة خافتة قائلًا: تبًا،

أنت إذا الوالد سمعت عنه الكثير، كنت متشوقًا لمقابلتك، سمعت عنك الكثير على لسان ذلك الأبله (يقصد دوران)

شعر لورانس بقشعريرة جمدت أطراف جسده حتى العظام، كأن الزمن توقف عند النظر بأعينهم الملونة بالأصفر المطلي بالسواد مثل الأفاعي يعلو كل منهم هالة تنبعث منهم، تختلف درجاتها بينهم، لكنها أشد ظلمة فوق بعلزويل.

جمع شتات نفسه بصعوبة، وحاول ألا يبدو خائفًا، وحرص على إخفاء يده اليسرى داخل ملابسه، حتى لا ينتبهوا لها وهي ترتعد، وغمغم قائلًا: لطالما كان عاقًّا، غبيًا، لا يستمع لي، لكنه يبقى ابني وسوف أنقذه منك.

بعلزويل: حقا، أنا!

بلفيجيور: يكفي الحديث في أمور جانبية، أزاروكس نعترف جميعًا بقوتك، لكننا نريد أن نعرف كيف تخطط لمواجهة ليليث إن علمت بالأمر، بالإضافة لقوة والدته أنكوبي، سوف تكون مصدرًا له حتى تفنى، تريد ليليث أن تبني إمبراطورية تسحق بها البشر برغباتهم، وتحكم الشياطين الذين تسببوا في حبسها هنا.

أسموديوس: أكره هذا، لكن بلفيجيور محق، حتى وإن اجتمعنا في وقت مثل هذا لن نستطيع الصمود أمام مخططها، بالإضافة إلى أننا لا نعلم ما يحدث داخل مهجعها بعد أن منعتنا من البقاء، أو حتى زيارتها دون إذن.

ليفياثان: أيها الأغبياء، لم يستدع أحدنا ليتحدث عن أمانيه، أفرغ ما في جعبتك أزاروكس.

أزاروكس: ليليث مجرد وعاء، مكثنا به حتى تشكلت قوانا، لا تشكل لي شيئًا، هناك بشري يستطيع مواجهتها بدلًا منا، في المقابل سوف نترك أكزاديا؛ هذا الكوكب مهما عظم لن يكون كافيًا لنا، أخطط أن يكون لكل منا كوكب يملكه، كل هذا مرهون بالتحالف مع البشري، فكروا في الأمر، .قبل أن يكتمل القمر.

....

استمر والدك في تعليم المعاهدين القرآن وتعاليم الرسول صلى الله عليه وسلم، فيما يخص الحياة، أعطاني حينها أعظم كتاب شاهدته عيني (القرآن الكريم)، أردت أن أجعل له مكانًا رفيعًا بين الكتب، لكنه قال حينها أنه لم ولن يوضع بين الرفوف، بل الأصح أن يتنقل بين العباد يتعلمون منه شؤون الحياة.

على الجانب الآخر وافق بعلزويل أسموديوس على قتل لوسيران عندما يولد، بخلاف الآخرين، فضلوا عدم التدخل بين الطرفين ونتيجة لقلة الأطراف

المشاركة، جعلت أمامهم معضلتين، إحداهما معرفة مكان ميلاد لوسيران، الأخرى الحصول على مدخل أمن لمخدع ليليث يوم اكتمال القمر.

فمن المقرر أنه يوم ولادة أنكوبي، يتغذى لوسيران على طاقتها لمدة خمسة أيام، يوم بشهر، ويوم بسنة، وآخر بخمس، واليومان المتبقيان بـ١٠ سنوات، بهذا يصبح عمره ٢٦عامً وشهر في خمسة أيام.

انقضت الأيام سريعًا دون جديد، وكافة الأطراف تستعد، حتى علم أتباع أزاروكس أن سادان يمنع الخدم من الاقتراب للجناح الغربي للقصر، وبعد البحث حول تلك الإشاعة والسيطرة على بعض خدم القصر تأكد أن ليليث جعلت سادان عراب المولود وحارسه خلال الخمسة أيام.

كان من المفترض الهجوم على القصر وقتل الرضيع حين ولادته، لكن الخطة تغيرت بسبب تصرف سادان المفاجئ، أمر بإقامة حفل داخل المملكة وأرسل لكل حكام الولايات برقيات للحضور، وأقام عشاءً ضخمًا على شرف تلك المناسبة في ليلة اكتمال القمر.

حضر كل حُكام الولايات بمواكب خاصة، محملين بالكثير من الهدايا، وجمع غفير من الخدم، لن يشكل سادان مشكلة حينها مهما بلغت قوته، فلن يستطيع تخطي قوة الخطايا، وبالخصوص خلال حفل كهذا، فكلما زادت

نشوة الفرد، أراد المزيد دون حساب، حيث يتجه نحو الخطيئة التي تسكن قبله، ويفعل باقي الخطايا بالتوالي فتصبح البداية والنهاية متشابهة.

ومثال على ذلك انظر إلى رحلة ذلك الشاب خلال الحفلة يقف بين فتيات ونساء في غاية الجمال ويتاح له فعل ما يريد ولكن بعد ساعات سوف يصيبه ملل وكلل، وعقله يريد نشوة ألذ وأطعم، فيخطو خطوة للأمام تجاه العنف الجنسي حتى يجد ملاذه، ثم إلى القاصرات، إلى أن يقع في الشذوذ.

مع ذلك لا يكتفي كلما بلغ عقله النشوة القصوى من أمر أراد المزيد، وخلال وقت وجيز وحين ينتهي من كل شيء يجد نفسه في نهاية القصر، بالتحديد الجزء الخلفي، أمام فوهة ضخمة مليئة بالبشر ما بين الشباب والعجزة، هرمت أجسادهم مبكرًا بسبب الخطايا واليأس، تغيرت ليشبهوا الموتى، لا يقدرون على الخروج، يسيل من أفواههم لعاب أسود، وهم ينبشون جدران الفوهة بأظافرهم التي تتحطم، وتنهمر الدماء من بين أناملهم دون توقف، يريدون العودة، لكن لا أحد يستمع لنجواهم، ومع كل دقيقة أخرى، يأتي الجنود بواحد آخر، انتهت إنسانيته.

.....

في مكان آخر من الحفل على بعد آلاف الأميال، وَلّى لورانس ووالدك بين طيات الظلام حتى اختفت عن مسامعهم موسيقاها الصاخبة، ووصلوا أخيرًا إلى مكان الهيروس الصغار.

فلا بد من قطع المسافة لمدخل مهجع ليليث قبل اكتمال القمر لذا استعان لورانس بالهيروس الصغار (بالنهاية هو من أنقذهم واعتنى بهم بعد موت عائلتهم لهذا يكنون له الولاء ويدعونه بالأب الصغير)

لم يدركوا أن هناك شخص يتبعهم من القصر، إلا عندما انتبه إليه الهيروس بفضل حواسهم القوية، شخص ملثم كان يسترق السمع خلف إحدى الأشجار، حاول الهروب عندما كشفوا أمره، لكن أكبر الهيروس تمكن من إحكام يده حول جسده قبل أن يهرول هاربًا.

حازم : هل كُشف أمرهم؟

كان أسدان علم من أحد المعاهدين بالدين الذي يدعون إليه، ومال قلبه لما يُقال عندما رأى سبيلًا حقيقيًّا للنجاة والنجاح داخل المجتمع، لذا أتى ليقدم المساعدة ويرشد والده نحو طريق الصواب إن أمكن، فرح لورانس ورحب بتواجده، وتوجهوا نحو بحيرة سادان.

مدخل كهف ليليث أسفل البحيرة كما وصف أزاروكس الأمر، أن الماء لا يصل إلى القاع، وأن البحيرة مجوفة من الأسفل عن طريق السحر، وأن بعد ٢٠٠ مترًا للأسف يظل الماء معلق في الهواء ولم يكن أمامهم حلٌّ سوى الوثوق بكلامه.

أصبح يتحرج يمينًا ويسارًا، ثم في حركات دائرية، على شكل أمواج حولهم في هيئة دوامة في المنتصف، تغير الأمر من الركود لتلك الحالة ما إن استقر جسدهم داخل الماء حتى أعناقهم ارتفعت المياه من الجانبين في شكل هضاب صغيرة، حينها لمعت قلادة لورانس بضوء أحمر مشع لثوانٍ بين صدره، (أعطاه إياها أزاروكس بحجة المساعدة في الرحلة يوم الاجتماع).

وسرعان ما تلاشى بريق القلادة مع سقوط المياه فوقهم على نحو مفاجئ وتلاشت جزيئات الماء أسفلهم كأنهم داخل كرة مجوفة من الهواء تسمح لهم بالسقوط الحر وصولًا إلى القاع.

أفزعهم شدة السقوط والموت المحتوم على الصخور المدببة أسفل البحيرة، فأسرع أكبر الهيروس بوضع يده لنجدتهم، لكن الماء حال بينهم، أصبح كالدرع في صلابته يمنعه من الدخول، بل وكاد أن يقتلع الماء ذراعه لولا أن جذبه الآخرون في اللحظة الأخيرة.

.....

زاغ أزاروكس عن أبصار الحضور متخفيا في هيئة أحد الحراس، حتى يستطيع دخول القصر دون جلبة، بعد أن أشار لأسموديوس بالتحرك نحو سادان والسيطرة عليه من خلال الشهوات، لم يستغرق الأمر أكثر من بعض دقائق، وأصبح سادان في أحضان النساء كالمغيب، غير واعٍ بما يحدث.

وصل أزاروكس للجناح الغربي بسهولة لكن الاختبار الحقيقي هو معرفة الغرفة الصحيحة حيث أخفيت من خلال سحر لم يشاهد مثله خلال ملايين السنين التي حياها، أشبه بالمتاهة، بكل غرفة خمسة أبواب أخرى وداخل الخمسة عدد لا نهائي من الغرف الوهمية، قد يحتاج الأمر لشهور أو سنوات للوصول لهدفه، ولم يبق على اكتمال القمر سوى ساعات.

.....

توقفت أجسادهم قبل الارتطام بالصخور، باستثناء لورانس، نال كتفه نصيبًا من الصخرة المقابلة له، استقر جزء طفيف منها بداخله، ورغم شدة الألم لم يقدر على الحركة، فظلوا هائمين في الهواء حتى ابتلعت الأرض رماحها، هنا أخرج لورانس ما في جعبته من ألم عندما اصطدموا بأرض البحيرة، لم يكن الجرح عميقًا لكنه خلف الكثير من الدماء، ولم يتوقف إلا بعد أن أسعفه والدك، بأدوات أحضرها لمثل تلك الظروف.

لم يتوقع أي منهما تلك الفخاخ ولم يذكرها أزاروكس، لهذا ظلوا في أماكنهم لعدة دقائق، لم يتفوه أحدهم بكلمة، كانا يلهثان يحاول كل منهما جمع شتات نفسه، وظنوا أن اختفاء الصخورهو بركة والدك وقواه الخفية.

لكنه كان أذكى، وقف ينظر لماء البحيرة من الأسفل، علم أن المسافة بين السطح وآخر جزء من الماء تماثل مسافة المساحة الفارغة، وأن الماء يخرج من حائط البركة يعمل عازلًا سحريًّا يمنع الدخول، لكن قلادة أزاروكس كانت المفتاح للدخول، والسبب الرئيس في بقاء جسديهما هائمة في الهواء.

لم يصارحهما بتلك المعلومات، وفضل أن يخفيها عنهما، لأن القلادة تحطمت عندما ارتطموا بالأرض فعلم أن سبيل الخروج قد انتهى بتحطيمها، ولم يرد أن يحبط عزيمتهما.

الفصل الثالث عشر

حرب السيادة

خطفت القصة قلب حازم، بسبب تواجد والده وكلماته عن أن الإيمان بالله والاستسلام لأوامره هي السبيل الوحيد النجاة، أدهشه أنه لم يفقد صوابه أو عزمه، وأصر على المساعدة، وقطع حديث زيفرا حتى يسأله عن ماء صالحٍ للشرب، لم يستغرق الأمر سوى طقطقة إصبع كما يفعل مع الطعام كلما قرص الجوع معدته.

بدت علامات الابتسامة على وجه زيفرا، عندما رأى حازم يصب الماء على يده، ثم استنشق به، وفعل موجبات الصلاة كاملة، ثم كبر ودخل بها باطمئنان.

وعندما انتهى سأله زيفرا بوجه ضاحك: كيف تصلي ولم تعرف أين قبلتك؟ وأي صلاة قمت بها!

حازم: لا أعلم، منذ سنوات لم ألتزم بالصلاة، ظننت أنه ذنب كباقي الذنوب نستطيع التوبة منه، لكنها...

أكمل زيفرا مغمغما: عقد لا يسقط، سواء كنت صحيحًا أو مرضيًا، أو حتى لا يتحرك منك سوى عينيك.

ثم صمت لثوانٍ وقال: قالها والدك بصوت جهوري، عندما استنكر بعض المعاهدين خمسة صلوات في اليوم والليلة، إن كان أهل الشر يعاهدون الشياطين على الطاعة، يقدمون قرابين بشرية من أجل علو كلمة الباطل ويسخرون حياتهم في نشر الظلام والفساد، فلم يكتفوا بفساد أنفسهم بل عظم بهم الأمر لتضليل نفوسكم الضعيفة، في المقابل يطلب منكم الخالق سبحانه وتعالى أمور تقييكم شرورهم، وتحفظ أبناءكم من مفاتنهم، تجعل من حياتكم جنة في الدنيا، وتنالون في الآخرة جنة أخرى، لكنكم تريدون أن تأخذوا من الدين ما يوافق أنفسكم، والله لن تنجوا إن فعلتم.

لم يترك زيفرا وقتًا لحازم للحديث، أخرج من بين أصابعه غمامًا أسود كالسابق، فتراجع حازم للخلف خوفًا من أن يمررها إلى فمه كما فعل سابقًا كي يجعله يرى بعينه، لكنه شكل دوائر في الهواء تشبه شاشات للعرض، وعندما انتهى أشار إليه بالاقتراب، حتى يتمكن من رؤيته الثلاثة معًا في أن واحد.

ثلاث دوائر متشحة بالسواد، تتخللها ذبذبات من المنتصف كتلفاز يحاول التقاط الإشارة، أوصى زيفرا بصوت جاد أن القادم لا بد من رؤيته معًا حتى تكتمل الصورة.

داخل الشاشة الأولى: والد حازم يخطو بأقدام مثقلة، بيده النسخة الوحيدة من القرآن ممسكًا بها بحرص إيمانًا بقدرة كلماته على النجاة متجهًا نحو فوهة ينبعث منها ضوء يماثل القمر، رغم وجودها على مسافة في باطن الأرض، خلفه أسدان متقلد سيفه استعدادًا لتقديم الجهد المادي إن تطلب الأمر، وأخيرًا لورانس ممسك بكتفه يمشي ببطء خلفهم بعد أن أصرّ على الدخول.

الشاشة الوسطى: يظهر من خلالها أسموديوس يطفو في الهواء، بعد أن تجرد من ملابسه، وتحول جسده إلى أفعى عظيمة مختلفة الألوان كقوس قزح، انتشرت ظلاله لتغطى ضواحي المدينة وما يجاورها لأميال بسبب التفافه حول نفسه لمئات المرات، وراح يطالع الجميع وهو يضحك ضحكات هستيرية كالمجنون، فغر فاه بأقسى اتساع له.

سبب الأمر صدمة للبعض ووقعوا مغشيًا عليهم من ذلك المنظر الرهيب ففمه يحتوي على آلاف الأسنان، مفلطحة ومدببة أشبه بالإبر، ومن ثم أخذ مجموعة من العواجز أمامهم، وحطم عظامهم بين فكيه، فأصبحت دماؤهم

تسيل على فكه السفلي، وتطايرت في الهواء بقايا أشلاؤهم، ثم علت أصوات ضحكاته مستهزئًا بهم، يدعوهم للهرب، ولكنهم على عكس المتوقع أصبحوا يتقربون في مجموعات حتى يسهل الأمر عليه.

الشاشة الأخيرة: أزاروكس، بعد أن تغيرت هيئته، أصبح يقف على أطراف أصابعه، ويتحرك بسرعة كبيرة محطما الأبواب، من هول تلك السرعة ظن حازم أن بإمكانه التجزئة، أصبح يظهر أمام الأبواب في وقت واحد، يحطمها بمجرد أن تحتك مخالبه بطلائها.

ثبت حازم أنظاره نحو الشاشة الأولى يراقب والده، بعد أن انتهى من الممر الضيق المؤدي للنهاية، داخل قاعة دائرية كبيرة بهما خمسة عواميد صخرية منحوتة بدقة، تمنع السقف من الانهيار.

تجمدت أطرافهم من الذهول، أكوام من العظام البشرية مكدسة فوق بعضها، تفوح منها رائحة طيبة عكس المتوقع، كأن أحدهم ينثر العطر على بقاياهم، وعلى مقربة منها، بقايا أطراف بشرية، وحولها نقاط من الدم الساخن، يبدو أنها أريقت حديثًا، وعدد كبير من الغرف المتجاورة ، من الوهلة الأولى تبدو فارغة، بسبب القضبان الحديدية المحطمة، تقدموا بنفس الترتيب السابق، مرورًا بالغرف، واحدة تلو الأخرى.

ظلام دامس، مُحيط بأرجاء الغرف، وآثار لمخلوقات سكنتها سابقًا، تقدم أسدان في مقدمة الصف، بعد أن سمع هديرًا من آخر الغرف.

ولم ينتبهوا إلى لورانس، الذي توقف أمام غرفة محتقن الوجه، وبدت علامات الحيرة على وجهه، حتى أنه جثا على ركبتيه أمامها، دون فعل أي شيء سوى النظر.

توقفت الشاشة حينما عادوا للاطمئنان على حال لورانس، لكن الغريب أن ما أصابه أصابهم، أسقط أسدان السيف من يده، وأصبح كحال لورانس، ولم يكن والدك أفضل منهما، قطب حاجبيه وظل واقفًا دون حركة.

تباطأت حركة أزاروكس بعد أن حطم الأبواب، وصولًا للباب الأخير الذي قاده لغرفة كبيرة مغطاه بالحرير ومليئة بالمنقوشات الراقية، وأساس مُدهب ومرصع بالجواهر.

وعلى الرغم من حيوية الغرفة، فطن أنها خالية من الحياة، بسبب طعام فاسد على المنضدة المقابلة للسرير الرئيس، والذي يملؤه رماد وبقايا عظام لفتاة كانت مقيده به.

ارتسمت على وجهه ابتسامة خافته عندما اقترب من الرماد وعلم صاحبة الجثة وقبل أن يخرج ويحذر الجميع شعر بوجود شخص ما خلفه، فغمغم دون أن يلتفت: لم أتوقع فعل تلك الشمطاء!

بينما عاد أسموديوس إلى هيئته البشرية، متجولًا بين البشر، يطالع وجوههم بحثًا عن مرداه، فكان يقتل كل ما يراه بغضب عارم، ولا يعلم كيف حدث هذا.

انتفضت يد حازم اليسرى وأصيب جسده بالجمود من هول ما يراه خلال الشاشة الأولى، والثالثة التي كانت تظهر سادان في نفس الوقت، أمام أزاروكس حين التفت وهو يبتسم بسخرية، والآخر كان مقيدًا داخل غرفة أمام لورانس؛ يرتعش جسده من رطوبة الغرفة ويهمس بصوت خافت لورانس لقد أتيت؟

خيم الصمت بينهم، فكان كلٌّ منهم يفكر كيف أتي سادان إلى هنا، فلم يعلموا بوجود واحد آخر.

قطع ذلك الصمت صوت لورانس، يغمغم حول ملابسه، البالية، والممزقة من شتى الجوانب، وتصدر رائحة كريهة، فحتى بعد تغير لونها وشكلها كانت مميزة: كيف أتيت إلى هنا، ولمَ ترتدي تلك الملابس؟!

لم يتلق جوابًا من سادان، بدَا مظهر لورانس غريبًا بالنسبة إليه، فتراجع إلى الخلف متجهم الوجه حتى التصق بالحائط، ولو أن يده اليمنى لم تكن مكبله بأساور حديدية بالجدار، لشرد من المكان، فجمع شتات نفسه، وأشار إلى لورانس بسبابته وهو يتمتم: لماذا لديك شعر أبيض، وتغيرت هيئتك قليلًا؟

استطرد. فاروق حديثه: ماذا!، ما بال ملابسه؟
لورانس: كان يرتديها حين تعرضنا للقتال مع الكهنة.

تقدم لورانس للأمام محاولة منه لفهم الأمور، لكن أسدان قبض على يده، وأومأ بوجهه أن لا يدخل إليه، وأظهر نفسه أمام سادان، مغمغمًا: هل تعلم من أكون ؟

سادان: لا!

فطن والدك أن هناك شخص آخر مزيف يمثل أنه سادان، ولكي يعرف المزيد تقدم بجانبهم وأظهر يده بالهواء لكي يجعله يطمئن لأنه لا يشكل أي تهديد، وسأله بلطف: منذ متى وأنت هنا؟

تمتم سادان بكلمات بعضها يبدو مفهومًا بسبب حالته المزرية : هجوم الكهنة، حاولت الهروب بعد أن أصيب لورانس، لكن ليس هذا، هناك تشابه بينهما، لكنه ليس هو.

انفجار بالخارج امتد صداه إليهم، دمر ثلاثة عمدان من أصل خمسة، وأحدث شقوقًا بالجدران وسقط جزء من السقف أمام المدخل حتى أغلقته تمامًا، فلم يكن أمامهم حل سوى دخول الغرفة ومحاولة إقناعه بهدوء أن هذا الشخص هو لورانس ذاته، بأن يذكر له أحاديث لا يعلمها غيرهما.

اغرورقت عين سادان بالدموع، استقر في أحضان أخيه يرتعد ويبكي قائلًا: ظننت أننا لن نتقابل مرة أخرى، وأن تلك الشمطاء سوف تقتلني بعد نيل مرادها.

فاروق: تقصد ليليث! أين هي؟

سادان: رحلت.

لورانس: إلى أين؟

سادان: لا أعلم.

فاروق: ما مرادها منك؟

سادان: أجبرتني على زواجها حتى تلد الطفلتين، ثم قتلت كل سكان جولبيس حتى يولد لوسيران ومنذ ذلك الحين وأنا هنا، لا أعلم عدد

السنوات التي قضيتها، كان يأتي لوسيران من بين الحين والآخر ليترك لي الطعام ويذهب.

.....

ما زال أسموديوس يكمل بحثه عن سادان بعد أن اختفى أمام عينه، ولكن أثناء ذلك تحطمت القلعة، وانفجرت كقنبلة موقوتة، تناثر الحطام في كل مكان، وشاهد أزاروكس يطير مترنحًا في الهواء محطِّمًا بعض المنازل في طريقه حتى استقر جسده على الأرض، وسادان واقف في الهواء، ينظر إليه، ثم إلى أزاروكس في تبادل، وهناك هالة حوله متشحة باللون الأسود الذهبي، علم من صاحبها بمجرد رؤيته له (لوسيران).

انحنى مامون، ليفياثان، بلفيجيور، واخفضوا رؤوسهم أمام لوسيران، باسطين أذرعهم دليلًا على الخضوع، عكس أزاروكس، بعلزويل، أسموديوس، ارتفعت أجسادهم في الهواء وأعلنوا حرب السيادة.

أدى تصادمهم باللكمات موجات من الطاقة هدمت البيوت وشققت الأرض، تكفل بعلزويل، أسموديوس، بالثلاثة، بينما تفرغ أزاروكس لقتال لوسيران، فكان فارق القوى واضحًا من البداية، لم يصب بأذى عكس أزاروكس، ولم يستطع ملاحقة لوسيران بعينيه بسبب سرعته، فحطم أغلب عظام جسده، ونكل به معظم القتال.

على النحو الآخر حمي الوطيس بين الإخوة، وحتى يزيد كل منهم من قوته أشعلوا الرغبة في قلوب أتباعهم، ليتحول كل بشري على حسب ما يتبع.

أقوى أسلحة الخطايا (عقود أكراد الخمس، القوة، التحول، الشيب، ميثاق القلب، الانتقال) يملك كل منهم تلك العقود، فكلما زادت قوة العبيد، زادت قوة سيدهم أضعافًا، ويمكن وهب تلك العقود لبعض البشر حتى يكون لهم السيادة على من حولهم. وبذلك يصبح حامل العقد قائد فصيلة من نفس نوع الرغبة.

فَعَلَ الخطايا عقد التحول لجميع أتباعهم بلا استثناء، حتى يشاركوا بالقتال وتزيد قوة القائد بزيادة قوة أتباعه، لكن المشكلة أن الأتباع لا يعودون مرة أخرى إلى الهيئة البشرية حتى بسحر الخطايا، فكل ما يتحررون منه هو التحكم العقلي والتفكير بالمنطق على مدار السنوات.

لخطيئة الغضب والشهوة مكانة خاصة بين الخطايا، ولديهم أتباع أقوى حتى أن لهم نصيبًا من قوة إخوانهم بعد تحول أتباعهم. لهذا استطاع أسموديوس أن يسقط مامون، ليفياثان، بلفيجيور، خَائِري القوي بعد حرب دامت لساعات بين الهواء والأرض.

كما زادت قوة أزاروكس بعد تحول أتباعه وبفضل قائد مخضرم لديه (عقد) منه استطاع اكتساح أراضيهم وقتل الكثير منهم، فكل تلك القوة غيرت من شكل القتال، واستطاع أن يغمر جسد لوسيران بالجراح بعد قتل كل أتباعه، فسقط من السماء داخل حفرة صنعتها شده ارتطام جسده بالأرض، وأصبح غير قادر على المواصلة.

وقبل أن يجهز عليه أزاروكس اخترق جسده رمحًا ناريًّا مقتلعًا ذراعه اليمنى وجزءًا كبيرًا من صدره، فهوى على الأرض فاقدًا كميات كبيرة من الدماء.

وأصبحت رؤيته ضبابية، ودماؤه تخرج من عينه وفمه بغزارة، فلقد أحدث الرمح الذي أطلقه بعلزويل فجوة بطاقته الروحية، فعندما يتدمر الجسد المضيف يمكنه الانتقال كما يشاء لجسد آخر، لكن الطاقة السحرية تتجمع من خلال الرغبات على مدار السنوات السابقة، وبذلك لن يستطيع أن يعود مرة أخرى.

لم تكن لديها القوة الكافية للقتال، ظلت تشاهد ما يحدث من بعيد حتى سقوط أزاروكس، هرولت تجاهه تبكي وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة، وتفتت أجزاء جسده وتتلاشى من الوجود، فأسكنته داخل حضنها تربت على رأسه، فعلى رغم أنه خطيئة، كان بجوارها رفيقًا منذ ملايين السنين، (عثر عليها

أزاروكس في تجسيده الأول، في إحدى الغابات، كانت منبوذة بين قومها بسبب تحولها إلى أفعى عند الشعور بالرهبة، فمنحها عقد التحول حتى تبقى بشرية للأبد، وعقد ميثاق القلب، حتى يجعل بقاءها متزامنًا مع بقائه في كل تجسيد)

وقبل أن يلفظ أنفاسه الأخيرة، وضع يده على قلبها ووهبها مواثيق أكراد، ثم تلاشت جزئيات أزاروكس للأبد.

.....

تبخرت الشاشات من الهواء بعد ذلك المشهد، فكان آخر ما شاهدته عين حازم، والده، أسدان، لورانس في الغابة جانب الهيروس، يطالعون الدمار الذي أحدثته الحرب.

شدد على أسنانه غضبًا، والتفت يبحث عن زيفرا، كي ينهال عليه بالشتائم بسبب قطع الأحداث في ذروتها، فصرخ بعزم صوته ينادي عليه ليكمل.

انقضت ساعات وهو يتجول داخل المكتبة، ظنًا منه أنها حيلة ما أو لعبة أخرى للتشويق، حتى يئس من إيجاده، فعاد مسرعًا نحو الأمام بعد أن سمع صريرًا واحتكاكًا يسبب ضوضاء بالمكان.

أبطأ حركته وتوقف يلتفت حوله عندما شاهد الحائط يتحول إلى باب مفتوح على مصراعيه وخنجر صغير يلمع ملقى أمام الباب من الجهة الأخرى من الخارج.

شعور غريب استهل مشاعره، ظن أن بمجرد تواجد الباب، سوف يهرع للهروب، لكنه الآن يقف منتظرًا خروج زيفرا، وبعد ١٠ دقائق من الاستيعاب، تقدم بخطوات بطيئة، وهو ينظر يمنة ويسرة حتى وصل إلى الباب، قدم بالداخل وأخرى بالخارج، وبالنهاية التقط الخنجر وعبر عن شكره بصوت مرتفع عسى أن يسمعه زيفرا.

بعد لحظات أغلقت المكتبة أبوابها، وظهر زيفرا في منتصفها، يغمغم: آسف، ولكن ليس هناك حل آخر، أتمنى أن تفهم الأمر بمفردك وتفعل الصواب حتى وإن كان مستحيلًا.

الفصل الرابع عشر

المَلاذات المجوفة

هدوء مريب يَعُم المكان على غير العادة، لبضع ساعات تطأ أقدامه كل زاوية بالقصر، ولم يصادف أحدًا من الجنود أو الخدم، وكل ما يراه ثياب ملقاه على الأرض وداخل ممرات القصر، كأن من تركها هرول هاربًا، ثم تبعت الأمر رائحة نفاذة وقوية لشيء يحترق فتتبع الرائحة حتى وصل إلى المطبخ، فكان هناك دخان كثيف يعبئ الغرفة حيث تغيرت الأواني وتفحمت من شدة الاحتراق وفسد الطعام. ولو أنه لم يصل إليها في الوقت المناسب لحولت القصر إلى حلقة من النيران.

وبعدما فرغ من البحث في الأسفل، استمر بالبحث في الأدوار التي تليها حتى وصل إلى غرفة كبيرة مقارنة بباقي الغرف، بها طاولة ضخمة مستديرة الشكل، وحولها كرسي مزخرف بالجواهر على رأس الطاولة وسبعة كراسي أخرى طبيعية، (تماثل قاعة اجتماعات الدولة)، وقبل أن يتفحصها انتبه إلى همهمات قادمة من الخارج فتقدم نحو الشرفة وأزاح الستائر ليصدم بمشهد لم يتوقع أن يشاهده.

تلونت المياه بلون الدماء، حمراء قاتمة، وجميع أهل المدينة يقفون على أرصفة الميناء، وعلى أسطح المنازل يشاهدون أكبر الهيروس يطفوا على سطح الماء ميتًا، والأوسط يجثو على ركبتيه يستفرغ دمًا أشبه بمجرى مائي لا يتوقف، حتى انتهت حياته هو الآخر، وأخيرًا أصغرهم يقف حائرًا، عاجزًا عن فعل شيء سوى المُشاهدة وبيده قوارير الدماء.

من الخلف أغدق بصوت هادئ: الغضب كالنار يحرق كل من يقترب منه، لذا استخدم بعلزويل رمحًا ناريًّا لقتل أزاروكس.

شاب بشري يبدو في عقده الثالث، لديه عينان ذهبيتان، شعر أسود منسدل، متناسق الجسد، لم يجبه حازم على الفور ظل يتفحص هيئته من بعيد، بعدما شعر بخطر حقيقي فعلى الرغم من فرق القوة الجسدية بينهما والتي تصب ناحية حازم، لم يشعر أنه سوف يفوز إن تطور الأمر لقتال بالأيدي، وحاول أن يلاحظ شيئًا ماديًّا يستخدمه كسلاح، من الصدمة نسى أن لديه خنجرًا هديه من زيفرا.

لكن سرعان ما فطن الشاب لنظراته المشتتة في أرجاءِ الغرفة فتحدث بهدوء: اهدأ إن أردت قتلك لفعلت منذ وصولي، كمان أني لا أحب تواجد الأسلحة في غرفة العرش.

أنهى الشاب جملته، أثناء اقترابه من المقعد الرئيس، ثم استوى عليه أمام حازم الذي كان ما زال يحاول تحليل الأمر.

تنهد الشاب وهو يتحسس كرسي العرش: إذا هل ما زال يناسبني؟

بعد أن سمع تلك الجملة تنفس الصعداء وتقدم هو الآخر وجلس في المقعد المقابل له بعد أن استوعب مجرى الأمور وغمغم: الشيب، أليس كذلك؟

أجابه ضاحكًا: عجبا لا يبدو على مظهرك الذكاء، لكن أحسنت.
حازم: كيف حصلت على العقد، وماذا يحدث للهيروس بالخارج؟
- أعتقد أنه لم يعد هناك وقت للأحاجي، سبب ذهابك لزيفرا أن يتأكد أنك التجسيد الأقوى، إنءقتل لوسيران سوف تتحرر.
- لمْ تجب على سؤالي؟
- لمَ تتفاجأ من الأمر؟
- عالم تتحول به الرغبات إلى خطايا، بشر أصبحوا حيوانات متوحشة حسب الرغبة المسيطرة عليهم، وفوق كل هذا كهل تحول الآن إلى شاب أصغر مني ربما، وبعد كل هذا تريد مني الفزع أن بداخلي شيطانًا يريد السيطرة على جسدي.
أسدان : حسنًا أنت محق، لكنه ليس شيطانًا ولا يريد السيطرة عليك، صحيح أنه غير من إنسانيتك، لا تشعر بالعجز، الندم، حتى الحزن أو الألم،

وجعل نوبات الغضب لديك أعلى من المعدل الطبيعي، أنت الآن على سبيل المثال بعيد عن وطنك وأطفالك، مع ذلك لم تذكرهم حتى بعد معرفتك بوجودهم!

حازم : هل انتهيت!

استطرد أسدان حديثه: لم أخبره من أكون حين عزم لورانس أن يقول، قد تكون تلك أنانية لكنها كانت الصواب، فلم يضع أزاروكس خطة للرجوع، على الأرجح أنه كان ينوي التخلص منّا جميعًا في وقت واحد، لكن أبي أنقذنا للمرة الأخيرة، قديمًا (وحتى يستطيع قتل وتشتيت سكان جولبيس منحته ليليث العقود الخمسة، لكنه لم يستطع استخدامها على الهروب بسبب القيد المكبل داخله يده اليمنى، فلم يكن هناك حل سوى أن يهب لورانس العقود حتى يستخدمها كيفما يشاء فبعد موته سوف يصبح سيد العقد ذاته ولن يستطيع المانح الأول إلغاءه.

حازم : أنا آسف لموته.

أسدان: لا عليك، لم أحزن كثيرًا، لسنوات طويلة وأنا أكرهه، لم يهتم بتواجدي، كأني لا شيء، حتى بغضت النظر إليه، كم هائل من الكراهية، حملتها لذلك الوجه، لهذا لن أقتل لوسيران قبل أن أنتزع وجه أبي من رأسه.

لم يشعر حازم بالارتياح، لتلك النظرات التي ارتسمت على وجه أسدان، برزت أنيابه قليلًا، احمرت حدقتا عينه وهو يتحدث عن انتزاع وجه

لوسيران ثم قتله بأبشع الطرق، كمختل عقلي فقد صوابه، فحول مجرى الكلام بسرعه حتى يكف عن الحديث بتلك الطريقة الغريبة.

حازم : أوه، إذا استخدم لورانس عقد الانتقال، للخروج؟
أسدان: لا، بل والدك، لا يستطيع الجسد أن يتحمل أكثر من ميثاق للاستخدام دون عواقب.

تحدث أسدان حول عهود أكراد الأزلية، أنها في الأصل لم تكن للاستخدام بين المخلوقات، بل حقيقة تواجدها أنها تستخدم في بعث الرغبة في هيئة خطيئة مع دفع الثمن، فكان أول من استخدمها والد جومير أكراد، أعطته قوة الخطايا، لكن ليس خلودهم، والنتيجة النهائية كانت موته، ولعنة أبنائه.

وأن الأمر حدث مرة أخرى عندما امتلكت جومير العقود الخمسة استخدمتها لتحافظ على تواجد أزاروكس في هيئة رغبات متفرقة حتى يتشكل مرة أخرى في هيئة خطيئة، وفي المقابل أصبحت ما تراه الآن، حيوان لا يَعي سوى القليل، ومن حين لآخر تساعد أبناء دوران.

تحرك أسدان بعيدًا عن الطاولة، وهو يعقد يديه خلف ظهره ويتجول في الغرفة، ليكمل حديثه: لورانس هو من منحني عقد الشيب ووالدك

الانتقال، وأخذ هو الثلاثة المتبقية، بعد أن تمكنا من الخروج لم نشاهد سوى الدمار، حتى أسموديوس، بعلزويل، لم يبق لهم أثر، فعاد البعض إلى صوابه تدريجيًا، بينما أصبح الآخرون أقرب للوحوش.

يمكنك أن تفهم بالنظر إلى الغيلان العظيمة، والغويران، وكان السبيل الوحيد حينها هو أن تبقى كل فصيلة مع بني جلدتها حيث كان المغيبون منهم يهاجمون الفصائل الأخرى، وأدى ذلك لمقتل الكثير بعد الحرب.

لذا أستخدم لورانس عقد التحول على ما يقرب من ١٠٠ شخص، حتى يعودوا إلى هيئتهم البشرية ومن بينهم أردان، لكنه رفض الأمر، وفضل أن يبقى من فصيلة الغويران، بسبب تحول أمه لفصيلة الغيلان، بعد أن شُفيت أمراضها بطريقة ما وأصبحت قادرة على العيش مرة أخرى.

حازم: انتظر، لماذا لم يستخدم لورانس عقد التحول على الجميع؟
- يفقد العقد جزءًا من قوته عند التمرير للغير، للنصف تقريبًا، كان بإمكان والدك الانتقال لأي مكان يريد بسرعة كبيرة، ليس هو فقط بل نقل الأشياء المادية أيضًا، وأسهم بشكل كبير في تقسيم الفصائل لأماكن مختلفة.
حازم: إن كان بتلك الروعة، لم مات جبانًا؟ لماذا لم ينتقل لمكان آخر؟

- بالتأكيد أنت الشخص الأكثر حماقة الذي قابلته في حياتي، مصير أكزاديا مهم، لكن أمنية صديق كوالدك أكثر أهمية بالنسبة لي، أردت أن تعلم عظمة والدك من خلال زيفرا.

بعد الحرب استخدم لورانس ووالدك كل قوتهم لبناء البشرية من جديد، فكان بإمكانه العودة لوطنه في أي وقت، عندما ظهرت جومير في شكل أفعى عملاقة وتهديد كان قادرًا على قتل الكثيرين، استخدم قوته ونقلها داخل الغابات، وفعل الأمر ذاته مرة أخرى مع دوران.

والحقيقة أن والدتك كانت إحدى النساء التي حولهن لورانس، مكثوا هنا لمدة من الزمن ثم رحلوا معًا والبقية أنت تعلمها، لكن ما لا تعرفه أنه عندما عاد والدك حتى يجد علاجًا لها، كانت لدينا مشكلة أكبر وهي أن عددًا كبيرًا من الأطفال يتحولون بعد ولادتهم بسبعة أيام لنوع مختلف من الفصائل، لهذا اقترح لورانس أن يتزوج والدك خلال مدة بحثه لمعرفه السبب، هل هذا بسبب تحول الآباء والأمهات من قبل أم أن هناك أمر آخر لأن والدك لم يسبق له التحول.

وقف حازم بسرعة وهو يدق الطاولة بكف يده ويغمغم: وماذا بعد؟

- ظهر تنين لوسيران وجنوده، وأصبحت المدينة في حالة من الفوضى، لذا عهد لورانس زوجة والدك وطفلها إلى أردان، للأسف أثناء الرحلة تعرضوا للهجوم من قبيلة دوران، ولم ينجوا، هذا ما أخبرنا به أردان.

وبعد تلك الحادثة حدثت مناوشات قليلًا بيننا وبينهم، استخدم خلالها لورانس ووالدك المواثيق بشكل مفرط، لم نكن نعرف أن أجساد البشر مختلفة عن تجسيد الرغبات، التي تعتبر كتلة من الطاقة، حيث تموت الخلايا العصبية، من ثم أعضاء الجسد تهلك واحدة تلو الأخرى نتيجة للاستخدام المتكرر، للأسف كان والدك على حافة الموت بالفعل، لكنه مات كما عاش شعاعًا من الأمل للأجيال القادمة.

كما أن لورانس قبل موته عهد بعقد القوى إلى الفتى الذي أتى به أبوك من الغابة، وميثاق القلب إلى توبا، وكانت آخر كلمات وهو على فراش الموت، أن الحكيم سوف يفي بوعده وسوف يرسل من يحررنا بالطريقة الصحيحة.
فلقد منحنى الاثنان وقتًا طويلًا من السلام، ونعتقد أن الحرب الأولى أثرت بالسلب على قوة لوسيران، لذا نحن في مأمن منهم منذ ١٠٠ عام تقريبًا، حتى التنين لا يتعدى سماء الجدار الفاصل.

.....

توقفوا عن الحديث عند سماع صيحات دوفا، يوبخ من حوله ويلقي اللوم على قائد الجيش (أشور) ويأمر البقية أن يبحثوا على الهيروس الأخير، الذي هرول مبتعدًا بعد أن شاهد أخاه الثاني يسقط هو الآخر بعد أن أفرغ ما في جسده من الدماء، انكمش جلده، جحظت عيناه للخارج وهو يلفظ أنفاسه الأخيرة.

وما إن خطت قدماه داخل الغرفة لم يقدر على الحركة من هول الصدمة، ظل يتفحص المكان، نظر إلى حازم بطرف عينه مرة واحدة، ثم ثبت أنظاره نحو أسدان، وهو يتحسس جانبيه بيده اليسرى ببطء، في محاولة إيجاد شيء للقتال.

١٥ قدم تفصل بينه وبين حازم وثلاثة أضعاف المسافة بين أسدان، أحس بما شعر به حازم من خوف حين رآه ولم يتعرف عليه، وعدم بدء أحدهما الحديث، واكتفاء الشاب بالنظر كذلك حازم جعل الوضع مضطربًا ومريبًا.

فطن حازم لفعل أسدان الغريب بعدم تعريفه لنفسه، فتراجع للخلف حتى التصق بالحائط، وعلى وجهه علامة القلق، في تلك اللحظة وبسبب تصرف حازم أدرك دوفا أن الشاب عدو لا محاله.

تراجع هو الآخر ببطء شديد حتى صار نصف ظهره خارج الغرفة، وأخفى يده اليسرى خلف ظهره، لكن حركات كتفه أظهرت أنه يفعل إشارة بيده لشخص ما بالخارج.

لم تمر ثواني حتى تناثرت أجزاء الباب في الهواء، حطم الجزء الثابت من الباب قائد الجيش (أشور) ودلف إلى الغرفة وهو يحمل مطرقة ضخمة، وخلفه خمسة من الحراس، بيدهم فؤوس ذهبية.

فطنوا إلى إشارات دوفا بالهجوم، انطلق نحو أسدان من الجانب الأيمن للطاولة وجنوده من الجانب الآخر، وعلى مسافة ثلاثة أقدام، أسقط المطرقة، احتكت أقدام أشور بالأرض، في محاولة للتوقف قبل أن يصطدم بجسد أسدان، وسقط أمامه على قدم وساق يعلن اعتذاره هو وجنوده.

عقب أسدان بلا مبالاة: هل تلك الأسلحة هي المعلقة بالخارج!
أشور: أوه، تبًّا، سيدي لقد أمرت أن لا يتجول أحد بالسلاح حتى الجنود في الجناح الأخير.
أسدان: أجل فعلت، ظننت أن بالقصر الملكي جندي يثق بذاته، وأن لا أحد يمكنه الدخول دون قتال، لا أن يتجول شخص غريب بالقصر كما يشاء، و يجده فارغًا!

تقدم دوفا يغمغم قبل أن يحين دوره في وصلة اللوم مثل أشور: الهيروس الكبير والأوسط قتلا بلعنة ما، وهرب الصغير باتجاه الجنوب، الرعية مرتعبون، خوفًا من قبيلة دوران، حتى إن عاد لن يستطيع القتال بمفرده، أيضًا جومير ربما عادت إليها ذاكرتها بسبب...!

أسدان: الإهمال ربما!

أشور: سيدى، لم يخبرني الخادم بالهيئة التي سوف تتخذها، جُل ما أعرفه أنك ستغدو قويًا، لا أكثر.

أشار لهم أسدان بعدم الحديث نظرًا لوجود جنود داخل الغرفة، ثم أصدر الأوامر إلى ثلاثة من الجنود بتحضير القاعة الشمالية لعقد اجتماع هام، والاثنان الآخران واحد يذهب ليحضر تابيا والآخر يذهب لكبير الخدم ويأمره بتجهيز الطعام وإحضاره إلى القاعة.

تلألأ بريقها من بعيد، وقف حازم ودوفا في ذهول، عندما شاهدوها للمرة الأولى بفستان أسود يظهر الكثير من ملامحها الأنثوية، أما هي فلقد لمعت عينها بالفرحة وشعرت بالاطمئنان لنجاته، وأن السبيل الوحيد لم ينته.

جلست تابيا بجوار حازم وأشور و دوفا في الجهة المقابلة إليهم، وأسدان على رأس الطاولة، تتلاقى أعينهم المتلاحقة بالمكان دون أن يأخذ أحدهم مبادرة

الكلام، حتى أسدان الذي انغمس بالطعام وأصبح يتناوله بشراهة، رغم طعمه اللاذع، ورائحته المحترقة التي تملأ أنوفهم.
لم تقترب في البداية أيديهم إلى الطعام إلا عندما أمر أسدان الجميع بتناول الطعام الفاسد، باستثناء حازم، ترك له حرية الاختيار.

غمغم بصوت حاد بسبب وجوههم المحتقنة؛ استنكارًا للأمر: على المرء أن يتحمل عواقب أفعاله، لا أن يُلقي باللوم على الآخرين، أثناء غيابي تركت الأمر بين أيديكم، وها نحن ذا على وشك الانهيار.

أشور: سيدي، لم يتخيل أحد ما حدث للهيروس، تلك الطقوس تُقام منذ سنوات.
شرد دوفا بصوته فخرًا: توقعت الأمر!
أسدان: أوه، كيف إذا؟
دوفا: على الملك أن يتوقع المستقبل، لذا رفضت تلك الطقوس، لكن مجلسك وقائد الجيش أشور بالإضافة لذلك المدعو مارون، رفضوا الأمر!

أخذ أسدان شهيقًا عميقًا ثم أخرجه وهو يقول: دعونا نرفع نخب خروج حازم من قبضة زيفرا، ذلك المخلوق غامض وقوي، لا أعلم عنه سوى ما أخبرني به.

ارتسمت الابتسامة على وجه حازم وهو ينظر نحو تابيا: أنت محق هو المخلوق الثاني، في تلك البلاد التي أرى أنه فريد!

اشتاط دوفا غضبًا، وأخرج ما بداخله من أجيج يغلي نحو تصرفات أسدان الباردة والغريبة بتلك الهيئة الجديدة: كيف لك أن تكون باردِ المشاعر هكذا،قتل الهيروس، لا حائل بيننا وبين الموت، الرعية في خطر محدق، وأنت تجمعنا هنا للطعام، إن كنت تنوي الهروب فافعلها بمفردك!

انفعل أشور هو الآخر: دوفا، تجاوزت حدودك.

أسدان: يكفي! أعتقد أن مقتل الهيروس كان منذ ٣ ساعات تقريبًا، لذا يمكنك الخروج للجميع إن وجدتهم وتحدث معهم عن جُبني لن أمنعك.

دوفا: ماذا تقصد!

أسدان: أشور، أخبرهم حقيقة ما يحدث دون تكهناتك حول أي شيء آخر، فقط الحقيقة.

أشور: تم إخلاء المدينة في الثلاث ساعات الفائتة، لم يبق سوى الجنود، وفيما يخص خروج الشعب في آن واحد وإحداث بلبلة كانت ضمن الخطة حتى يظن العدو أن المدينة ضعفت، ويباشرون الهجوم مما يمنحنا الأفضلية بالقتال، كما تم الاستعداد للانتقال خلال **5** ساعات من الآن.

حازم: لا أفهم، هل موت الهيروس ضمن الخطة؟

أسدان: بالطبع لا، لكنهم ليسوا درعنا الحامي من جومير إن عادت لرشدها، أو قبيلة دوران، لا يمكنني المخاطرة كما فعل لورانس في الماضي، ولا أنكر دورهم الفعال في توفير الوقت اللازم.

تابيا: الوقت اللازم لماذا؟!

أشور: إنشاء الملاذات المجوفة، فلقد وفر لنا الغويران، والهيروس، الاشتباك مع دوران، ومن ناحية أخرى القبائل الحليفة كانت الجانب الأكثر عددًا في المناوشات مع مدينة الألهة، مما وفر لنا اليد العاملة لبناء أنفاق تحت المدينة تمتد إلى ملاذ في أقصى الشمال تحت بقايا مدينة بلفيجيور مخصصه للحلفاء، وواحدة أخرى أقصى الجنوب تحت مدينة ليفياثان، لسكان مدينة أسموديوس، نظرًا أنها تضم **15** فصيلة مختلفة.

حازم: هل تلك الملاذات مصممة للبقاء لوقت طويل، أم وقت الحرب فقط.

أشور: تلك الملاذات...

قطع أسدان حديث أشور ليكمل هو بالإجابة: هل تتذكر حديث زيفرا عن أشكال مختلفة من التحول مكبلة داخل جولبيس؟

اندهش حازم بمعرفة أسدان لتلك التفاصيل، وزاد الأمر حين ارتسمت الحيرة على ملامح الحضور، لم يفهم أحدهم ما يُقال.

حازم: أتذكر أنهم كانوا من الكوادر والأزوران، وبعض الفصائل الأخرى؟

أسدان: كانت توجد بجوارهم مجموعة من السجلات عن مدة الاحتجاز لكل فرد منهم، لأنهم تحت عهد التحول يقتاتون اللحم فقط، لكن إن تم تجويعهم لمدة ١٠٠ يوم، يأكل القوي الضعيف حتى تقل أعدادهم إلى النصف، ثم الأطفال، ويليهم النساء إلى أن يبقى أقوى الأفراد، وتتهالك أعضاؤهم الداخلية بعد انقضاء ٢٠٠ يومًا من الجوع، يصبحون كالتماثيل الخشبية.

أسند ظهره للخلف ثم أكمل: تلك الشمطاء لم تخطط لتدمير أكزاديا بمفردها، بل لنشر الفوضى في أرجاء الكون، ربما نزاع الإخوة دمر مخططها، لكن طالما لم تمت لن ينعم العالم بسلام، فلا داعى للقلق لقد تم حفر وتشييد المَلاذات بناء على تلك المعلومات، لم نرسل القردة عبثًا إلى غابات أزاروكس، بل لتجمع كافة التفاصيل عن بناء جولبيس لنصنع واحدة أخرى لكن تحت الأرض، والحصول على المؤن اللازمة من أجل مضخات الهواء، وغيرها من الأشياء.

غضب حازم واحتقن وجهه عندما سمع كلامهم عن القردة، فلم يفهم أي منهم سبب غضبه غير المبرر باستثناء تابيا التي كانت تكتم ضحكتها بصعوبة "ذلك القرد يعاملني بشكل مزري ولا أعلم السبب"

أشور: لقد قابلت (أسفار) قائد الحملات داخل الغابات، بفضله تمكنا من التواصل كل تلك السنوات مع الغويران.

دوفا: انتظر لحظة، هل القردة كانت تعمل لصالحكم، لمَ لمْ يخبرني أحد بالأمر!

أسدان: ماذا؟ ذكرني من أنت مرة أخرى، عذرًا ذاكرتي الجديدة غير مستقرة، لماذا يجب علي فعل هذا، من تكون؟!

أسدان: أشور، حين ينتهي كل شيء، إن نجونا ذكرني أن أعاقبك على استخدامك الأسلحة في غرفة العرش.

الفصل الخامس عشر

توبا لا تُؤكل

بريق مغطى بالظلام، أظهرته أعينهم وهي تتلوى فرحًا بمنظر الدماء الخلاب، علت زمجرة البعض، وارتفع عواء القادة ليعبر آلاف الأميال كقطيع من الذئاب التي تناشد زعيمها أن وقت الانتظار قد انتهى.

داخل ظلمة تلك السراديب، كان يجلس على عرشه، يضحك بسخرية أنهم فشلوا في النهاية، رغم تلك المحاولات والعمل الدؤوب، ووثب عن عرشه يزأر كأسد حطمت قيوده وحان وقت إطلاق سراحه في البرية، لا رادع له.

فعلى جوانب تلك السراديب كانت ترتفع مجموعة من الصخور المقيدة بسلاسل، ومصممة لتفتح من الداخل، ٢٠ مدخلًا خفيًّا خلف تلك الصخور والتي انطلقت منها

ملايين المخلوقات ما بين دبابات الأرض، والمقاتلين، وقادة الفصائل.

بين طيات السحاب وعلى بعد آلاف الأميال كان زيفرا يشاهد خروجهم من أبواب السراديب، كجيش من النمل المُنطلق لجلب وليمة عظيمة، فلا

يوجد موضع قدم في الغابة أو حتى الأشجار إلا ويحمل فردًا من قبيلة أزوران.

حيث بدأوا في جذ جذوع الأشجار العملاقة، التي في مقدمة الغابة، على ضفاف المحيط، بعيدًا عن المكان الذي تمكث به جومير، ثم وضعوها متلاصقة في شكل طولي، وربطوها بلحاء الأشجار كي يبنوا طوافات تمكنهم من تجاوز المحيط.

ارتسمت الحيرة على وجه زيفرا وهو يشاهد التنوع البيولوجي بينهم، دبابات الأرض أكثر ضخامة وقوة، وكانت تلك الفئة هي التي تقاتل الغيلان، أما المقاتلون فكانوا أقل حجمًا، لكن أنيابهم ومخالِبَهُم الأكثر حدة تعبر عن شراستهم وقوتهم، وأخيرًا القادة وهم الأقرب إلى دوران في الهيئة، يستطيعون التفكير بشكل جيد، ويصدرون الأوامر للمجموعات المختلفة أثناء القتال.

انتهى زيفرا من تفحص أشكالهم، ودون كل ما يحدث داخل الصفحات الفارغة في كتاب تاريخ أكزاديا وهو يغمغم: كيف تنوي التصدي لتلك القوى أسدان!

غادر أسدان والجيش متجهين صوب مدينة الآلهة بعد أن ترك خلفه **100** جندي بقيادة مارون، لهدم مدخل الأنفاق وبعض البيت ليبدو الأمر

طبيعيًا، ثم اللحاق بهم من الفتحات التي أحدثها الجنود داخل السور الفاصل بين مدينة أسموديوس ومدينة الآلهة، والتوجه نحو الغابة الصغيرة خلف السور، مستخدمين الاجمات المتشابكة دروعًا لهم.

بعد العبور مباشرة قام أسدان بفصل الجند لثلاثة فصائل لجهلهم بتلك الغابة والمخاطر الكامنة داخلها، الأولى تعبر الغابة من الشمال الشرقي، والأخرى من الشمال الغربي وصولًا للمدينة، والبقية المتمثلة في أشور، دوفا، تابيا، حازم، وهو خامسهم لدخول المدينة من الجهة الأمامية.

التخطيط الفعلي لمدينة الألهة، قديمًا عندما بني القصر الملكي، جعله لوسيران مختلفًا عن بقية المدن، فقام ببناء المدينة حوله في شكل دائرة كبيرة بحيث يتوسط كل شيء. الأقرب إليه مجموعة من القصور الصغيرة المتنوعة للنبلاء وحاشية لوسيران، والتي تليها مجموعة من المباني الحديثة متساوية الطول، مخصصة للجنود، وفي النهاية على حافة الدائرة منازل صغيرة ومتفرقة في شكل عشوائي لعامة الشعب.

فحرص لوسيران أن تكون المدينة أكثر رفاهية من أي مدينة مجاورة، ولأنها تتوسط المدن الأخرى لم يضع بها أي وسائل دفاعية، بخلاف الفقراء حيث يمكن استخدام أجسادهم كدروع للمدينة إن طرأ أمر ما.

أصدر أسدان أوامر للجنود على عكس توقعاتهم، وهي التحرك نهارًا والتخفي ليلًا من أعين التنين، وأن يتسللون قدر المستطاع حتى يقطعوا الجزء الأول من المدينة، ويمكثون هناك حتى موعد الالتقاء، وهو قمر اليوم الخامس.

فعندما كان يضع الخطة بدَا مقتنعًا تمامًا بخلو الجزء الأول من المدينة، مُبررًا ذلك لقادة الفرق أن خطيئة الزهو والفخر تسيطر على قلوبهم، لذا لن يمكث أحدهم في المباني الأولى للمدينة، بل سوف يتواجدون بكثرة، في الثكنات المتساوية، والأقوى منهم بالقصور التي تسبقها، وأخيرًا هدفهم الرئيس داخل القصر الملكي، لوسيران.

قلق بعضهم من خطورة التقدم حسب تكهن أسدان، فلم يعد الأمر يتضمن الفوز أو الخسارة، بل البقاء من عدمه، وأصبحت الأمور مضطربة ما بين مؤيد ومعارض.

في تلك الأثناء لمعت بذهن حازم فكرة قديمة لكنها الحل الأمثل، وهي أن يرسلوا رجلين للمدينة لمعرفة كافة التفاصيل، كما فعلوا مع القردة، فإن كانت المدينة فارغة يلتزموا بالخطة، وإن كانت العكس ينتظروا خلف الأشجار على نهاية الغابة حتى يتلقوا إشارة بالقتال.

لم يتوقع ولو للحظة واحدة أن تنال الفكرة استنكارًا وغضبًا جامحًا بينهم، بل تطور الأمر حيث أن البعض أرادوا معاقبته على تلك الفكرة الشنيعة ومحاولة التضحية بأفراد منهم.

توقف عقل حازم عن التفكير، إن كانت الفكرة في الأصل تعود إليهم، فلم هذا التصرف!

وازدادت حيرته وشت عقله حين أمرهم أسدان بالصمت وتطبيق نفس الفكرة، نالت إعجابهم واثنوا على عقله الراجح.

بالنهاية تفرقت الجنود للفرق المتفق عليها، وما زال أشخاص منهم أعينهم مثبته نحو حازم وتتوعده بالعذاب في المستقبل بعد أن لقبوه بالعابر السفيه.

تقدمت تابيا نحو حازم بعد أن اختفى آخر فرد منهم بين الاجمات تغمغم: لا تغضب، تلك أحد ميزات التحول.

استنكر حازم كلامها: حقًا! أظن أن الكلمة المناسبة هي الغباء!

أشور: بل تكاتف الظلام، كيف تظن أننا نجونا كل تلك السنوات، أو الغويران، أو قبائل الحلفاء، التحول حين انتهى تحررنا من خدمة السيد، وأصبحنا عبيدًا للقطيع

لم يكمل أشور حديثه بعد أن سمع طقطقة أصابع أسدان، وغمغم بغضب عارم: عبيد! إذا أين الحرية! اقتل نفسك واضمن لها النعيم، تحكم بحياتك، ما يقرب من ١٠٠ مليون حيوان منوي نجحت أنت بالسباق، لماذا لم تتوقف، لماذا أتيت أشور؟!

أشور: تلك كلمات الحكيم للمعاهدين، مجرد كلمات، أنت ذاتك لم تخضع لقوانين ليليث، نلت الحرية دون أي تكلفة.

حول جسده في اتجاه آخر وهو ينظر إلى الأرض يحاول أن يخبئ عينيه التي تفيض بالدمع : بل تحولت لشيء قبيح، لم يحملني جسدي للدخول إلى الغرفة، حاول لورانس والحكيم، فك وثاق أبي دون جدوى، كم الكراهية والبغضاء لشخص لم يكون موجودًا من الأساس حولتني لشخص أسوء من دوران، العقد الذي منحه والدي إلى لورانس كان السبيل للنجاة والعودة.

اقترب أسدان من أشور حتى صارا متلاصقان وجهًا لوجه، وضع كلتا يديه على وجهه وهو يغمغم: انظر إلينا، هل الحرية هي فعل ما تشاء كيفما تشاء، نقتل من نريد، نأكل ما نريد، نطلق غرائزنا نحو النساء، لا رادع لنا، أتلك هي حياة الحرية! أطفال بيننا لا نعلم أباءهم، نساء تموت من الأمراض النفسية والجسدية، هل الحرية هي فوهة أسموديوس التي ألقى بداخلها

المئات منا، لا نعلم أي مرض أصابهم بعد تدرجهم بالشهوة نحو أشياء أقذر من أن توصف، إن كانت تلك الحرية لا أريدها يا بني.

أشور: أنا أعتذر، لم أقصد.
أسدان: لا أريد اعتذارك، قد لا أنجو من تلك الرحلة، لكن إن فعلت أنت، لا تقد شعبنا نحو الهلاك مرة أخرى، هناك رب واحد بالكون كله، يأمرنا بفعل الصالح لأنفسنا، وأن نحرص على استمرارية الحياة، لا تصبح مثل أوبار، أوهم الناس بألوهية أبي وأفسد حياته، ودون قصد منهم مهدوا الطريق إلى الخطايا لتدميرنا.

أصبح الجو مشحونًا بالغضب، فتدخل حازم ليخبرهم أن الفصائل تحركت منذ نصف ساعة ولا بد من التحرك الآن قبل أن يسدل الليلُ ستره.

انصاع أسدان إلى الحديث، وكان أول المنطلقين بين الأشجار، والتي كانت مختلفة عن غابات أزاروكس أو الغابات الأخرى بين المدن، شحيحة الثمار مقارنة بهم لكنها أبقت على غذائهم محفوظًا نوعًا ما، ليتناولوها خلال الرحلة، فتمكنوا خلال نهار اليوم الأول من قطع مسافة طويلة عكس الفرق الأخرى بغرض الوصول أولا إلى المدينة وتفحصها.

ليلة اليوم الأول بدت هادئة في البداية، حتى انقضى نصفها تقريبًا وهم يتسامرون بجوار نار هادئة أوقدوها بالمنتصف، وعلى نحو مفاجئ تجمدت

أطرافهم عندما انطلقت زمجرة من التنين قريبة منهم، فصنعت بقلوبهم رعبًا لم يشعروا به من قبل. تدفقت الرياح عند بسط جناحيه وضمهما تصنع دوامات من الهواء تكاد تقتلع الأشجار.

بقيت أجسادهم ساكنة، فلم يستطع أي منهم تحريك جسده بسبب تيارات الهواء الشديدة، باستثناء أسدان الذي استطاع الحركة، بل والهرولة مبتعدًا عنهم، متجهًا إلى المكان الذي تعلو به صيحات التنين.

ليعود إليهم بعد نصف ساعة وعلى وجهه علامة الغضب الحيرة، بعد أن استطاع كل منهم تثبيت نفسه وجمع أشيائهم المبعثرة هنا وهناك، وانتظروه بأعين تفيض بالتساؤلات حول ما شاهدَ.

غمغم بضيق قبل أن يسألوه أنه لم ير سوى تجمع غمام السماء التي حجبت الرؤيا، وأن هناك برقًا يتجمع داخل الغيوم بشكل مخيف، ثم صمت لبرهة كأنه يفكر حول أمر ما، وأكمل حديثة متعجبًا أن التنين ظل ساكنًا فوق الجزء الأول من المدينة لوقت أطول من المتوقع، وهذا الأمر أثار شكوكه حول إعمارها.

وبعد نصف ساعة من المحادثات، وتبني الأفكار لما يحدث أو التكهن بالقادم، اهتدوا إلى فكرة التحرك في النهار والليل، وأن يستريحوا جزءًا

بسيطًا من آخر الليل، بهذا سوف يقطعون الطريق في يومين من الأربعة المتبقين.

اليوم الثاني:
ظهر التنين مرة أخرى ولم يستطع مجاراة الأمر سوى أسدان لكنه بالنهاية لم يتحقق من شكله أو أي شيء جديد.

وفي اليوم الثالث، ومع اقترابهم من المدينة كانوا على استعداد تمامًا لظهوره، لكن الغريب أنه لم يظهر منذ ذلك اليوم.

اغتمر قلب أسدان بالفرحة عندما وصل إلى الجزء الأول بالمدينة والذي كان فارغًا كما تكهن، فلم يجدوا أي شيء غريب أو أثر للحياة منذ مدة طويلة، لكنه لم يطمئن
بسبب فعل التنين الغريب سابقًا، لذا أمرهم بالبحث في المناطق القريبة قبل أن يستقروا.
ومن أجل توسيع نطاق البحث انفصلوا إلى ثلاث فرق حازم وتابيا بفريق، دوفا و أشور بالفريق الثاني، وأسدان.

بعد عدة ساعات انقضت من البحث دون جديد صرخات طفلة صغيرة تردد صداها بين بنايات المدينة وتبعتها تمتمه ثم شهقات قطعت الجدران إلى أذهانهم بسبب تلاصق البنايات، فانطلقوا مهرولين نحو الصوت.

طفلة صغيرة بشرية كثة الشعر، مقطعة الثياب، تقف في زاوية بجانب مبنى محطم، تضم يدها إلى صدرها وصولًا إلى عينيها، تشهق بالبكاء أثناء تواجدها أمام أشور ودوفا، رغم محاولتهما المستميتة أن يضعوا حدًا لبكائها دون جدوى، حتى وصل أسدان وتاليا فازدادت في الصراخ بشكل أعلى من السابق، وهي تتمتم بصوت أجش ومتقطع: توبا، لا تؤكل، لا تأكلوا توبا.

قبل أن يصل أسدان للمكان، التقى بحازم وتابيا، فأمره بالتراجع والاختباء خشية من أن يكون فخًا، وبسبب أشكالهم المخيفة (تمساح فضي، واثنان من الغويران، والأخير بأعين وشكل غريب) دفع كل هذا الصغيرة للبكاء ظنًا منها أنهم سوف يأكلونها.

أظهر حازم نفسه قبل الوقت المتفق عليه مع أسدان عندما فشلوا في الاقتراب منها أو حتى اسكاتها، وبمجرد أن شاهدته قادمًا من بعيد هرولت الصغيرة نحوه، تسقط على الأرض وتقوم، تسقط مرة أخرى وتقوم حتى وصلت إليه، متعلقة بأقدامه وهي تطالع عينيه كالغريق الذي تعلق أخيرًا بحبل النجاة.

رغم فقدانه للمشاعر بسبب تأثير أزاروكس على قلبه، تحطم فؤاده من رؤية حالتها الرثة، لا يتعدى عمرها ٨ سنوات، بأعين سمراء متسعه، شعر أسود

كث يغطيها بالكامل ويخفي جسدها الهزيل وعظاهما التي تبرز من كل أنحاء جسدها.

دون التفكير بأي شيء وجد نفسه يرفعها من الأرض، ويضمها إلى صدره حتى تهدأ وتهدأ رجفة جسدها من الخوف.

أشار أسدان إلى حازم والبقية بالتوجه نحو الثكنات التي تصلح للبقاء، فظلوا يتجولون على مسافة متباعدة قليلًا حتى تألف وجودهم الصغيرة، وبالفعل اعتادت على رؤيتهم وحديثهم بشكل لطيف مع حازم أمامها.

لم تترك يد حازم طوال تلك المدة إلا عندما أسدل الليل ستائره فتحول نظرها تلقائيًا إلى السماء بوجه شاحب، وقفزت من بين يده بسرعة، وبدأت في الهرولة نحو البنايات المتهالكة، حتى توقفت أمام واحدة كانت الأسوأ بينها وأشارت إليهم بالدخول.

دلف حازم إلى الداخل وتبعه الجميع فلم يكن هناك مجال للعودة إلى الثكنات التي اختارها أسدان بسبب الخوف من ظهور التنين في أي وقت.

من الوهلة الأولى كان كحال البيوت الأخرى حيث علامات الهجران تظهر من خلال الغبار الذي يغطي كل شيء، إلا أن أسدان شعر بشيء مريب وأشار إلى دوفا وأشور باليقظة وذلك بسبب عدم وجود أعشاش العناكب

داخل البيت كحال البيوت السابقة، وأن كثافة الغبار التي تتكدس فوق الأساس كانت خفيفة، فأيقن أن هناك أحدًا ما يعتني بها.

أسرعت الصغيرة بالدخول إلى الغرفة الوسطى والسعادة تغمرها وهي تقفز من الفرح وتتحدث مع شخص ما أن يستيقظ، توقف حازم بحذر عندما سمع حديثها، حتى قدم أسدان والآخرون ليدخلوا معًا.

خمسة هياكل عظمية مستندون إلى الحائط، هرولت إليهم، وهي تبتسم وتدعوهم بأبيها وأمها، وإخوتها.

هياكل الأب والأم والابن الأكبر كانت نظيفة حيث تم الاعتناء بها، عكس الهيكل الأخير والذي لم يجف بعد، وما زالت الرائحة الكريهة تنبعث منه، شكل الأمر صدمة لهم فلم يتوقفوا من النظر إلى بعضهم وإلى الفتاه في تتابع من هول الموقف.

خرج أسدان من الغرفة متجهًا إلى الصالة الصغيرة المتواجدة أمام ثلاثة غرف متلاصقة، وتبعه أشور ودوفا ولم يبق سوى حازم وتابيا، وبعد أن اطمأنت الصغيرة غمغمت بصوت هادئ وأنفاس متقطعة: توبا والجميع يزرعون الزهور لكنهم ناموا وتركوا توبا هنا ولم يستيقظوا، هل يمكنك جعلهم يستيقظون!

انتهت من تلك الكلمات، وهي تغلق عينيها وتتثاءب استعداد للنوم، للمرة الأولى تنهمر دموع حازم حتى غطت وجنتيه، وحملها ليبحث عن مكان تنام بداخله، مبتعدًا عن تلك الرائحة، ليصادف داخل الغرفة الثانية مضجعين مُجهزين للنوم، صنعا من أرواق الشجر وبعض الملابس القديمة بشكل جيد، فأدرك أن صاحب الجثة الأخيرة هو من قام بتجهيز أماكن النوم، واعتنى برفات عائلتهم.

بعد البحث طويلًا داخل غرفة النوم، أصابهم الإحباط لعدم معرفة شيء يخص الفتاة، لذا توجهوا إلى الغرفة الثالثة، والتي كانت أكبر الغرف بالمكان، ومكدسة بالفاكهة العفنة بشكل مهول، حيث حرص أخوها الأخير على تخزينها حتي يضمن لها مصدرًا دائمًا للطعام بعد موته، لكنه لم يعرف كيف يحفظها بشكل مناسب حتى لا تتعفن.

وقبل أن يغادر حازم منكس الرأس انتبه إلى مجموعة من الأوراق مُلقاة بجانب الحائط.

"لا أعلم من تكون، ربما عابر، أو أحد الوحوش المفترسة التي سمعنا عنها لسنوات خلف الجدار الفاصل بيننا وبين مدينة أسموديوس، أو ربما أنت أحد جنود المملكة، لا يُهم في الغالب أنا الآن ميت، لم تكن حياتي مفيدة بالقدر الكافي، لكن ربما تكون بعد موتي.

لذا سوف أخبرك بكل ما أعلم، ولي رجاء وحيد سوف أخبرك به في النهاية، ولك الحق إما أن تقبل أو ترفض قبل أن تكمل، ويمكنك أيضًا ألا تلتفت إلى حديث شخص مات، وقد يبدو تافهًا، فلن تكون الأول أو الأخير الذي لم يكترث لنا.

توقف حازم عن القراءة لثوانٍ، ثم أقسم بصوت أجش أنه سوف يلبي وصية ذلك الفتى مهما كانت، ثم أكمل القراءة خلف المدينة الأولى خط طولي وحيد من الثكنات المتساوية والبقية دمرت من أجل زراعة زهور أكادورا تم هذا الأمر بعد بناء السور الفاصل بمدة قصيرة، وأعلن الإمبراطور الهدنة، وأمرنا بزراعة تلك الزهور، لم نعلم السبب الرئيس، سمعت بعض الشائعات أنها تعالج مرضًا ألم به، وقال الآخرون أنها تستخدم لغرض السحر، شيء وحيد كان راسخًا لدينا، أن الأفواج المُرسلة للزراعة؛ لا تعود.

خلف القصر الملكي أراضي خضراء واسعة، ثم سور آخر يفصلها عن مدينة بعلزويل، والتي أصبحت بعد التجديد مكانًا مناسبًا ليعيش النبلاء وجنود المملكة، ثم تليها مدينة مامون، لم تتغير بعد الحرب، أصبحت ملاذًا لعوام الشعب، ويمكث بداخلها ما يقرب من **1000** عائلة، تتشابه في الفقر، الجوع، المرض.

أذكر أن من حين لآخر كان الجنود يلقون إلينا بقايا طعامهم، إن لم تخني الذاكرة كانت تلك الأيام هي أعياد مدينتنا.

حلم الخروج من المدينة كان طوق النجاة والأمل المنشود، فكانت كل العائلات تطمح إلى المثالية حتى يقع عليها الاختيار للخروج من أجل زراعة بذور أكادورا، في وسط فرح وصياح من الجيران والأقارب، رحلنا مع **5** عائلات أخرى.

استقبلنا الجنود على غير عادَتهم بوليمة ضخمة من الطعام والشراب فأكلنا حتى امتلأت بطوننا، وأخبرونا أن خلال مدة زراعة البذور سوف نأكل هكذا لمدة **10** أيام، ثم ننال حرية العيش داخل مدينة بعلزويل.

فرحة عارمة اجتاحت القلوب، وأصبحنا نعد الأيام، لكنها كانت أثقل مما نظن، عندما وصلنا كانت الحديقة مثمرة بالفعل كبحر من الزهور الخلابة، ووجب علينا المرور بحذر من بينها وزراعة بذور جديدة، بجانب القديمة لتحذو حذوها، تلك هي الطريقة الوحيدة لنموها بسرعة كما أخبرونا.

لم يطمئن قلب أخي الأكبر من تساهل الجنود غير الطبيعي، وعدم اقترابهم من حقل الزهور، حتى الطعام والشراب نظموا له مكانًا ثابتًا على بعد مسافة **100** ميل من الحقل، وفي اليوم الرابع أثناء الطعام أخبرهم أخي وهو

يضحك ممازحا أن بإمكاننا الهروب إن ظلت الحراسة ضعيفة هكذا، فأجاب قائد الفرقة حينها أن التنين لن يتركه حتى يبتلعه في قضمة واحدة.

في نهاية اليوم الخامس بدأت أعراض المرض والضعف تظهر على بعض الأشخاص، رعشة اجتاحت أجسادهم، تغيرت معالم وجوههم ولون أبدانهم إلى الأزرق الغامق، تضاعفت الأعراض في اليوم السابع لدماء تخرج من أفواههم، وأصبحوا غير قادرين على الحركة.

على غفلة من الجنود أمرني أخي أن أحمل أختنا الصغيرة وأطلق ساقي للريح، ولا أنظر إلى الخلف، لم أدرك حينها أنه مصاب هو الآخر، فضل البقاء حتى يُقاوم الجنود مع أبي وأمي إن حاولوا اللحاق بنا.

توارينا بين حطام البيوت ننتظر يومًا وآخر دون جديد حتى انقضت **5** أيام أخرى ولم يظهر أحد، جمعت شتات نفسي، متجهًا نحو الحقل بحذر بينما أختي نائمة حتى أستطيع الهرب إن صادفت أحدهم.

لكن بُعد المسافة لم يسمح لي برؤية ما يحدث بوضوح، الجنود في منتصف الحقل، يفعلون أمرًا ما، لذا صعدت إلى أعلى إحدى الثكنات المقابلة للحقل حتى أشاهد ما يحدث، وليتني لم أفعل.

تحولت الزهور إلى اللون الذي تغير إليه أجسادهم، زرقاء قاتمة متشحة بهالة من السواد، وبجانبها أكوام من العظام البشرية مكدسة فوق بعضها.

والجنود بعضهم ينقلون بقايا الجثث وبعضهم يقطفون الزهور لكن الغريب أن البعض منهم كانوا خائفين من الاقتراب من الزهور حتى تقدم قائدهم وغمغم بصوت جهوري: لقد تغذت على أرواحهم، فلا ضرر منها الآن أيها الجبناء بعد أن أصبحت زرقاء، هيا أسرعوا لكي ننهي الأمر.

أصبحت كجسد بلا روح في تلك اللحظة، بقيت ساكنًا لم أقدر على الحركة أو حتى الصراخ بعد أن علمت مصير عائلتي، عدت إلى أختي خاليَ الوفاض، ولم أعرف ما أقول سوى أنهم نائمين لوقت طويل من العمل المتعب؛ ويومًا ما سوف نجتمع.

أخبرونا أن التنين يحمينا، لكنه كان العذاب، من ينظر إلى السماء يقتل، حتى شَابَ جيل يخشى الحلم والنظر بعيد.

وبعد عدة أسابيع أخرى، أصابتني الحمى وبدأت الأعراض بالظهور شيئًا فشيئًا، لذا جمعت الكثير من فواكه الغابات القريبة حتى أصبحت شبه فارغة، لم أستطع تركها تهلك من الجوع، هذا كل ما أعلم، وكل ما أرجوه إن كانت صغيرتي ما زالت على قيد الحياة، أرجوك افعل ما لم يحملني قلبي على فعله، اقتلها حتى تغادر هذا العالم السام!"

توقف حازم عن القراءة، مرت الكلمة من بين شفتيه بسرعة لدرجة أنه لم يدرك معناها، ظل يلتفت يمينًا و يسارًا، يسألهم عن مقصده بتلك الكلمات.

أجابه أسدان بهدوئه المعتاد ذلك يفسر جسدها الهزيل، لن تعيش طويلًا، من الأفضل...

حازم: لن يقترب أحد من الصغيرة مهما حدث.
تابيا: أنا أوافق حازم، كيف نختلف عن هؤلاء الأشخاص إذا، سوف نصبح الوحوش المفترسة التي فزعت من رؤيتها؟!
دوفا: لدي اقتراح، إن سمح لي قائد الرحلة بعرضه!
أسدان: أنت تتحدث بالفعل!
دوفا: في الحقيقة، قصدت أشور، هو قائد الجيش لذا هو القائد في الميدان، كما تنص القوانين، تحدد مصير الفتاة قبل ظهورنا إن أبقينا على حياتها سوف تموت لكن بعد ألمٍ ومعاناة، كما أن لدينا جيشًا سوف يهلك إن صادف تلك الزهور، لذا مصير الفتاة آخر ما يشغلنا الآن.
أشور: أكره أن أتفق معه، لكنه الصواب رغم بشاعته.

لم يقدر حازم أن يرغم قلبه على الموافقة حتى وإن كان بلا شعور، فِعلُ الصواب رغم بشاعته؟ أم تركها تموت بألمٍ كل يوم بسبب لعنة الزهور؟! لذا طلب برهة من الوقت حتى الصباح ليتسنى له التفكير بشكل أفضل.

استلقوا داخل الغرفة بجوار مضجع الفتاة بعد أن قسمت نوبات النوم والحراسة، لكن النوم هجر أجفان حازم وأصابه الأرق، فغادر الغرفة حتى يشعر بهواء يثلج صدره، لشعوره بأثقال الكون فوق جسده تعتصره ببطء، عندما تعلق الأمر بروح الفتاه، وتذكر حديثه مع زيفرا عن كونه مستعدًا أن يقتل ليعود إلى وطنه، ولم يدرك ثقل تلك الكلمة حينها والأوجاع المتعلقة بقرار كهذا.

ظل مستيقظًا خلال ساعات الليل الطويلة، ولم يوقظ أي منهم للحراسة، يفكر مليًا في قرارة نفسه أنه لا يوجد داخل أكزاديا من يقدر على معالجة الفتاة.

انغمس الباقون بنوم عميق، نتيجة لقلة النوم والإرهاق الجسدي للوصول للمدينة مبكرًا، ليستيقظوا على ابتسامة خافتة محفوفة بالنصر أعطت بريقًا خاصًا لوجه حازم، وسرعان ما طلب منهم الخروج للحديث حول الفتاة.

غمغم بحماس واضح: أنتم على حق، لن نستطيع أن نقدم لها المساعدة، لكن عالمي قادر على ذلك، سوف تعود معي.

دوفا: ثم يصيبها ما أصاب والدتك، وتودعها في مكان مخصص للمجانين كما فعل؟!

حازم: كيف تجرؤ أيها القزم الأخضر!

أوقفهم أسدان عن الكلام: صمتًا! هل يشعر أحدكم أن قلبه على وشك الانبثاق؟ تبًا الفتاة!

دلف حازم إلى الداخل والبقية خَلفه، وقبل أن يدخل الغرفة تصلبت أطرافه ولم يستطع التقدم، ظل واقفًا محاذيا للباب، يطالع جسدها الصغير بعد أن تحولت بشرتها، إلى الأزرق الداكن.

تقدمت تابيا من خلفه بسرعه ووضعت يدها أعلى صدر الصغيرة وهي تلاطفها وتخبرها أنها بخير.

نظرت إليها بعين مكسورة، وقالت بصوت هادئ: أنتِ جميلة مثل توبا.

لا ينبض القلب دون رغبه تدفعه للأمام، أو للهلاك إن طغت عن المعتاد نحو شهوات لا تحصى، تحققت تابيا من قلب الصغيرة، فلم تعد هناك رغبة للحياة، وتوقف قلبها حين انتهت الرغبة بالبقاء.

مأساة توبا غمرت قلوبهم بالحزن والغضب، وثقلت أوزار لوسيران، فأصبح الأمر شخصيًّا لحازم، كما هو الحال مع أسدان.

كرم حازم مثوى الصغيرة وجمعها مع عائلتها في قبر واحد كما أرادوا وهم أحياء.

الفصل: السادس عشر

من فعلها؟!

على ألحان الموسيقى وقرع الطبول على جماجم الغيلان اقتحم جنود دوران مدينة أسموديوس بحثًا عن الطعام بعد أن تمكن ما تبقى من الجنود الهرب في اللحظات الأخيرة وتمركزوا خلف السور الفاصل بين الأشجار حسب أوامر أسدان.

أذهلتهم تقسيمات الجيش المختلفة وتخطيط الهجوم المتقن فلم يتقدم سوى الجنود ضخام الحجم بحثًا عن الجميع وبعد عدة ساعات من العبث داخل المدينة، أيقن دوران أنها خاويه.

لكن المشكلة التي واجهته كانت تدمير أجزاء من السور الفاصل حيث وضعته بمأزق، ولم يعد يعرف هل اجتاح أسدان مدينة الآلهة، أم تحالف معهم، أو ربما الفتحات خدعة ولم يغادر متجهًا إليها.

فعلى الرغم من قوته المهولة، لم يخاطر باقتياد شعبه نحو مكان يعتقد أنه فخ مُحكم.

لذا أبقى على الجنود داخل المدينة، وأمر أثنين من قادة الفصائل الثمانية بالاتجاه نحو الشرق والغرب لتدمير المدن الصغيرة التابعة لهم، واكتشاف أين ذهب سكان المدينة.

التغذية على لحم طازج بشكل مستمر، تمدهم بالطاقة العلاجية والقوة الغاشمة، ولم يعد هناك شيء يدعوه للرجوع بعد هلاك الغيلان، فكانت خطته تقتضي السيطرة على الفئات الأخرى ثم يدفعوهم للتكاثر، وهكذا يحصلون على طعام طازج بشكل مستمر، لذا فضل دوران الانتظار حتى لا يضطر إلى الاكتفاء الذاتي وتحويل المقاتلين إلى جيش من القادة.

.....

بعد انتهاء مراسم الدفن، أسرع دوفا وأشور بالانفصال والاتجاه نحو فصائل الجنود حتى لا يصبحوا طعامًا طازجًا لزهور أكادورا، ثم توجيهم لثكنات اختارها أسدان للمكوث بداخلها لمدة خمسة أيام، اعتمادًا على الطعام والشراب المُخزن معهم.

لم يعلن أسدان عن نواياه الحقيقية، أو الخطة الموضوعة، اكتفى بأخذ بعضهم وأمرهم

بالبقاء داخل ثكنات على حافة المدينة باتجاه مدينة أسموديوس للحراسة والانتظار دون فعل شيء.

دفع هذا الأمر بعض الجنود بسرد الإشاعات حول أن لا خطة هناك من الأساس، وأنهم هائمون دون جدوى وفي النهاية موت محتوم، واحتدم الأمر بين بعضهم قلقًا على ذويهم فلو نظر دوران موضع قدمه، لوجد وليمة طيبة.

في صباح اليوم الرابع، أوشك الطعام والشراب على النفاذ، وصبر أحد الجنود نفد حتى بلغ حلقومه، فبدأ بالصياح لرفاقه وحثهم على العودة للمدينة، أو التقدم إلى المدينة القادمة فلا طائل من الانتظار هنا.

وبسبب القلق الذي انتشر قبل أيام بينهم وكثرت الإشاعات، انقسم الجيش لفرق ما بين مؤيد ومعارض، وصنف آخر يريدون الهروب داخل شقوق الجبال أو النزول إلى الملاذات، أدى ذلك في النهاية لكثرة المشاحنات، وكادت أن تتسبب في حرب فيما بينهم.

صياح أحد جنود الحراسة يهرول من بعيد برفقة جندي آخر، شتت انتباههم عن المشاحنة، وأوقفوا ما يحدث مؤقتًا، حيث أراد الجندي الآخر أن يتم توجهيه إلى أسدان على الفور، لكن قائد المعارضين منعهم من المرور إلى المكان الذي يمكث داخله، وصاح بأعلى صوته: أنظروا! حدث ما توقعته، لقد أتوا للنيل منا.

أنفاس متصاعدة، ونظرات تلاحق بعضها بعضًا، حين ظهر أسدان أمامهم، بجانبه أشور غاضبًا، وحازم ملتزمًا الصمت، يحدث نفسه أنه لن يغامر

بالتدخل بينهم مرة أخرى، تقدم جندي الحراسة ليفضي ما لديه بصوت عالٍ عن قُدوم الجنود المكلفين بهدم المداخل ومحملين بكافة أنواع الطعام والشراب، ثم تقدم الجندي الآخر يؤدي التحية أولًا ثم عرف عن نفسه أنه نائب فرقة الاستطلاع الخاصة بالقائد مارون، وأن الطعام والشراب تم تجهيزه كما هو مخطط، ويكفي لمدة 8 أيام إن استهلكنا منه بحذر.

نظر أسدان بجانب عينه دون الاستدارة، إلى قائد المعارضين مغمغما : أظن أنني فهمت لماذا لم نرجع كما كنا بعد انتهاء عقد التحول، كل الأمور ترجع إلى ما يكمن في القلوب، وأظهرت العقود حقيقتنا، لا نصلح أن نكون بشرًا، إن كان يرعبك الموت فأنت أحمق، اليوم، غدًا، أو بعد ساعة سوف تموت، جميعنا سوف نهلك، يموت الجبناء، وكذلك الشجعان، وكل ما يتبقى هو ذكرنا الخالدة في قلوب من نحب.

رحل أسدان مبتعدًا مع جندي الاستطلاع إلى بيت في المنتصف والذي اتخذه مقرًا له، وفور أن دخلوا وتأكدوا أن لا أحد يسترق السمع لحديثهم بدأ بالسؤال عن التقرير الخاص، وأين مارون؟!

الجندي: سيدي لقد ذهب القائد بعد أن حصلنا على الغذاء، وتأكد بأن التقرير حول قوات أردان سوف يصل إليك.

أسدان: ذهب لتقصي أخبار الهيروس الصغير، أليس كذلك؟!
الجندي: أجل سيدي.

أخبره الجندي كل شيء حول حشود قوات أردان، وانطلاق بعض الفصائل للقرى الأخرى بحثًا عنهم؛ مما يمهلهم من الوقت ١٠ أيام بحد أقصى، ثم أخرج لفافة ورقية مُرسلة من القائد مارون، أعطاه إياها وهم بالانصراف.

فحوى الرسالة: "من مارون إلى قائد البلاد الأخير، العظيم أسدان، لم يسبق لعائلتي أن رفضت أمرًا ملكيًّا، منذ أن استودعنا سادان العظيم على بوق التواصل مع الهيروس، كان لنا الشرف أن نخدمك كل تلك السنوات جيلًا خلف جيل، عدونا أقوى مما نظن بمراحل عديدة، الهلاك قادم لا محالة، لم أهرب من المعركة خوفًا منهم، لكن فضلت أن أموت بجانب ذلك الهيروس، أنا كل ما يملكه الآن، اغفر لي عصياني
طوال سنوات حراسة الغويران، لم يصف أردان قبيلة أزوران سوى بالوحوش الغبية التي لا تجيد التخطيط والتعاون في الحرب، وأن كل الخطورة تكمن في قائدهم دوران ذاته، وعلى أساس تلك المعلومات تم بناء خطة الملاذات المجوفة، والاتجاه نحو مدينة الآلهة ليس للقتال بهذا العدد الضعيف، بل سحب قوات دوران خلفه لكي يدفعهم إلى قتال لوسيران حتى يهلك أغلبهم ويتكفل هو بمن تبقى.

لكنه الآن بعد أن علم قوة ومهارة دوران وشعبه، أدرك أنه أصبح لقمة سهلة المنال بالنسبة لمدينة الآلهة من ناحية وعلى وشك خسارة شعب مدينته من ناحية أخرى إن طال مكوث أشخاص أذكياء بهذا القدر بالمدينة".

تجمعت الجنود على ضجيج قادم من مقر أسدان، حطام يتطاير وغبار يعبئ المكان، نتيجة لتحطيمه أساس المنزل وأجزاءً من جدرانه، خرج أسدان بين الغبار، ينظر إليهم بوجه محتقن وأعين تشع غضبًا، وصاح بالجميع أن يظهروا بأس مدينة أسموديوس.

وأشار إلى أشور أن يجمع كل الجنود الآن، ثم وقف في مكان عالٍ بالحطام يغمغم: لقد أخطأت، أردت أن نعود بأي ثمن نحو الصواب، لكننا لسنا بشر، نحن وحوش لعينة، حان الوقت لإظهار قوتنا الحقيقة، فلنذبح تنينهم وندمر مدينة الآلهة المزيفة، أردتم التقدم، دعوني إذا أسمع صوت الوحوش الكامنة بداخلكم.

أشعلت كلماته رغباتهم في القتال، وتردد صوتهم ما بين الزمجرة والزئير ليصل إلى أذان دوران، وكذلك سكان القصر.

تقارب مباني المدينة المتدنية، والثكنات المتساوية، والقصور الصغيرة، سمح لجنود أسدان المرور سريعًا خلال يومين حتى أصبحوا أمام القصر الملكي، مع ذلك لم يشاهد أي منهم جنديًّا واحدًا خلال الرحلة.

لهذا نال القلق نصيبه من قلب أشور، وقسم الجنود لمجموعات صغيرة، للإحاطة بالقصر بقيادته حتى تكون لجام الأمور بين يديه ولا يحدث أي انشقاق آخر بين الصفوف، وبجانبه تابيا بعد أن أمرها أسدان بمرافقة أشور.

كل ما ظهر في البداية بشكل واضح سرداب ضخم بجانب البوابة الرئيسة، يفضي من الداخل للخارج والعكس، ولا أثر للحياة داخل القصر أو خارجه.

لم يعلم أسدان ودوفا وحازم ما ينتظرهم، أسوار القصر تبعد عن الأرض مسافة ٥٠ قدمًا، وعلى رأسها نصال مدببة ومثبتة لتمنع تسلقها، لذا أراد دوفا أن يستكشف السرداب أولًا، لكن أسدان منعه من الدخول، وأصر على البقاء سويًا وأن يدخلوا تباعًا من البوابة الرئيسة أسدان ثم دوفا وأخيرًا حازم.

تفحص أسدان المكان بعينه حيث هدوء تام يحيط بأرجاء بالمكان، وباحة القصر الأمامية تحتوي على عدة أشجار فاكهة متباعدة، وهناك رماح وسيوف أكلها الصدأ ملقاه بين الحشائش.

تقدموا أكثر حتى باب القصر الداخلي، باب خشبي مشبع بالحديد، حتى صار مثل أبواب الحصن، وبعد محاولات عديدة وجهد كبير بذله الثلاثة تمكنوا من فتح جزء صغير يكفي لعبورهم، لكنهم تراجعوا بسرعة بعد أن انبعثت رائحة عفنة من الداخل، غمرت أنوفهم، وأرغمتهم على البقاء بالخارج لدقائق حتى تزول الرائحة.

خلف الباب بمسافة بسيطة مائدة تقطع القصر طوليًا تحتوي على أطباق عديدة، مليئة ببقايا الطعام الفاسد. وعلى جانبيها ألاف الجنود متقلدين ملابس الحرب، أصبحوا هياكل داخل دروعهم.

أسرع حازم بالإمساك بيد أسدان قبل التحرك بينهم وهو يقول: انتظر! قد تكون خدعة الموت، لقد رأيتها مرات عديدة في الأفلام.

دوفا: وما هي الأفلام؟!

أسدان: إذا أنت تظن أن هناك أحياء بينهم، استطاعوا كتم أنفاسهم من تلك الرائحة، حتى يقتلونا؟!

حازم: أوه، الرائحة، لقد نسيت.

أسدان: حمقى! كل نوافذ الغرف مغلقة من الخارج ماعدا غرفة العرش، ألم يلاحظ أحد منكم الأمر؟!

حاول دوفا أن يتدارك نفسه أمام أسدان: أجل، كنت أنوي أن أخبرك لكن فضلت الانتظار!

ابتسم أسدان ابتسامة خافتة وغمغم: حسنًا في أي اتجاه تقع الغرفة التي رأيتها؟

دوفا: في الواقع، هي يمينًا هناك، لا بل يسارًا.

ابتسم أسدان بسخرية وأكمل: دعني أنظر داخل حقيبة حازم قد تكون هناك!

حازم: أكره المقاطعة، لكن إن كان هناك أحياء فوق لماذا لم يتحركوا إلى الآن؟!

أسدان: دعنا نعرف بأنفسنا.

عبروا أكوام الجثث وهم يحاولون اللحاق بأسدان، حيث كان سريع الخطى، يعلم إلى أين يذهب، وأبطل بعض الفخاخ من أزرار خلف الصور المعلقة، رغم قلة حديثه أو تبريره على ما يفعله بدأ الحنين والحزن يبدوان على ملامحه، فهذا المكان قضى داخله طفولته ونشأته.

انتظرهم أسدان أمام غرفة العرش، وقبل أن يفتح أبوابها نظر إلى دوفا وحازم مغمغمًا: كل شيء لا يسير حسب الخطة، مهما كان يوجد داخل

الغرفة، لا تهتموا بي وارحلوا حين يسوء الأمر، أحدكما تواجده مهم للنهاية، والآخر سوف يغدوا ملكًا عظيمًا ذات يوم.

وقبل أن يعلق أحدهما على كلامه، دفع باب الغرفة ودلف إلى الداخل.

صُدموا من واقع الغرفة المختلف عن باقي القصر المتهالك، حيث كانت فارغة من الأثاث، فقط مُقابل الباب في المنتصف عرش مصنوع من الذهب، ومزخرف بلآلِئ ليس لها مثيل، وخلفه أكوام كبيرة من زهور أكادورا داخل فجوة بالحائط تشبه المدفأة.

همسات دافئة ظهرت من خلف العرش، ثم توهجت نار من الموقد تبعتها في الظهور. ثم ظهر بعدها عجوز يغطي وجهه بوشاح أبيض، يمشي ببطء، ويحمل شعلة من النار، ألقاها على الزهور التي احترقت بدورها في لحظات مطلقه غمامة سوداء تفضي إلى الخارج عبر أنابيب تمرر دخان الزهور إلى السماء.

بدأ العجوز بالضحك وهو يتحرك أمامهم، حتى استقر على العرش وأسقط الوشاح ليظهر شخص دميم الخلقة، جلد وجهه من الناحية اليسرى متساقط، مثل مرضى الشلل النصفي، وعينه اليسرى ممسوخة كأنها لم تكن موجودة، ويتنفس من فمه بصعوبة لذا يصدر تلك الهمسات.

على الفور أخرج دوفا سيفه، لكن حازم سبقه بالتقدم قائلًا: تلك نهايتك لوسيران!

تنهد العجوز بصوت مبحوح: من هذا الأحمق؟

تقدم أسدان يضحك بسخرية هو الآخر، ينظر إلى العجوز، ثم إلى رفاقه مجددًا: توقعت الأمر منذ أن أتيت إلى المدنية، توقعت أنك هنا، لكن لم أتوقع أنك العقل المدبر لكل هذا.

تنهد العجوز بوجه متجهم: تريد أن تظهر أمام رفاقك بمظهر القوي، بتلك الادعاءات؟

أسدان: أكادورا، أعتقد أننا كنا ندعوها بزهور النعيم، أما زالت تلك الخدعة تجدي نفعًا؟

اعتدل العجوز في جلسته وقال باستغراب: من تكون!

أسدان : منذ زمن بعيد عجوز أحمق خدع الجميع بطفل صغير كونه إلهًا، وعندما بدأت الناس بالشك، جلب زهور النعيم، وبقدرة ابن الآلهة تغيرت ألوان الزهور، والآن تدعوها أكادورا لخداع أهل المدينة، ليست الزهور من تمتص أرواحهم بل أنت أيها الكاهن.

دوفا: من؟

حازم: أوه، تبًّا، ذاك هو (أوبار) الذي عذب والدك وكاد أن يقتله وهرب في النهاية بكنوز القرية؟

أسدان: أجل، لهذا أعتق لوسيران رقبته، حين كان يتخذ شكل أبي، حتى تفعل ما يريد، حسنًا أين هو الآن؟

أوبار: وما الفرق، دوران قادم، وسوف نموت جميعًا، لكن إن أبقيت على حياتي سوف أجعل التنين يحارب معكم، يمكننا التعاون معًا.

أثار الكلام غضب حازم : هل تظن أنك سوف تنجو بفعلتك؟ توبا وعائلتها وكل من قتلوا بسببك؟

أسدان: في الحقيقة لا أهتم بما يحدث هنا، جعلت رجالي يحدثون ضجة، حتى يعلم دوران بمكاني ويغادر المدينة، أنا لا أهتم لكنك تفعل، لديك عدة عقود من لوسيران ربمًا، واستخدامها المفرط دمر خلايا جسدك، فأنت على مشارف النهاية، إلا إذا...

تغيرت تعابير وجهه، تنفس الصعداء، وتغيرت نبرة صوته : ماذا، أكمل ما لديك؟

تدخل حازم يصرخ منزعجًا: هل سوف تتفاوض مع هذا القاتل؟!

أوبار: يمكنني قتل ذاك المزعج، مبادرة مني بالود.

حازم: بماذا، بأسنانك أيها المشوه!

ضحك أسدان وهو يغمغم : أقدر لك الأمر، لكن سوف أفعلها أنا في وقت لاحق، لم يحن الوقت بعد.

حازم: ماذا! أنت تمزح أليس كذلك؟

أكمل أسدان دون الالتفات لحديث حازم: عقد الشيب يمكنه مداواة جسدك، سوف تعود شابًّا قويًّا.

أوبار: وفي المقابل، ماذا تريد؟

أسدان: لوسيران.

لم يملك الكاهن وقتا طويلًا من أجل المماطلة أو الكذب، قد يصبح دوران فوق رؤوسهم في أي لحظة لذا بدأ في سرد ما حدث، عندما هرب بكنوز شعب الجوران، توارى هو وأتباعه داخل شعوب الأدوفار، حيث أراد الاستقرار وعيش حياة يملؤها البذخ والرفاهية، إلا أنه تفاجا بصدمة مهولة، أن الذهب لا تعرفه تلك شعوب، وكل شيء قائم على التبادل النفعي بينهم لذا بدأ بسرد الأحاديث للناس عن نبوءة عظيمة، وأن هناك آلهة في السماء ينبغي لهم التضرع لها بقرابين الذهب والفضة، هم أثمن الأشياء في الكون.

ثم أعد خطة للتقرب من تجار القرية، لكي يصل إلى زعمائهم، وبعد محاولات عديدة أقنع أكبر تاجر بالمدينة أن يبني معبدًا تتم العبادة والتضرع داخله، مكان يقدم الشخص داخلة ولاءه وطاعته بالذهب أو الفضة.

لكنها قُبِلت بالرفض، وسجنوه لتتم محاكمته بتهم عديدة أمام جمع من الناس.

المحاكمة كانت عبارة عن ثلاثة أسئلة إن استطاع الإجابة نجا وإن لم يفعل قطعوا رأسه.

السؤال الأول: هل ربك الذي تدعونا إليه فقير أم غني، إن كان يملك في الأصل كل شيء لمَ يريد أن نعطيه ما نملك من خلالك، لماذا لا نعطيها للفقراء والمرضى؟

السؤال الثاني: تدعو الناس لأفعال مشينة تنافي المنطق والعقل، تريد من النساء إظهار بعض أجسادهن خارج المنزل، وأن الرجل يمكن أن يصبح أنثى إن شعر أنه يريد ذلك والعكس تحت ما تدعوه بالحرية، كيف إذا تختلف الحرية عن العهر، إن كانت لا تحدث سوى بالعادات السيئة؟

السؤال: كيف النهاية؟

حاول النجاة في الأولى والثانية بأنه يرشدهم للصواب ويريد الصالح لهم، أما الثالثة لم يفهمها، وظل يردد كلامه حول النبوءة، وأن مقتله سوف يجلب الخراب والدمار.

في النهاية قرر الزعيم حبسه حتى يتم نحر عنقه في يوم يحتفلون به باجتماع كل القبائل، نصبوا مسرحًا ضخمًا من الخشب للمرة الأولى ليشاهد كل الحاضرين ما يحدث، وصعد زعيم القبائل وتحدث قائلًا: على

المرء أن يكون فطنًا، ليدرك السوء حين يراه، لقد علمت قصة هذا الرجل من وفد قدم إلينا عبر البحر، شخص فاسد مُضل، ينبغي أن يموت، حتى يرتاح العالم من شره.

عقب حازم على كلماته: أتساءل حقًا لماذا يلقبونك هكذا، تبدو وديعًا.
قبل أن يقتلني العجوز الأحمق، ظهر سادان طائرًا في الهواء أمامهم وبعض الموالين لي هرعوا إليه ساجدين يرددون كلماتي، فأنقذني منهم ذلك اليوم وأتم صفقة مع العجوز على الطاعة، وليس العبادة.

اعتقدت حينها أنه ربما تَنَاسى الماضي، أو غفر لي، في الحقيقة اعتقدت أني بإمكاني السيطرة على عقله مثل الماضي، لكنه كان شخصًا آخر تمامًا، أقوى وأذكى مما أتصور، أعطاني عقودًا بالفعل للسيطرة على شعوب الأدوفار، الخوف، والتصور

دوفا: انتظر، هناك عقود أخرى غير عقود أكراد؟
الكاهن: بالطبع، لوسيران كان أقواهم بالإضافة لمعرفته الكبيرة بالكثير من العلوم، فحين اختفى سادان عندما أردنا قتله، دُعي لمخدع ليليث، وظهر داخل جولبيس، بعد انقضاء عام، فكل ما تعلمه والدك من جولبيس وما وصل إليه، استفاد منه لوسيران، تسلح بالقوة والعلم، حتى الآن لا أفهم كيف مات!

دوفا: إن قُتل لما حدث كل هذا.

الكاهن: لا يهم كما قال صاحبكم، لقد انتهى عصر الخطايا منذ زمن، لقد شاهدت تلك الحرب، فبعد موت أزاروكس لم يقتل أحدهم الآخر بل تحولوا لرماد أمام عيني، لم أفهم ما حدث لكن الأمر انتهى ولم يعد هناك سوى...

تحرك أسدان بسرعة لا يمكن للعين إدراكها، وأصبح أمام الكاهن وجها لوجه ووضع يده على فمه وجزء من حلقة، ثم اقترب منه وهو يهمس: أنت تتحدث كثيرًا، انتزع فمه بحلقه لتنطلق نافورة من الدماء أغرقت المكان حتى وصلت إلى أرجلهم وهم ما بين الصدمة وعدم إدراك ما يحدث، حين أرادوا الانتقام منعهم وحين بدأ بالتعاون لشرح الأمر قتله!

حازم: لماذا؟!

نظر أسدان نحو دوفا: أنت صامت على غير العادة؟

دوفا: الوليمة، ومذكرات شقيق توبا ذكر أن الجنود أعدوا لهم وليمة، مثل الجنود بالأسفل، إذا ليست الزهور!

أسدان: بالطبع ليست الزهور، لا أعرف قوة تلك العقود التي امتلكها لكنه كان يستخدم الطعام ليمتص أرواحهم، كما أنه ترك الزهور حتى تفحمت.

في الماضي عندما كنت صغيرًا، جلب الكاهن تلك الزهور للمرة الأولى دليلًا على رضا أبي عن القرية، إن بقيت على لونها لن يعود، أما إن تغيرت سوف

يعود، هذا اللعين بعد أن تغيرت أحرقها حتى يكمل الطقوس وأصاب الجميع بحالة من الهذيان والإغماء وهرب بكنوز القرية.

حازم: إذا كنت تعرف حقيقة الزهور من البداية ولم تخبرنا؟
استطرد أسدان حديثه: قد ننجح في إنقاذ البعض إن خرجنا الآن
قبل عدة دقائق بالخارج هبت رياح عاتية، أعلنت عن قدوم التنين من الشرق، محاطًا بكومة من الغيوم تبعتها صرخات مدوية، جعلت أجسادهم متيبسة من الخوف، هالة من الرعب اجتاحت قلوبهم ماعدا أشور ارتسمت الابتسامة على وجهه وهو ينظر إلى تابيا: لن يسعفني الوقت لقولها، لكن أخبري حازم أني لم أر والده ليسعني شكره على صنيعه معي لذا شكرًا لك.

هرول بعيدًا عن الجنود، دون الإنصات لصرخات تابيا ترجوه بالعودة، ازدادت دقات قلبه فأصبح صدره يعلو ويهبط وهو يشدد على أسنانه غيظًا، حيث بدأت فقرات جسده بإصدار أصوات كطلقات نارية لا تتوقف، وعلى نحو مفاجئ للجميع ازداد حجمه لخمسة أضعاف بأنياب أكثر حدة، ومخالب يمكنها اقتلاع شجرة بخدش واحد، كما تضاعفت سماكة وقوة الحراشف التي تغطي جسده، وفاقت صيحاته التنين فكادت أن تنزف آذانهم من قوتها.

خرج أسدان وحازم ودوفا من الباب ليسقط زجاج القصر فوق رؤوسهم من قوة صيحات أشور، فأصابتهم بجروح طفيفة.

صرخ حازم بعزم صوته للجنود أن لا يستنشقوا الغبار؛ هو السبب لتحول أشور، عكس دوفا الذي لم يبال سوى بالانطلاق نحو تابيا للاطمئنان عليها، أما أسدان تقدم ببطء ثابت الخطى كأن لا شيء يحدث وأن كل شيء على ما يرام.

الفصل السابع عشر

شجرة الفطرة

رغم كسر قيود الخوف، لم يجرؤ أحد على فتح أبواب الحصن لمشاهدة ما يجري، حكم المدينة لسنوات باسم لوسيران، من خلال عقد التصور الذي يجعل المرء يرى ما يريد صاحب العقد بالإضافة إلى الخوف الذي سكن قلوبهم وجعلهم أذلاء جيلًا خلف جيل، حتى قرر أحد الصغار بالنظر إلى أعلى، لم يعرف معنى الخوف حتى يشعر بما يشعرون، كل ما رآه أصوات صاخبة مزعجة تأتي من غيمة في السماء.

وعلى الفور استل الجندي سيفه لقتل الطفل، فحال بينه وبين الصغير أبوه وأمه، فأراق دماءهم حتى يكونوا عبرة للجميع، وكانت تلك الشرارة بداية النهاية.

لم يعلم أوبار العواقب حول استخدام أكثر من عقد، لذا بدأت قوته بالضعف يومًا بعد يوم، وفي المقابل تزداد إرادة الناس نحو الحرية، وأشعلوا ثورة الموت.

سموها هكذا حين حطموا قيود تلك الكلمة، فلم يكن هنالك معنى للحياة داخل مدينة أشبه بالقبر كل يوم يودِّعون فقيدًا، فهاجموا مدينة الأغنياء متخذين من الحجارة والخشب أسلحة، على الرغم من قلة معداتهم، كانت صرخاتهم المدوية، وشجاعتهم هي التي مكنتهم من اقتحام بوابة مدينة بعلزويل.

أثناء ذلك الأمر كان كبار الضباط وأصحاب السلطة بالمدينة داخل القصر الملكي من أجل ولية ضخمة أعدها لهم كالمعتاد في يوم يدعوه بالتتويج.

توهجت النيران وابتلعت أجزاء كبيرة من المدينة خلال سيطرة العامة عليها، وأبصر الكاهن من شرفته الأمر وذلك لأن القصر شُيد على هضبة صغيرة، بحيث يسمح لمن في شُرفة القصر رؤية كلا المدينتين بوضوح.

أبناء الكاهن هم أعلى النبلاء داخل المدينة، ولم يدعهم إلى الوليمة حتى لا يتمكن منهم السحر الموضوع بالطعام، لذا يتركهم داخل قصورهم بمدينة بعلزويل ولم يتخيل للحظة واحدة أن يراهم معلقين من رقابهم في أعلى مكان بمدينة بعلزويل بعد أن أضرموا بأجسادهم النيران.

تقدم العامة كالوحوش الضارية التي لا تعبأ بأي شيء؛ يقتلون كل من تراه أعينهم، أما هو وبعد موت أبنائه أمام عينيه لم يعد يهتم سوى بسحق كل

من أمامه، لذا استخدم كل ما يمتلك من سحر لقتلهم وبث الرعب داخل قلوب المتبقين حتى لا يتخطوا سور مدينة بعلزويل ويتجهوا صوب القصر.

آلاف الناجين من نبلاء مدينة بعلزويل يحاولون الوصول إلى القصر طلبًا للمساعدة وخلفهم سكان مدينة مامون يحاولون تمزيقهم، لكنهم توقفوا على نحو مفاجئ، كأن صاعقة رعدية أصابتهم، اهتزت أجسادهم وبدؤوا بالصراخ، دخان كثيف يتصاعد من داخل ملابسهم كأنها تغلي، تغير لون أجسادهم ليصبح أزرق داكنًا، وتحولوا إلى هياكل عظمية في عدة دقائق، كان الأمر كفيلًا بجعل المتبقين من مدينة مامون يتراجعون، داخل أسوار مدينة بعلزويل، لتصبح المدينتان تحت تصرفهم.

.....

أمر أسدان الجنود، بالتراجع نحو الساحات الخضراء، أمام مدينة بعلزويل عندما اشتد القتال، رغم وضوح النتيجة للجميع وأن التنّين ليس ندا لأشور، عندما بدأت الغيوم تختفي من حوله وتراجع في محاولة للذهاب دون قتال، إلا أن أشور كان له رأي آخر، اختفت حدقتا عينيه وأصبحت بشكل طولي وهرول نحو التنين ثم أسند قوائمه الأربعة إلى الأرض وقفز إلى السماء في مشهد أرعب الجميع، صنعت أقدامه فجوة بالأرض، وتبعها زلزال شديد استمر لأميال، لم يصل إليه بأسنانه لكن مخالبه أصابت غيمته.

تباعدت الغيوم بسبب تدفق الرياح التي رافقت مخالب أشور، وتلاشى تدريجيًّا حتى اختفى، كان الأمر فوق إدراك البعض، باستثناء الثلاثة، علموا سبب استخدام الكاهن للزهور من أجل إنشاء غيوم تسبب الهذيان عند الاستنشاق، بالإضافة لعقد الخوف والتصور ليرى كل شخص ما يخشاه في تلك الغيوم.

تنفسوا الصعداء أخيرًا لأنهم تخلصوا من تلك المشكلة وحرروا الجميع من قبضة الكاهن، لكن هناك طامة أخرى بدأت للتو، عندما فقد أشور صوابه وأصبح كالوحش لا يفرق بين الصديق والعدو. وراح ينظر إليهم كوجبة للعشاء.

.....

قبل يومين.

يُقال إن المصائب لا تأتي فرادى، قطعت البعثات مسافات طويلة نحو الشرق والغرب دون جدى، حيث كانت كل القرى كانت خالية من السكان، وصادف عودة البعثة خائبة الأمل صوت جنود أسدان حين أمرهم بالصياح، فأيقن دوران المكان المراد، لكن قلة الغذاء أصابت قبيلته بالوهن.

يحتاج المقاتلون إلى التغذية المستمرة، وآخر ما تناولته القبيلة هم الغيلان قبل مدة طويلة، لذا أمر دوران الدبابات ضخام الجثة بالتجمع في منتصف المدينة لأمر هام، ليحيط بهم المقاتلون في شكل حلقات دائرية.

وغمغم بحماس واضح: أعظم القرارات، تحتاج إلى رجال أعظم منها، ولا شيء أعظم من التضحية، تغذوا.

كان زيفرا حينها في السماء، بين الغيوم يشاهد ويدون ما يحدث، بحر من الدماء، أجساد ممزقة، أطراف ملقاة على الجوانب، مزق المقاتلون أجساد أبناء جلدتهم وتناولوا لحومهم بشراهة ليكتسبوا قوة مضاعفة، وينشأ جيل جديد، يمتلك صفات أكثر تطورًا.

.....

على يمين مدينة بعلزويل، هضبة أخرى يبلغ ارتفاعها ١٠٠ متر، على رأسها غابة صغيرة غير معلومة، والجهة الأخرى مجموعة من الأحجار الصخرية مختلفة الأحجام تعيق حركة السير.

انصدم أسدان وجنوده بالتغيرات التي حدثت بالمكان وأن جدران مدينة بعلزويل منخفضة وغير مصممة، لصد عدوان كهذا، فأصبحوا محاصرين.

"استعد، أطلق" كلمات صاح بها أحد الأشخاص داخل الجدار، ثم تبعتها سهام أطلقوها، سقط نصفها قبل أن تصل نصف المسافة والجزء الآخر من

السهام لم يكن قويًّا كفاية حتى يصل للنهاية، وأخرج مجموعة من الأطفال رؤوسهم ينظرون إلى النتيجة ثم غمغم أحدهم بصوت عالٍ: المسافة بعيدة، هل نطلب منهم الاقتراب!

أردف واحد آخر: أيها الحذق، يجب أن نطلب بأدب حتى يأتوا إلينا ونستطيع ضربهم.

وقعت الكلمات على مسامعهم فأصابتهم بالذهول، لا يوجد داخل المدينة سوى النساء والأطفال، من يأمرهم بإطلاق النبال، نساء أخريات يتقلدن ملابس مختلفة، غالية الثمن (هم الخدامات الهاربات من القصر عبر السراديب المظلمة بجانبه) حين ضحى الكاهن بكل من تناول طعامه بكثرة ليوقف الثورة، لجأن إلى المدينة للبقاء.

ازدادت صرخات أشور وتلويحه، كأنه في حرب، بدَا كل شيء واضحًا رغم بعد المسافات بينهم بسبب جسده العملاق.

ثم سكن جسد أشور وساد صمت مريب لدقائق، وقبل أن يفهموا ماذا يحدث، تقهقروا إلى الخلف بأعين متسعة تكاد أن تخرج من محاجرها، عندما شاهدوا أجساد طائرة في الهواء تتساقط فوق رؤوسهم ذراع لشخص ورجل لآخر ونصف أجساد ممزقة من قوة مخالب أشور.

تجهمت وجوههم بسبب ما شاهدوهم، عندما التفت أعداد كبيرة من المقاتلين الجدد من حول أشور حتى يقتلون أسدان وجنوده، رغم الطفرة الجينية التي خلفت وحوش أقوى، كانت حراشف الكوادر صلبة وقوية بشكل مبهر مما أعطتهم ميزة ضد المخالب، لكنهم لم يكونوا في مأمن من السم القابع بين أنيابهم.

لذا أمر أسدان الجنود بالانقسام إلى ثلاثة مجموعات حتى تتفرق التجمعات حولهم ويستطيعون التصدي لهم.

بدأ بالفعل القتال واستطاعوا الصمود بشكل ما ضد قوتهم وسرعتهم المتطورة، لكن أثناء ذلك سقط جسد أحد المقاتلين _الذين يلقيهم أشور من فوق جسده داخل المدينة_ مصابًا ببعض الخدوش فقط، فحاول الصغار رميه بالسهام دون جدوى.

شاهد الأمر دوفا وفطن أنه حي حين سمع صراخ الصغار، فترك فرقته وانطلق نحوهم كونه الأقرب إليهم.
بجهد بسيط استطاع تدمير الباب الرئيس بكل سهولة لضعف ألمَ به نتيجة عفونة أصابة مواطن قوته على يمينه مجموعة من الصغار يصرخون باكين بشكل هيستيري، بعد أن قتل فرد من الأزوران إحدى الأمهات

وصار يمزق جسدها ويأكل منه، وبجانبها صغير في الرابعة من عمره ممسكًا بقدميها رافضًا أن يترك والدته حتى بعد موتها.

انطلق دوفا بعد أن أثار المشهد النار بقلبه متذكر توبا الصغيرة قفز فوق جسده ليكيل إليه اللكمات، إلا أن مخالب الجندي كان أسرع وأقوى، حتى بعد أن استل سيفه لم يستطع إصابته، وصل حازم للمدينة بعد أن أمرته تابيا باللحاق بدوفا.

انصاع حازم إلى الأوامر لما شاهدته عيناه خلال القتال، براعتها في استخدام السيف فاقت كل من ساحة المعركة حتى أنها بدأت تعطي أمرًا للكوادر كقائد حقيقي بينهم وجعلتهم يكتسحون الجانب الأيمن، ورفعت من دوافعهم المعنوية للقتال والاستمرار مثل ما فعله أسدان مع الجانب الأيسر.

وجد دوفا مستلقيًا على الأرض، مصابًا بجروح عديدة والمخلوق على وشك جذ رقبته، فأسرع حازم نحوه وهو يصرخ إليه بالتوقف، وحين انتبه إليه المخلوق لم يلتفت أو يعتدل استعداد لمواجهة، بل فعل أمرًا عجيبًا أذهل الاثنين، ابتعد عن دوفا، ثم وقف يتأمل شكل حازم لثوانٍ وهرب لكي ينضم للقتال بعيدًا.

رغم سعادة حازم بنجاة دوفا، إلا أن المشهد جعله يشعر بالغرابة لتجنب المخلوق القتال والهروب على عكس طبيعتهم الوحشية، وأن نفس الفعل تكرر أكثر من مرة، قبل أن ترسله تابيا إلى هنا.

قطع شرود حازم خروج بعض النساء من بنايات المدينة، للانضمام للصغار، وأثنوا على حازم ودوفا للدفاع عنهم، لحين عودة كيفار من المدينة الأخرى.
رفع كل من دوفا وحازم رأسيهما لرؤية وجهه، عملاق تجاوز طوله ٢٥٠سم، وخلفه المئات من الرجال مُتقلدين لباس الحرب.

عرفت المرأة عن نفسها أنها زوجة قائد الثوار، وأن كيفار والجنود كانوا بمدينة مامون بسبب أصوات تأتي من الغابة التي تقع بجانب المدينة، ولهذا لم يكن أمامهم سوى الصغار، وأيضًا لمعرفة نوايا التماسيح التي تقرع باب مدينتهم.

آلاف الموتى من جيش دوران، وأعدادهم لا تتناقص بل تزداد بشكل واضح، ولم تستطع الفرقة الوسطى الاستمرار بعد أن سقطت منها أعداد كبيرة، فسقوط فرقة يعني هلاك الجميع لأنهم سوف يصبحون مُحاطين من كافة الاتجاهات بشكل أكبر.

أرعبت الكوادر الصرخات التي أتت من الخلف، وراحت في الازدياد، فاستدار الصف الأخير بسرعة لصد الهجوم. لكنهم هللوا فرحين عندما شاهدوا دوفا وحازم في المقدمة وخلفهم كيفار وجيش صغير.

استعادة الفرقة الوسطى السيطرة مرة أخرى، لكن المشهد ذاته تكرر مرة بعد مرة، كلما أقترب حازم من جنود دوران، تفحص هيئته وهرول مبتعدًا عنه.

تسربت الشكوك إلى قلب حازم، فتعمد الابتعاد عن تجمعات الكوادر وانطلق نحو فصائل الأزوران المتجمعة بعيدًا، لم يستوعب في البداية أن الصفوف سوف تنشق من أجله، وتتركه داخل دائرة مُفرغة، وكأنهم لا يعبئون لتواجده، باستثناء أحد القادة، الذي ترك مكانه كمتفرج وتقدم ببطء نحو حازم، ليفعل مثل ما فعلوا وهو فحص هيئته وجسده، لكنه أبقى عينيه مثبته على قدمه (مكان عضة أحد جنود قبيلة أزوران في البداية) ثم انحنى أمام الجميع ليرحب كونه بخير مغمغم: تكبدنا الكثير من الخسائر، بل هرمنا من أجلك سيدي.

شكل الأمر صدمة كبيرة للجميع، وتجهم وجه الحضور استنكارًا لما يحدث، باستثناء تابيا، دوفا، وعلى رأسهم أسدان، تبادلوا النظرات كأنهم على اتفاق ما.

في تلك اللحظة تدفقت المعلومات داخل رأس حازم غير مستوعب ما يجري، أي خسائر تكبدها؟ لم أراد دوران قتله؟

بدأ قائد الفصيلة بشرح كل شيء منذ البداية، حين استيقظ حازم داخل الغابة وفوقه أحد جنود دوران أعتقد أنه يريد قتله بسبب تلك العضة، لكنه كان يحاول حمله إلى الكهف، لكن الغويران هاجموه وبسبب القتال حُطمت ذراعه، لذا حاول سحب جسد حازم بأسنانه، لكنه لفظ أنفاسه الأخيرة، ليس بسبب الجروح أثناء القتال، بل بسبب دماء حازم والتي بداخلها سم أورثه أزاروكس إلى أتباعه يسري داخل عروقهم ويختلف قوته من شخص لآخر، فكان من المقرر أن يمتلك حازم قوة أزاروكس ويصبح قائد لقبيلة أزوران، لكن أردان أعطاه علاجًا ما أخمد قوة أزاروكس داخله والمفتاح الوحيد لتلك القوة هو الغضب والكراهية المطلقة.

حُطم فؤاده حين علم كم الأمور التي أخفوها الغويران ليسوا أتباع أزاروكس، بل هم نسل بعلزويل خطيئة الشراهة، وقبيلة أزوران هم النسل الحقيقي الباقي من أزاروكس، لذا لم يذكر أي منهم قتال الخطايا بشكل كامل، وحين أراد الكاهن قول شيء ما قتله أسدان.

تصرف الغويران أثناء الطعام، همسات أردان لتابيا، وجعلها مرافقة لرحلته، اتسعت حدقتا عينه حين تذكر موت الهيروس، قارورة دمائه هي من أهلكتهم.

من ثم اغرورقت عيناه بالدموع، كم هائل من المشاعر ما بين خيبة الأمل والإحباط والغضب الشديد، وأصبح يتطلع إلى الجميع ويتذكر بحيرة الماء، قائلًا في ذاته "لا بد أنها موجودة"، لكنه تذكر قول أسدان في الداخل "سوف أقتله لكن حين يحين الوقت".

سقط أشور بيد دوران نفسه، بركة من الدماء انفجر من رقبته بعد أن تمكن من نحرها لتغرق مساحات شاسعة، بعد أن قدم أخيرًا بجيش آخر لا يُحصى أوله من آخره،
ثم أستخدم جسد أشور قبل أن يسقط ليقفز عاليًا كشهاب قادرًا على حرق كل شيء.

تقدم أسدان، تابيا، دوفا، كل منهم يحاول الوصول إلى حازم، بعد أن صار يصرخ كالمجنون، لكن دوران كان الأسرع حيث هبط أمامه مباشرةً، صنعت أقدامه
كومة من الغبار أحاطت بالمكان، وأخفت وجودهم عن الأعين للحظات.

أول من بدأ بالظهور هو دوران، راكعًا على الأرض ينزف دماء من فمه ويحاول التقاط أنفاسه، ثم دوفا ظهر من الجانب الأيمن لحازم مغمض العينين، يحاول رؤية ما يحدث، تليه تابيا من الجانب الأيسر على الأمر ذاته، وأخيرًا أسدان من الخلف واقفًا على استعداد بأعين متسعة يحدق بما يحدث لدوران.

تلاشى الغبار عن المنتصف صاعدًا إلى السماء، ليظهر حازم وهو ينظر للجميع مبتسمًا، ويتمايل يمينًا ويسارًا، والدماء تسيل من جسده بسبب خنجر أصاب قلبه، وسقط على ظهره في النهاية، وهو يرى جيش دوران يسقط معه، فبعد مقتل روح أزاروكس القابعة داخل حازم، انتهى عقد التحول الخاص بهم.

بعد لحظات من الإدراك، أفاق دوران أمام جسد حازم، ودوفا يحتضنه ويبكي موجهًا سيفه نحو أسدان، وتابيا، لحظات ما قبل النهاية يدرك المرء حقيقته عند الموت، شقي، سعيد، هل فعل ما أراده خلال الحياة؟ هل النهاية مرضية بالنسبة له؟ رفع يده بكل ما لديه من قوى ليسكنها فوق قلب دوفا مغمغمًا: أظن أنك الأجدر بقوة والدنا، هناك ذكرى عنك داخل كتابه _استطرد بصعوبة_ يمكنني الإحساس الآن كم أفتقد عائلتي!

لم يستطع التوقف عن الصراخ ثم الضحك بشكل هستيري وما زالت دموعه تنهمر بلا توقف، لطالما أراد الظهور أراد النفوذ والقوة، أصبح نائب أزاروكس، على حساب عائلته، لم يذرف دمعة واحدة حين علم بموت أخيه أردان داخل السجن بعد إضرابه عن الطعام، ضعف جسده حتى أصبح هيكلًا عظميًّا وهو يحفر بمخالبه حتى تحطمت وأكمل بدمائه صورة على الجدار لعائلته تمد يدها إلى دوران لينضم إليهم. تذكر تلك الأمور في أن واحد جعلته في حالة صدمة غير قادر على استيعاب ما يحدث من حوله.

أشجار تتساقط، وثكنات تتدمر وتصبح حُطامًا بفعل جسدها الهائل، صرخات مدوية مصدرها بقايا جيش دوران من الخلف يحاولون الهرب والنجاة، وخلفهم جومير تعتصر المئات، تدفع رأسها للأمام لتقتل بعضهم، ثم تتوقف، وتنحسب للخلف على الفور إلى وضعية الدفاع، وتعيد الكرّة مرة تلو الأخرى.

تدمير روح أزاروكس، لم يلغ عقد التحول فقط، بل حرر جومير من دورة لا نهاية كثعبان أخرق، إلى تذكر ما حدث، والآن تقف أمامهم بهيئتها العظيمة وتلقي عليهم اللوم، لفناء حبيبها أزاروكس، وإهدار كل تلك السنوات بلا فائدة، وتُقسم من خلال فحيحها على موتهم جميعًا.

ما حدث مع بقية الطوائف بعد انتهاء عقد التحول، حدث معهم، جزء منهم رجع إليه إنسانيته وجزء آخر يتبعهم كجزء من القبيلة، حاول القادة جمع الأقوياء من أتباعهم لرد الهجوم.

كما فعل أسدان حيث جمع شتات رجاله، وانطلق نحو جومير ليغرز سيفه بداخلها وهو يصرخ بجنوده للتقدم والقتال حتى النهاية، صيحات البشر، زئير قبيلة دوران، زمجرة الكوادر.

للمرة الأولى منذ زمن بعيد تختلط دماؤهم، مقترنة بأمانيهم رغبةً في النجاة، يعتمد كل منهم على الآخر بحياته، سرعة ومخالب قبيلة دوران، لم تكن كافية حتى أسنان الكوادر لم يخترق أي منهم حراشفها الغليظة، مزقت جومير الجيوش وخلفت وراءها آلاف الموتى، حاول بعض البشر تشتيت انتباهها عن النساء والأطفال لكن الأمر أتي بالعكس وانطلقت بشكل حلزوني متجنبه رماحهم، لسحق أجساد النساء والصغار بين فكيها دفعة واحدة.

لم يفصلها عن النيل منهم سوى بعض السنتيمترات، توقف جسدها عن الحركة، أطبق يده على جسدها، كاد أن يقسمها لنصفين، لولا عودتها في محاولة للمهاجمة.

جذبها إليه ثم رفع جسدها في الهواء، وألقاها لمئات الأمتار، تتدحرج فوق بعض الشكنات، مُحملًا بالغضب واليأس، تضخمت أجزاء جسده ليصبح مثل أشور لكن أشد قوة.

دوران هو المنافس الطبيعي لعقد أشور، كونه يمتلك هو الآخر (عقد القوة) انصدم أتباعه لجهلهم بتلك المعلومة (داخل غرفة جولبيس وجد والد حازم وحشًا عظيمًا من الكوادر أمام وحش آخر من قبيلة أزوران)

ألقى ما في داخله من غضب وهو يطبق على فكيها، ويحطم به الشكنات، وصنع بمخالبه جروحًا كثيفة بجسدها، حتى أن أحشاءها ظهرت من بين الجروح، فلم يترك موضعًا واحدًا إلا وصنع به جرحًا أشد قوة من سابقه، وبالنهاية تركها عندما فقدت القدرة على الحركة.

تراجعت كل الفئات داخل المدينة خوفًا من فقدانه السيطرة مثل أشور، باستثناء دوفا الذي ظل بالقرب من جسد حازم يرفض النزوح، ووقف أمام دوران رغم أنه لا يبلغ من الطول مما يجعل يصل إلى نهاية قدمه، يشهر سيفه معلنا البقاء مهما حدث.

تجهم وجه دوران من رؤيتهم خلف الأسوار خائفين وتذكر المعاناة التي سببها للجميع، وعلى وجه الخصوص الغويران، وقبل أن يتكلم ليخبرهم أنه بخير ولم يفقد صوابه، تفاجأ بجومير تمر من بين أقدامه، لتلتف حول

جسده بسرعة كبيرة، ثم شددت على ذراعيه ليلتصقا بجانبه ويصبح مقيدًا بشكل كامل.

ثم أصبحت تنظر إليه كوجبة دسمة قبل التحلية، ولم تشعر بوجود دوفا لكثرة الجثث التي خلفتها القتالات المتتالية، حتى وإن عاد دوران لصوابه يبقى من قتل وعذب أبناء جلدتهم لسنوات طويلة، ذلك الرمح هو أثقل ما حمله دوفا خلال حياته، عائلته، أردان، الغول العظيم، كل شيء دمره ذلك الرجل، القابع تحت يد جومير، لذا مساعدته هي آخر شيء يود فعله، وبكل ما يحمله من ألم ومعاناة ألقى كل حقده وكرهه بذلك الرمح، ليستقر برأس جومير، رغم أنها لم تصب بأذى يذكر، شتت انتباه تلك الشمطاء قليلًا، فتمكن دوران هو الآخر في تلك اللحظة، من مهاجمة رقبتها بأسنانه، ثم حمل ثقل جسده للأمام حتى يستطيع تثبيت رأسها لوقت أطول على الأرض.

قبل لحظات لم يقف دوران أمام دوفا، في الحقيقة لم ينتبه إليه بالبداية بل لفت انتباه صخور صغيرة تسقط من أعلى الهضبة بجانب المدينة، وأن الأشجار تسقط ثمارها نتيجة هزات أرضية قوية، وقبل أن يغدق لدوفا بما يراه تمكنت منه جومير.

ازدادت الهزات الأرضية حتى سمعها الجميع، كتل صخرية كبيرة تسقط من الأعلى، الأشجار تتحطم وتطير بالهواء، مشهد أسطوري كما وصف في

الحكايات القديمة عن عمالقة قتلوا الوحوش المفترسة بالبحار حتى تشرع السفن بالاكتشاف. أساطير يشاهدوها اليوم بأعينهم؛ الهيروس الصغير طائرًا بالهواء، وبيده شجرة بيضاء اللون، استخدمها كرمح ليخترق بها رأس جومير، محدثًا نافورة من الدماء محلقة بعيدًا، ثم تساقطت كهطول الأمطار بعد العاصفة.

لم تمر سوى دقائق من الاستيعاب، ثم هلل الجميع بالنصر وتحولت نظرات الفرح، لنوع من الذهول حين نمت الشجرة البيضاء وتفرعت بشكل غريب، فكلما زاد حجمها تلاشت جزئيات جومير ودوران، كأنها تتغذى على حياتهم، حاول أتباعه والمتبقين من سحب جسده، لكنه غمغم بصوت حزين يرجوهم أن يتركوه يلقى هذا المصير.

ازدادت الشجرة في النمو حتى شارفت الاقتراب من مواضع السحاب، وتدلت من فروعها فاكهة بيضاء، تظهر بذورها، تكبر، وتطيب ثم تسقط في عدة دقائق لا أكثر، (شجرة الفطرة)، هذا ما أطلقوه عليها، فكل من أكل من ثمارها عاد بشرًا كما كان.

الفصل الثامن عشر

داخل الوطن

الموت، هو الحقيقة الكونية التي لا تتلاشى مهما اختلفت العوالم، نهاية غير معلومة، ليس مخفيًّا كما يشاع، اختار فاروق أن يواجه، كما قرر حازم المرور من خلاله إلى ذاكرة سكان أكزاديا للأبد، ذكرى تعبر من جيل إلى آخر أن الرغبات، يوما ما سوف تصبح خطايا.

أسفل شجرة الفطرة، تهليل وفرحة عارمة غمرت قلوب الجميع برجوع الأمور إلى صوابها، حيث بدؤوا بالتعاون في جمع الثمار الناضجة لسكان الملاذات والمناطق البعيدة، ولم ينتبه أحد منهم فى البداية إلى ثمرة ملقاه على بعد ١٠٠ ميل من الشجرة، تحولت من البياض إلى السواد القاتم كأن العفن ينخر قلبها ويدمرها بعد أن قضمها شخص ما، ثم نقاط من الدماء تزداد بشكل ملحوظ كلما تتقدم فى اتجاه القصر.

أسفل أشجار الفاكهة المتباعدة أمام باحة القصر الملكي، يستند إلى جذع إحداها، يحاول أن يلملم شتات نفسه والدماء تسيل من فمه وعينه اليمنى، صدره يعلو ويهبط فكلما خرج نفس يكاد أن لا يعود.

ظهر من العدم كعادته زيفرا يخبره أن الوقت قد حان، نظر إليه بأعين ساكنة وهو يغمغم: لقد صدقت حين أخبرتهم أنك غامض، ولا أعلم عنك سوى ما أخبرتني به.

زيفرا: لم أكن أنوي المساعد فى الحقيقة، ليس لدي ضمير لفعل الصواب أو غيره، يعيش الفرد من قومي آلاف السنين دون فعل شيء يذكر، أو يمكن أن يفتخر به يومًا ما، لكن البشر رغم حياتكم القصيرة تفعلون أمورًا تُخلد عبر التاريخ .

.....

تحول جثمان حازم إلى رماد، أمام أعين دوفا، غمر الأمر قلبه بالحزن وسكنت جوارحه حزنًا على موته، ثم أمسك رماده بين يده وأقسم على تذكره للأبد، خلال ذلك قطع شخص التجمعات ليلفت انتباههم إلى دوفا حيث يتواجد على مسافة قريبة من الشجرة، رجل قصير القامة سريع الخطى، اسكن ركبتيه أرضًا وأخذ بعضًا من رماد حازم، ونظر نحو دوفا قائلًا كان شرفًا لي أن أقول أني كنت جزءًا من رحلة العابر وشرف لي لقاؤه، عندما كنت قردًا كنت سيئ الطباع معه، والآن أصبحت رجلًا وأقول أنه الأعظم.

انخفضت أصوات التهليل حتى صارت همسًا بين الصفوف، وأدركوا أن لا وقت للفرح حزنًا على من قتلوا في سبيل النجاة، أشور، حازم، أردان، دوران، الهيروس، ويسبقهم الكثير، وتعلموا أن الخطايا لن تأتي بغيرهم لتهلكهم بل هم كفيلون بأنفسهم إن استسلموا إلى الرغبات.

بدأت الأصوات في الارتفاع مرة أخرى، ويتلوها علو الأعناق لرؤية شاشة من الغيوم ظهرت أمامهم (قام بها زيفرا سابقًا) سادان في حالة يرثى لها وأمامه شخص بهيئة رجل من الدخان الأسود الكثيف، كانت المرة الأولى التي يشاهدوا بها زيفرا.

حيث كان زيفرا يروي لهم ما حدث دون علم أسدان برؤيتهم للأمر، كنت أشاهد ما يحدث بشكل مستمر ولم تكن لدي رغبة بالتدخل، نلت ثأري منذ زمن ولا نية لي لفعل شيء آخر، وبما يخص معرفة حازم لما حدث في الماضي، كان بعلم لوسيران ولم أفعلها من أجلك في الحقيقة، سحري هو الوصول إلى أفكار الشخص والتجول داخل ذاكرته لمعرفة ما حدث فقط لا أكثر، لم يتطور سحري ولم أختف داخل الكتب كما أخبرتك سابقًا بل لدى عقود من لوسيران، أهمها الشيب للخلود، والإدراك؛ لا لمعرفة ذاكرة الفرد فقط، بل للتواصل معهم حتى وإن كانت الذكريات داخل الكتب ومجرد حروف مرسومة على قطعة قماش بالية، لذا لم أكترث لنجاتكم أو موتكم، لكن الغول العظيم حين مات، تأسف إلى أردان، لعدم مقدرته

على فعل المزيد مع العلم أنه كان مسخًا يتحدث بعض الكلمات غير المفهومة على الدوام، لكنه تغير وأصبح من الغويران، أدركت حينها أنكم بالفعل تتغيرون، وتستحقون فرصة ثانية.

تنهد أسدان بصعوبة: لا عليك جمعينا نخطئ.

زيفرا: وأنت أيضًا تغيرت صمت لبرهمة من الوقت وأكمل سوف تقتلك تلك التفاحة، لقد استخدمت السحر لجعلها تنمو بتلك الطريقة، لنجاة الجميع وقتلك!

أسدان: أنت تعلم؟!

استطرد زيفرا حديثه: لم يُقتل أزاروكس بسبب إصابته بالرمح في منطقة حيوية أو تحول بعلزويل، وأسموديوس إلى غبار، لم يخبرك الكاهن أنهم أيضًا قتلوا برماح كالتي أصابت أزاروكس، تم إخفاء الأمر وسرد الإشاعات حول بقاء أسموديوس في سجن أبدي لذلك السبب، وهو عدم البحث عن الحقيقة (الذهب، والفضة، والحديد، وعنصر آخر يدعى فرانسيوم) يعد وجوده على الأرض أو الكواكب الأخرى نادرًا جدًا.

عند دمجه بالعناصر السابقة ينتج معدنًا أقوى من أي سلاح آخر، يصدر كمًّا هائلًا من الإشعاع قادر على تدمير جسد المضيف والخطايا أيضًا، بفضل سحري الحالي والفريد اكتشفت الأمر من خلال ذكريات لوسيران والتجول داخل عقله، لكن المعضلة كانت في تنفيذ الأمر على أرض الواقع،

لذا استخدمت سحرًا غامضًا من كتاب الأرض الأبدي (نسر الدم) حتى أتمكن من تكوين ثمار شجرة الفطرة لإنقاذ الجميع باستثنائك أنت وحازم، لأن الثمار سوف تقتل خطيئة الغضب، وخطيئة الزهو والفخر.

ألجمت الصدمة فم الجميع، وسقطت الثمار من يد بعضهم من شده الذهول أن لوسيران داخل قلب أسدان تمامًا كحازم.

أكمل زيفرا: لم يمت لوسيران بل تجرد من جسده، ليصبح حرًّا طليقًا بسبب قوته المهولة والمعرفة التي اكتسبها من علوم وتكنولوجيا جولبيس، وقوة والدته التي أصبحت كهيكل عظمي ثم رماد داخل غرفته الخاصة بالقصر بعد أن قتلها، في الحقيقة كان على مقدرة بقتل الجميع لكنه أراد شيئًا آخر، على مر الزمان كانت هناك دائمًا وسيلة لهزيمته، رجل مثل فاروق وإيمانه أقوى من الخطايا، لكن إن حكم أكزاديا عن طريق حاكم عُرف بِجوده وعدله لن ينازعه أحد لو أراد احتلال العالم.
لهذا أخفى نفسه داخل قلبك، ليحكم أكزاديا بعد استخدامك لعقد الشيب؛ سوف تضعف تدريجًا حتى تختفي روحك تمامًا ويحكم للأبد داخل جسدك، لكنك تعلم كل هذا بالفعل

أسدان: لا أتذكر أنى أخبرت تابيا أن تتعلم كيف تتنفس أمامي أخبرني أشور بتلك المقولة وتصرفات أخرى أجهلها، أدركت حينها الأمر، لست

حزينًا بل سعيد أن شعبي بأمان، الألم الذي يسري داخل جسدي الآن أمر ممتع، كم أفتقد تلك المشاعر، كنت أحثَّ دوفا والجميع على كراهيتي منذ البداية حتى لا يتوانى أحدهم وقت قتلي إن لم أستطع فعلها!

تنهد أسدان بصوت ضعيف ثم أكمل: لم أكن أنا من فعلها.
زيفرا : لم يفعلها أحدكم، لقد أمن حازم بالاستسلام لكلمات والده ولم يكن هناك مفر آخر لنجاتكم من دوران، تملكه اليأس وكان على وشك الاستسلام لخطيئته، لكن رحلتكم معًا وحبه لرفاقه جعلته يقدم على ذلك الأمر، أنتم محظوظون أن خنجره كان يستطيع فعلها.

هرول الجميع نحو القصر يرجوا زيفرا لفعل سحر ما لنجاة قائدهم، لكن الأوان قد فات، أصاب خنجر زيفرا قلب أسدان بناء على طلبه: اقتلني ليرتاح العالم من الشر للأبد. تحولت جثته هو الآخر لرماد، ووقف زيفرا أمامهم بالهواء ليخبرهم أن إكرامًا لحازم وأسدان سوف يلبي أمنية واحدة لهم جميعًا.

ازدادت الهمسات وتحولت إلى أصوات صاخبة منهم من يريد بناءً جديد للعيش، أو أن يعطيهم قوة العهود لبناء أكزاديا مرة أخرى ما بين رافض منهم وموافق، حتى طغى ذلك الرجل مرة أخرى (القرد) بصوت جهوري:

صمتًا أيها الحمقى، أنت إذا أردت فعل شيء لتكريم أسدان وحازم قم بإرجاع الهيروس إلى وطنه.

صمتوا جميعًا لبرهة من الوقت ثم غمغموا بالموافقة، لكن مارون أخبرهم أن الهيروس رفض البقاء وعاد إلى مكان موت إخوته.

غمغم زيفرا أن لا مشكلة بالأمر، اختفى من أمامهم وظهر بالسماء حيث يرى الهيروس عائدًا منكس الرأس وحيدًا، فأخرج غيمة من يده، أحاط بها جسد الهيروس ورفعه بالهواء لتتفتت أجزاء جسده ويتخفى من أكزاديا.

بعد عشرة أيام اجتمع سكان الملاذات والتابعون وغيرهم بعد عودتهم بالناجين ليعطوهم الثمار، وعلى بعد ١٠٠٠ ميل على ضفاف تفرع من المحيط دوفا يجلس بجانب تابيا يتحدثان عن المستقبل، بعد رفض دوفا تولي المُلك، وترك الأمر إلى مارون ومجلس أسدان لفعل الصالح.

لم ينتبهوا إلى زيفرا جالسًا بين السحاب، ويكتب آخر جملة في كتاب أكزاديا (لا يُهلك الناس سوى أنفسهم، إن اتبعوا قلوبهم دون رقيب، وإن الدين لم يأت ليقيد القلوب، بل لزراعة الود والمحبة وجعلها دائمًا نضرة ومُولعة بالحياة)

ترك الكتاب ليختفي ويظهر داخل المكتبة في موضعه الأول، ثم أظهر نفسه أمام توبا ودوفا، ألقى السلام وهو ينظر إلى هيئتهما البشرية غير معتاد على الأمر، وغمغم: سوف أغادر إلى مكان آخر، على الأغلب سوف يدعوننا هناك ربما بالعابرين.

تابيا: وأكزاديا؟!

زيفرا: لقد انتهت بالفعل، أظن أن لا شيء يكتب داخلها بعد الآن!

دوفا: هل سوف تذهب إلى الأرض؟

تغيرت الغيوم وتشكل زيفرا في هيئة حازم ثم غمغم: في الواقع حازم هو من سوف يذهب، لقد فعل الكثير إلى ذلك المكان، لذا أعتقد أن رؤية عائلته له مرة أخرى أقل ما يمكن فعله.

شيئًا آخر أنا لم أخبر حازم أنك أخوه الذي تركه والده هنا.

تابيا: إذا أنت أخوه بالفعل!

زيفرا: لا يعلم ذلك الأمر سوى أسدان وأردان.

دوفا: أجل أخبرني أردان بكل شيء بعد رحيلكم، لكن لم أستطع أن أخبره لقلة حيلتي في إنقاذه.

زيفرا: أنتم بالفعل عائلة غريبة كما أن لديكم والد صعب المراس قليلًا، أخد بثأره بعد موته عن طريق حازم، وتسبب بثورة شعبية لطرد أشباه الخطايا خارج البلاد عن طريق تسريب أشياء تشبه الغيوم الخاصة بي لفضحهم (تسجيلات القتل داخل الاستوديو) الوضع هناك أصبح غير مستقر وحروب كثيرة على وشك الاندلاع، يمكننا الذهاب معًا لتلتقي بعائلتك وتتفقد الوضع.

تنهد دوفا: لا يمكننا الذهاب، أنت لم تفهم حديث أسدان حين فرح بالألم قبل الموت، لقد استهلكتنا الخطايا وسلبت منا حق الشعور والحب والحزن الحقيقي والفرح، كل الأحاسيس السابقة كانت زائفة مقارنة بما نشعر به الآن، كل ما أريده هو السلام والعيش داخل بيت بعيد وأنا أستمتع كل يوم بأمر جديد والبقاء قرب شخص لطالما أحببته!

التفت دوفا نحن تابيا مبتسمًا: أنت ذلك الشخص تابيا!

تابيا: ماذا! لا، أنت لا تفهم؟

دوفا: أخبرني أردان بمسعاكِ الحقيقي مع حازم، وما أراد منك فعله (قتله إن سيطر الغضب عليه وتحول) لندع ذلك الأمر بالماضي ونمضي قدمًا معًا.

بالنهاية رحل زيفرا بمفرده بعد أن فشل في إقناعهما بالذهاب وجهز كتابًا آخر على وشك كتابة رحلته.

بمكان آخر على بعد ملايين السنين داخل كوكب كوران، (كوكب الهيروس) تجمعت أجزاء جسد الهيروس الصغير داخل غابة كثيفة الأشجار، حيث أصابته الدهشة أن طوله يصل إلى جزء ضئيل منها كأنه أصبح ضئيل الحجم، هذا ما ظنه بالبداية، وبدأ يهرول للخروج من الغابة حتى وصل إلى منحدر، ليكتشف أن الغابة جزء ضئيل جدا فوق جبل عظيم وأمامه أشخاص مشابهون له في الحجم، فصرخ بأعلى تردد يمكن لصوته الوصل إليه.

ولم تمر سوى دقائق حتى قُوبل بأصوات كثيرة لنساء ورجال وأطفال يفهم حديثهم بوضوح، اغرورقت عيناه بالدموع، وتذكر إخوته والحلم الذي تمنوا تحقيقه معًا، ها قد تحقق بعد مئات الطقوس، فبعد أن نال الصغير شرف القتال عاد إلى وطنه أخيرًا.

تمت بحمد الله

رواية
عندما تغرد الحمير
محمد نزيه حمدتو
الطبعة الأولى
1444 هـ 2023 م
دار ديوان العرب للنشر والتوزيع
مصر – بورسعيد
جوال: 00201211132879
00201030502390
E-mail: mohamedhamdy217217@gmail.com

حقوق الطبع والنشر لهذا المصنف محفوظة للمؤلف،
ولا يجوز بأي صورة إعادة النشر الكلي أو الجزئي،
أو نسخه أو تصويره أو ترجمته أو الاقتباس منه،
أو تحويله رقمياً وإتاحته عبر شبكة الإنترنت،
إلا بإذن كتابي مسبق من المؤلف أو الناشر.